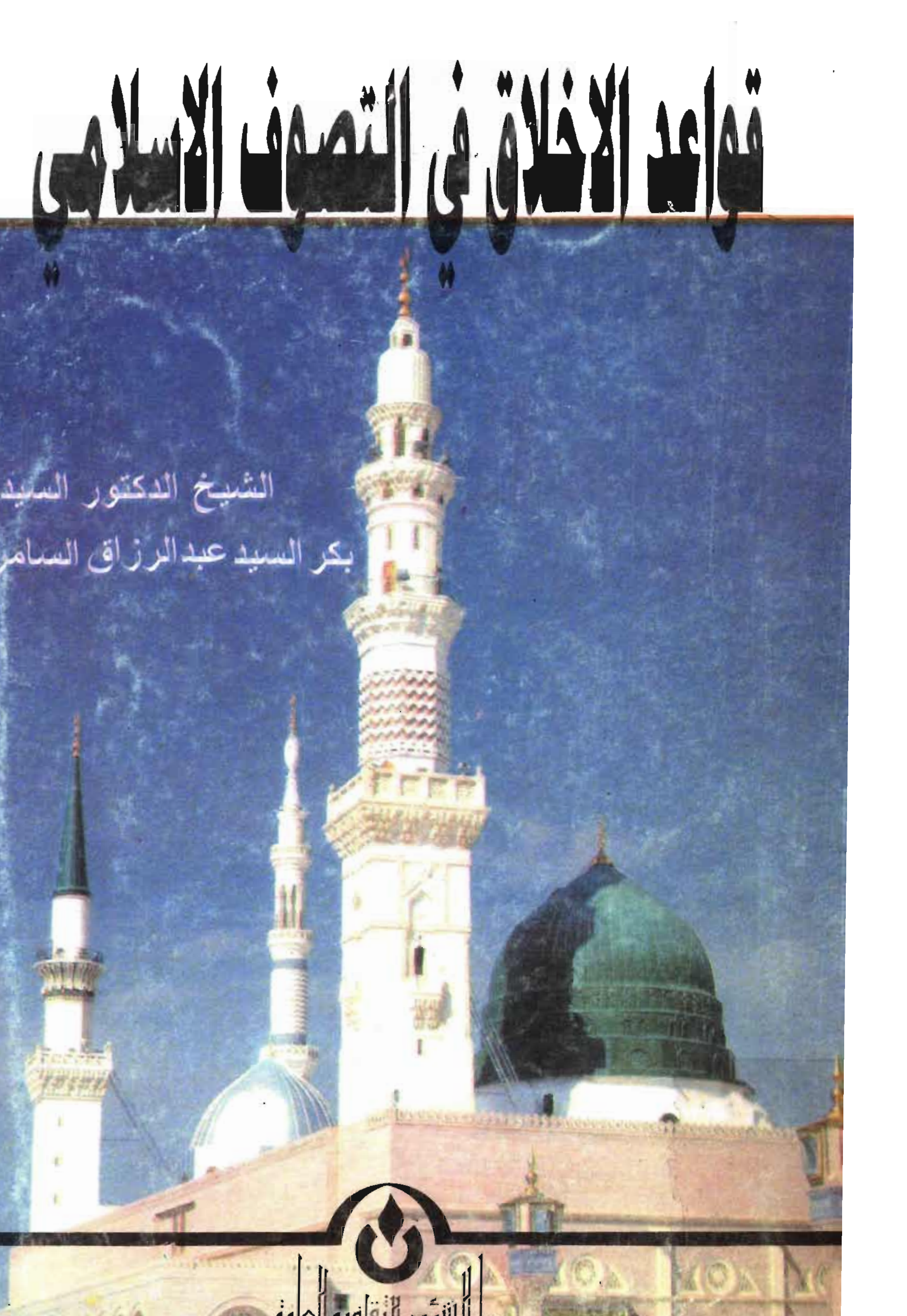

قواعد الاخلاق في التصوف الاسلامي
الشيخ الدكتور السيد
بكر السيد عبدالرزاق السامر
الشؤون الثقافية العامة



قواعد الاخلاق
في التصوف الاسلامي

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد - ٢٠٠٠



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة الشؤون الثقافية العامة
العنوان
العراق - بغداد - اعظمية
ص.ب. ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٠٤٣٦٠٤٤

قواعد الاخلاق في التصوف الاسلامي

تأليف الشيخ الدكتور

السيد بكر السيد عبدالرزاق السيد محمود السامرائي

إمام وخطيب ـ جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني (رحمه الله)

مدير المدرسة القادرية

الطبعة الاولى ـ بغداد ـ ٢٠٠٠

٢١٢
س ٢٨٤ السامرائي ، بكر عبد الرزاق محمود
قواعد الاخلاق في التصوف الاسلامي / تاليف بكر
عبد الرزاق محمود السامرائي . ـ بغداد : دارالشؤون
الثقافية العامة ، ٢٠٠٠
٤١٦ ص ؛ ٢٣ سم .
١ ـ الاخلاق الاسلامية أ. العنوان

م . و
٦٤٩/ ٢٠٠٠

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٦٤٩) لسنة ٢٠٠٠

الاهــــداء

تتصاغر نفسي مع ما يحدو بي من المحبة والتعظيم في إهداء هذا البحث المبارك

الى حضرة حبيب الله تعالى سيدنا

محمد

صلَّى الله عليه وسلَّم

فعساه يرمقني بنظرة أنال بها عز الدارين وأنا أضع هذا البحث بين يديه الكريمتين لخدمة أمته ﷺ ملتمساً منهم حسن الدعاء

والى مَـنْ عشت في كنفه ولم أكتب كلمة من هذا البحث إلا في حضرته

حضرة سيدنا الشيخ عبدالقادر الكيلاني قدس الله سره

ملتمساً منه نظرة العفو والرضا

والى روح والدي الذي كانت تحف بي من كل جانب ،

والى الوالدة الحنون لتقر عينها فيشملني منها لطف الدعاء

والى أخي الحميم صاحب الصبر الجميل والذي لازمني طوال مدة البحث

السيد كمال الدين



مقـــدمـــة

نشاة علم الأخلاق وتطوره :

الحمد لله الذي نفخ فيما ذرأ من النسم الروح ، وألهمه جبلة كيف يغدو ويروح ، وأرسل الرسل منّة وفضلًا من لدن قدوس سبوح ، وجعل خاتم أنبيائه ورسله خير خلقه من الأنس والجن والملائكة والروح ، أعلاهم قدراً ، وأجملهم خلقاً ، وأكملهم خلقاً ، جمع فيه المحامد ، ورفع به السجايا ، وشرفنا به فكنا خير أمة أخرجت للناس . فالصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، سيد الأولين والآخرين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين .الشفيق الرفيق . الرؤوف الرحيم ، البر الكريم ، واصل الرحم ، وحامل الكلّ ، صاحب الخلق العظيم ، وعلى الآل والأصحاب الهداة المهديين ، ومَنْ تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد ـ فان ديننا العظيم بما فيه من الكمالات ، تأصل من أصلين شريفين ، هما : كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، ومن هذين الأصلين تفرعت أصول استنباط الأحكام الشرعية ، وان إجمال ما جاء في القرآن الكريم والسنّة المطهرة مفاهيم ثلاثة تنطوي في ثناياها كل المسائل ، الأول منها : العقيدة ومسائل التوحيد ، والثاني ، ما حمله علم الفقه الإسلامي من أمور العبادات والمعاملات والنظم والعقود ، والثالث : علم الأخلاق والسلوك ، ولا يكون مسلماً مَنْ لم تصح عقيدته ، ومَنْ لم تصح عقيدته لا تصح عبادته ، لأنها فقدت أول شرط من شروط صحتها وهو الإسلام .

وأما الاخلاق فانها لا تكتمل إلا بصحة العقيدة والامتثال لأمر الله تعالى في العبادات والمعاملات وسائر العقود ، فالأخلاق مجمع لكل كمالات الدين الإسلامي الحنيف ، وهي صورته الواضحة التي من خلالها تتميز عظمته شاخصة للعيان .

لذلك فضلت أن أشتغل بهذا القسم لما غلب على جوارحي من التعلق به وآثرته دون غيره لتحصيل ما أصبو اليه من جمع مسائل الدين .

ولما بعث رسول الله سيدنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ﷺ هادياً للخلق ، وآتاه الله الحكمة ، وجعله جامعاً لكل الكمالات ، وكأن الدين العظيم تجسَّد بشخصه ﷺ ، فهو أفضل مَنْ يجب أن يُقتدى به ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمَنْ كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾[١][٢] .

فكان ان انطبعت أخلاقه الكريمة ، وسرت أحواله الشريفة الى أصحابه رضي الله عنهم ، فكانوا هداة مهديين ، لم يصل الى رفعة خلقهم في تاريخ الأمم نظير ، ولو لم يكونوا واقعاً لقال مَنْ يسمع بأثرهم : انهم ضرب من الخيال والأماني والآمال ، وبذلك كانوا خير مَنْ نقل هذا الدين العظيم لمَنْ تبعهم من السلف الصالح ، لمَنْ أراد أن يتعلمها ويُعلمها ، وأخذها خلق كثير سمعاً وحفظاً وكتابة .

وأما الأخلاق ، فانها تقوم بالأشخاص هيأة راسخة ولا تنتقل سمعاً وكتابة ، فانتقلت عن الصحابة رضي الله عنهم ، كما انتقلت من حضرة رسول الله سيدنا محمد ﷺ إليهم ، تربية وتهذيباً وصحبة ، فاختص الله تعالى ـ بفضله ـ لحمل هذا العلم أولياء الله تعالى وخاصة خلقه من الأمة المحمدية ، وقد تجلت صورة هذا العلم واضحة لمَنْ أراد أن يبصرها في رجال التصوف الإسلامي الحق .

أقدم شكري وتقديري للأستاذ الدكتور محمد رمضان عبدالله المشرف على رسالتي الذي لم يأل جهداً في إبداء النصيحة والمشورة في دقائق المفاهيم وغوامض العبارات .

الباب الأول

قواعد الاخلاق و مناهج التربية

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : قواعد الأخلاق وعلم التصوف

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : قواعد الأخلاق وفضيلتها وأصولها

المبحث الثاني : علم التصوف

الفصل الثاني : منهج لتربية النفس وتهذيبها الموصل الى الإحسان

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الورع

المبحث الثاني : الاستقامة

المبحث الثالث : التبري

الفصل الثالث : منهج الذكر الموصل الى الاحسان

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الذكر

المبحث الثاني : الشكر

المبحث الثالث : الحياء

الفصل الأول

قواعد الاخلاق وعلم التصوف

وفيه مبحثان

المبحث الأول : قواعد الأخلاق وفضيلتها وأصولها

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف قواعد الأخلاق

المطلب الثاني : فضيلة الأخلاق

المطلب الثالث : أصول الأخلاق

وفيه أربعة فروع :

الفرع الأول : الحكمة

الفرع الثاني : العفة

الفرع الثالث : الشجاعة

الفرع الرابع : العدل

المبحث الثاني : علم التصوف

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف التصوف

المطلب الثاني : اشتقاق التصوف

المطلب الثالث : نشأة التصوف

المطلب الرابع : أهمية التصوف

المبحث الأول

قواعد الأخلاق وفضيلتها وأصولها

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

تعريف قواعـــد الأخـــلاق

لا بد من معرفة حقيقة الشيء وماهيته قبل الخوض في تفاصيل مسائله ، والماهية تطلق على الأمر المتعقل من الشيء مع قطع النظر عن الوجود الخارجي[1] .

ومعرفة ماهية قواعد الأخلاق تحصل بثلاثة أشياء :

أولًا : بالحد ، وهو أجمع ، لأنه يشتمل على ذاتيات الماهية ، وقد يكون بالرسم ، وهو أوضح ، لأنه يصور الماهية بعرضياتها[2] .

---

(١) أنظر : التعريفات : السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ، ص ١٣١ ، ط محمد أسعد ، ١٣٠٠هـ .

(٢) أنظر : التصوف : أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد الشهير برزوق ، ص ٢ ، المطبعة العلمية بمصر ، ١٣١٨هـ ؛ والبرهان : اسماعيل كلنبوي ، ص ١٤ ـ ١٥ ، ص ١١٤ ـ ١١٨ ، ط مطبعة السعادة ـ مصر .

وتحرير القواعد المنطقية بشرح الرسالة الشمسية : قطب الدين الرازي ، ص ٢٩ ـ ٥٢ ، ط ١ ، الأميرية ، ١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٥م .

ثانياً : الكلام في موضوع العالم ، وهو ما يجمع مسائله باعتباره جهة الوحدة الذاتية[٣] .

ثالثاً : الكلام في فائدة العلم وثمرته باعتبارها جهة الوحدة العرضية[٤] .

فالقواعد في اللغة : جمع قاعدة ، وهي الأساس ، تقول : قواعد البيت ، تعني أساسه[٥] .

وفي القرآن الكريم : ﴿ وإذْ يَرفَعُ إبراهيمُ القَوَاعِدَ مِنَ ٱلبيتِ وإسماعِيلُ ﴾[٦] .

وفي الاصطلاح : قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها[٧] .

والأخلاق في اللغة : جمع خُلْق ـ بضم الخاء وسكون اللام وضمها ـ : الدين والسجية والطبع[٨] .

---

(٣) أنظر : رسائل الرحمة في المنطق والحكمة : الشيخ عبدالكريم محمد المدرس ، ص ٢٢ ، ط الدار العربية للطباعة ، ١٩٨٧م ، بغداد .

(٤) أنظر : المصدر نفسه .

(٥) أنظر : مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، ص ٥٤٤ ، مادة (ق ع د) . الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٦) سورة البقرة : من الآية (١٢٧) .

(٧) التعريفات ، ص ١١٤ .

والقواعد الفقهية ودورها في إثراء التشريعات الحديثة : محيي الدين هلال السرحان ، ص ٥ ، مطبعة أركان ، بغداد ، ١٩٨٧م .

(٨) أنظر : القاموس المحيط : مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ٣/٢٣٦ ، فصل الخاء ، باب القاف (خ ل ق) ، المؤسسة العربية ، بيروت .

ولسان العرب المحيط : العلامة ابن منظور ، قدم له : عبدالله العلايلي ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ونديم مرعشلي ٨٨٩/١ ، ط تكنوبرس .

ومقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ٢/٢١٤ ، ط مصطفى البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

وتاج اللغة وصحاح العربية : أبو النصر اسماعيل بن حماد الجوهري رواية الشيخ أبي محمد اسماعيل بن عبدوس النيسابوري ٢/٨٠ ، ط ٢ ، المطبعة الكبرى العامرة ، ١٢٩٢هـ ، مصر .

وأساس البلاغة : جارالله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ٢٤٨/١ ، ط دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م .

ويقال للذي دُرِجَتْ سجيته على شيء وعرف به : ذلك خلقه ، أي مُرن عليه ، ومن هذه الدلالةُ أَخذَ حسن الخلق ، وعليه دلالة خلقه وخليقة التي يستعملها العرب بمعنى الفطرة والجبلّة والسليقة والطبيعة(٩) .

وفي الاصطلاح : ورد عن علماء الأمة تعريفات ، أُجملُ بعضها فيما يأتي :

فقد عرَّف الخلق الإمام فخرالدين الرازي بأنه : [مَـلَـكَة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة] ، [وان الإتيان بالأفعال الجميلة شيء ، وسهولة الإتيان بها شيء آخر ، فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق](١٠) .

والإمام الرازي رحمه الله في التعريف يعني الخلق الحسن ، وليس تعريفاً للخلق مطلقاً .

وعرّفه الإمام الغزالي ، وتبعه عليه السيد الشريف الجرجاني بأنه : [هيأة راسخة للنفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية] ، [فإن كانت الهيأة تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعاً بسهولة ، سميت : خلقاً حسناً ، وإن كانت الصادر منها الأفعال القبيحة ، سميت الهيأة : خلقاً سيئاً ، وإنما قلنا : هيأة راسخة ، لأن مَنْ يصدر عنه بذل المال ـ مثلًا ـ على الندرة بحالة عارضة ، لا يقال : خلقه السخاء ، وكذلك مَنْ تكلف السكوت عند الغضب بجهد وروية ، لا يقال : خلقه الحلم ، وليس الخلق عبارة عن الفعل ، فرب شخص خلقه السخاء ولا البذل ، أما لفقد المال أو لمانع ، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء](١١) .

وكما ترى فإن الإمام الغزالي رحمه الله قد جمع بين نوعي الخلق في هذا التعريف .

ويرى ابن الأثير ان الخُلق ـ بضم الخاء ـ صورة الإنسان الباطنة : وهي صورة نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق ـ بفتح الخاء ـ لصورته

---

(٩) أنظر : لسان العرب ١/٨٨٩ ، وبحث الاخلاق أولًا : أ. د. رشيد عبدالرحمن العبيدي مقدم الى جامعة صدام للعلوم الإسلامية ، بغداد ، ١٩٩٦ ، وأساس البلاغة ١/٢٤٨ .

(١٠) التفسير الكبير : فخرالدين الرازي ٣/٨١ ، ط دار الكتب العلمية ، طهران .

(١١) أنظر : إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي ٣/٥٨ ، ط الدار المصرية اللبنانية . والتعريفات ٦٩ ـ ٧٠ .

الظاهرة وأوصافها ومعانيها[١٢] .

وما أحلى ما جسَّده البوصيري في هذا المعنى في مدحه المصطفى ﷺ بقوله :

فهـــو الـــذي تم معنـــاه وصـــورتـــه
ثم اصطفـــاه حبيبـــاً بـــارىء النسمِ[١٣]

ويعرِّف محيي الدين بن عربي الخلق بأنه : [حال النفس بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية واختيار ، وهو قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً ، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد][١٤] .

وبقوله : (حال) جعله موهبة طارئة ، وكون الخلق حالًا أو موهبة طارئة ، لا يتنافى معه كونه جنساً ، لأن الحال الذي يحصل للنفس إذا استقر يصبح مَـلَـكَة .

وعرَّفه زين الدين البركوي بأنه : [مَلَكَة تصدر عنها الأفعال النفسانية بسهولة من غير روية ، ويمكن تغييره لورود الشرع به واتفاق العقلاء والتجربة][١٥] .

من هذه التعريفات ، نرى ان المَلَكَة الراسخة جنس لأكثرها ، وقد تكون بالطبع جبلِّية ، وقد تأتي بعد تغيير السيء بالحسن بالرياضة وحمل النفس عليها ، وعلى كل تقدير ، فالذي جعل الحال جنساً مع كونه عرضاً زائلًا ، أوجعله مَلَكَة راسخة مع كون المَلَكَة عرضاً مستقراً لا يزول بسرعة ، ويجوز عليه الزوال فهما على كل جنس ، فلا يمكن التعريف بدون جنس ، والحال عند أهل التصوف : معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب ، فالأحوال مواهب ، والمقامات مكاسب ، والأحوال تأتي من عين الجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود ، وصاحب المقام ممكن في مقامه ، وصاحب الحال مترق عن حاله[١٦] . فالحال عندهم عرض مفارق ،

---

(١٢) أنظر : موسوعة أخلاق القرآن : أحمد الشرباصي ١/ل ، ط الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧١ .
وإحياء علوم الدين ٣/٥٨ .
وروح البيان : اسماعيل حقي البروسوي ٦/٣٩٩ ، ط المطبعة الخيرية ، القاهرة .

(١٣) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم : أحمد مصطفى طاش كبري زاده ١/٤٠٦ ، ط مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة .

(١٤) فلسفة الأخلاق : محيي الدين بن عربي ، ص ٦ ، مطبعة دار البصري ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .

(١٥) الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية : زين الدين محمد بن علي البركوي ، ص ٤٠ ، ط مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .

(١٦) أنظر : الرسالة القشيرية في علم التصوف : أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري ،

وإن قصد به المعنى اللغوي . وهو ما استقر من الكيف[17] ، فهو عرض لازم ، وهو بمعنى الهيأة الراسخة والمَلَكة ، فاختيار المَلَكة جنساً يزيل اللبس .

وخصال الأخلاق في البشر نوعان :

١ — ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا .

٢ — مكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقربه الى الله[18] .

[فقد يكون من الأخلاق ما هو غريزي وجبلّي لبعض الناس ، وبعضها لا تكون فيه فيكتسبها ، ولكن لا بد ان يكون فيه شيء من أصولها][19] .

فالأخلاق إذن مَلَكة للنفس تصدر عنها الأفعال من غير تكلف .

وأما علم الأخلاق ، فهو : علم يعرف به كيفية اكتساب الفضائل ، وهي : الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف أطرافها[20] .

وبعد تركيب المركب الإضافي « قواعد الأخلاق » يصبح التعريف لها بأنها : قضايا كلية تبحث في كسب الفضائل وجعلها مَلَكات للنفس ، تنطبق على جميع جزئياتها .

وأما موضوع علم الأخلاق ، فهو : [المَلَكات النفسانية من حيث تعديلها بين الإفراط والتفريط][21] .

وأما فائدته وثمرته : فهي التعرف على رذائل النفس البشرية وعلاجها والتوسط في قواها لتصبح فضائل يكون العبد بها مثالًا للهداية والرشاد كما أراده الله سبحانه وتعالى ابتغاء لمرضاته .

← ص ٥٤ ، ط مطبعة منير ، بغداد .

(١٧) أنظر : القاموس المحيط ، مادة (ح و ل) ، وصحاح الجوهري ، مادة (ح و ل) .

(١٨) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ٤٦/١ ، ط مطبعة خليل أفندي ، ١٢٩٠هـ .

(١٩) المصدر نفسه .

(٢٠) أنظر : مفتاح السعادة ٤٠٦/١ .
والشفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضي عياض ٧٤/١ .

(٢١) مفتاح السعادة ٤٠٦/١ .

المطلب الثاني

فضيلة الأخلاق

إن من أعظم ما مدح به الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم محمداً ﷺ هو الأخلاق ، فقال تعالى : ﴿ وإنك لعلى خلقٍ عظيم ﴾[٢٢] .

وكفى بها فضلًا ، فلم يزل الخلف على اثر السلف يتضمرون ملتزمين أعنّة الهمة ، وأزمة العزيمة من أول قدم يضعونها على سلّم الفضيلة في إحراز قصب السبق لادراك بعض الفضل من الأخلاق المحمدية الكريمة الفاضلة .

ومنزلة كل امرىء إنما تُعرف بحسن خلقه مهما كان عالماً أو عابداً ، وقد حصر المصطفى ﷺ في حديثه الشريف بعثته لإتمام مكارم الأخلاق ، حين يقول ﷺ : (بُعثت لأتمم حسن الأخلاق)[٢٣] .

فالصوفية أحيوا سُنّة رسول الله ﷺ في الاقتداء بأقواله وأعماله وأحواله وأخلاقه الشريفة ، فأثمر لهم ذلك حسن الأخلاق وزكت نفوسهم وطرق التزكية بالإذعان الى سياسة الشرع والتأسي به ﷺ .

كما ان الفضل بين الناس في الجنة من حيث القرب الى حضرة المصطفى ﷺ إنما تقرره الأخلاق .

عن جابر رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال : (إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وان أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون المتشدقون والمتفيقهون[٢٤])[٢٥] .

---

(٢٢) سورة القلم : الآية (٤) .

(٢٣) الموطأ : الإمام مالك بن أنس ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ٢/٩٠٤ ، ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٥م .

(٢٤) المتفيقهون : المتكبرون ؛ المتشدق : الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم . صحيح البخاري : كتاب الآداب ، باب حسن الخلق ٢٧٨/٤ .

(٢٥) صحيح البخاري : فضائل الصحابة ٢٧٨/٤ ، محمد علي صبيح وأولاده ، ١٣١١هـ ، مصر .

أنظر : الجامع الصحيح : محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩هـ ـ ٢٩٧هـ) : كتاب البر والصلة ، باب ٧١ ، ما جاء في معالي الأخلاق ٣٢٥/٤ برقم (٢٠١٨) (حديث حسن صحيح) ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ولقوله ﷺ : (إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً)[٢٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار)[٢٧] .

فالإيمان والأخلاق متلازمان ، فإن ضعفت الأخلاق ضعف الإيمان .

وأنفع شيء للعبد في ميزان الأعمال الصالحة : الخلق الحسن .

عن أبي الدرداء ان النبي ﷺ يقول : (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وان الله ليبغض الفاحش البذيء)[٢٨] .

إن تفاضل المؤمنين في حسن أخلاقهم ، جعل علامة كمال الإيمان ، والى ذلك أشار حديث النبي ﷺ : (ان من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله)[٢٩] .

وسئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال ؛ (تقوى الله وحسن الخلق) ، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ قال : (الفم والفرج)[٣٠].

ولما سئلت السيدة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ

---

(٢٦) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب حسن الخلق ١٦/٨ ، ط محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، ١٣١١هـ .

صحيح مسلم : كتاب الفضائل ، باب الحياء ١٨١٠/٤ برقم (٢٣٢١) ، ط دار الحديث ، القاهرة ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي .

سنن الترمذي : كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الحياء ٣٢١/٤ ، رقم الحديث (٢٠٠٩) حسن صحيح .

(٢٧) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة ، باب ٦٥ ، ما جاء في حسن الخلق ٣١٨/٤- ٣١٩ برقم (٢٠٠٢) . وقال أبو عيسى عنه : حسن صحيح .

(٢٨) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة ، باب ٦٢ ، ما جاء من حسن الخلق ٣١٨/٤ - ٣١٩ ، برقم (٢٠٠٢) ، جسن صحيح .

(٢٩) سنن الترمذي : كتاب الإيمان ، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه ١٠/٥ - ١١ ، رواية أم المؤمنين عائشة برقم (٢٦١٢) ، وقال عنه : حديث صحيح .

سنن أبي داود الطيالسي ، ص ١٤ ، ط ١ ، دار المعارف النظامية ، الهند ، حيدرآباد ، ١٣٢١هـ .

(٣٠) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة ٣١٩/٤ ، رقم الحديث (٢٠٠٤) . (حديث صحيح غريب) .

قالت : (ألست تقرأ القرآن ؟ قيل : بلى ، فقالت : فإن خلق نبي الله كان القرآن)[٣١] .

ومَنْ تأسى به عليه الصلاة والسلام في هذا كان من أولياء الله تعالى ، لقوله ﷺ : (أهل القرآن أهل الله وخاصته)[٣٢] .

وعن عبدالله بن المبارك انه وصف حسن الخلق ، فقال : [هو بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى][٣٣] .

فاهتمام الإسلام بالأخلاق الحسنة ودعوته اليها لأن لها أثراً عظيماً في بقاء الأمم وازدهار حضارتها واستدامة صفتها واستمداد قوتها ، فإذا ضعفت الأخلاق وسقطت ، سقطت الأمة تبعاً لسقوط الأخلاق .

---

(٣١) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب جامع صلاة الليل ١/٥١٣ ، برقم (٧٤٦) ، ط دار الحديث ، القاهرة .

(٣٢) مسند الإمام أحمد ٣/٢٤٢ ، تحقيق : أحمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م .

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، ضبطه وفسَّر غريبه : الشيخ بكر حياني ، صححه ووضع فهارسه ومفتاحه : صفوة السقا ، ١/٥١٣ ، رقم الحديث (٢٢٧٨) ، ط مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

(٣٣) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة ، باب ٦٢ ، ما جاء في حسن الخلق ٤/٣١٩ .

المطلب الثالث

أصـــــول الأخـــــلاق

اجتماع الفضائل وتمامها لا يكون إلا لمخصوص بمزية فضل بين العباد ، فمَنْ استوت فيه هذه الخصال واعتدلت ، فذلك حسن الخلق ، ومَنْ تم فيه ذلك ، فقد حصل على كمال صورة حسن الخلق فيه ، ومَنْ اعتدل فيه بعضها دون بعض ، فذلك قد حسن خلقه بالاضافة الى تلك الخصلة من الخصال ، ومثله في ذلك كمثل الذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض[٣٤] .

وتعود أصول الأخلاق الى أربعة أصول ، نذكرها في فروع هذا المطلب على النحو الآتي :

الفرع الأول : الحكمة :

وهي في اللغة : [بالكسر : العدل ، والعلم ، والحلم ، والنبوة ، والقرآن ، والإنجيل ، وأحكمه : أتقنه ، واستحكم : منعه عن الفساد][٣٥] .

وقد وردت الحكمة في القرآن الكريم في واحد وعشرين موضعاً ، أنكر منها :

قوله تعالى : ﴿ ومَنْ يؤتَ الحكمةَ فقدْ أوتيَ خيراً كثيراً ﴾[٣٦] .

وقوله تعالى في سيدنا عيسى عليه السلام : ﴿ ويعلِّمُهُ الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والإنجيلَ ﴾[٣٧] .

وقوله تعالى : ﴿ فقدْ آتينا آلَ ابراهيمَ الكتابَ والحكمةَ وآتيناهُم مُلكاً عظيماً ﴾[٣٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وأنزلَ اللّهُ عليكَ الكتابَ والحكمةَ وعلَّمكَ ما لمْ تكنْ تَعلم ﴾[٣٩] .

---

(٣٤) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/ ٥٩ .

(٣٥) القاموس المحيط ٤/ ١٠٠ ، فصل الحاء ، باب الميم .

(٣٦) سورة البقرة : الآية (٢٦٩) .

(٣٧) سورة آل عمران : من الآية (٤٨) .

(٣٨) سورة النساء : الآية (٥٤) .

(٣٩) سورة النساء : الآية (١١٣) .

وقوله تعالى : ﴿ ذلك مما أوحَى إليكَ ربكَ من الحكمة ﴾[٤٠] .

وقوله تعالى : ﴿ ولقدْ آتينا لقمانَ الحكمةَ أنْ أشكر لله ﴾[٤١] .

وقوله تعالى لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن : ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتِكُنَّ مِنْ آياتِ الله والحكمةِ إن الله كان لطيفاً خبيراً ﴾[٤٢] .

وأما في السنّة النبوية المطهرة ، فعن سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها)[٤٣] .

والهلكة : أي إنفاقه في الطاعات .

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها)[٤٤] .

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ أخلص لله أربعين يوماً تفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)[٤٥] .

وقدمت المعنى اللغوي للحكمة ، وأخرت التعريف الاصطلاحي بعد ذكر الآيات والأحاديث لأعرج على تفسير الحكمة عند السلف الصالح ، وقد ذكر القرطبي في جامعه معاني منها : النبوة ، والمعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه

---

(٤٠) سورة الإسراء : الآية (٣٩) .

(٤١) سورة لقمان : الآية (١٢) .

(٤٢) سورة الاحزاب : الآية (٣٤) .

(٤٣) أنظر : صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل مَنْ يقوم بالقرآن ويعلّمه ، وفضل تعلّم حكمه من فقه أو غيره فعمل بها وعلّمها ١/٥٥٩ ، برقم (٨١٦) .
والسنن الكبرى للبيهقي : كتاب أدب القاضي ، باب فضل مَنْ ابتلى بشيء من الاعمال فقام فيه بالقسط وقضى بالحق ١٠/٨٨ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ط ١، بيروت ، لبنان ، ١٣٥٥هـ .

(٤٤) أنظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس : اسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ) ١/٤٣٥ ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٥٥هـ .

(٤٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الاصفهاني (ت ٤٣٠هـ) ، ٥/١٨٩ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨ .
الدر المنثور في التفسير الماثور : للإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي ٢/٦٩ ، ط دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

وغريبه ومقدمه ومؤخره . ومنها : الإصابة في القول والفعل . ومنها : العقل في الدين .

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى : هي المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع له . وروي عنه انها : التفكر في أمر الله والاتباع له .

وقال أيضاً : طاعة الله والعفة في الدين والعمل به ، وقال غيره : الحكمة : الخشية . وقال ابراهيم النخعي : الحكمة : الفهم في القرآن وتبعه على ذلك غيره ، وقال بعضهم : هي الورع : ورجح القرطبي كونها الاتقان في قول أو فعل[٤٦] .

وذكر جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى روايات لكل واحد من أصحاب هذه التعزيفات ، اختلف تعريف الحكمة في كل رواية منها عنده[٤٧] .

والظاهر انهم أرادوا إظهار المعنى اللغوي لها . أما تعريفها الاصطلاحي فأذكر تعريفات منها :

ما عرفها عبدالله الهروي : [هي اسم لأحكام وضع الشيء في موضعه][٤٨] .

وهو قريب من المعنى اللغوي أقرب منه الى الاصطلاحي ، وعلق على ذلك ابن قيم الجوزية بعد ان قسّم الحكمة الى علمية وعملية ، فجعل هذا التعريف للحكمة العملية . وعرّف الحكمة العلمية بأنها : [الإطلاع على بواطن الأشياء ، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمراً ، قدراً وشرعاً][٤٩] .

وعرّفها الامام الغزالي بأنها : [حالة للنفس بها تدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية][٥٠] .

والذي أراه مناسباً لتعريفها ، ما عرّفه البركوي بأنها : [مَلَكة للنفس ، بها تدرك الصواب من الخطأ[٥١] ، في جميع الأقوال والأفعال والأحوال والأخلاق . وهي

---

(٤٦) أنظر : الجامع لاحكام القرآن : أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنباري القرطبي ٣/ ٣٣٠ ، ط ٢ دار الكتب المصرية ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

(٤٧) أنظر : الدر المنثور في التفسير الماثور ٢/٦٦ - ٧١ .

(٤٨) منازل السائرين الى رب العالمين : عبدالله الهروي ٢/ ١٤ ، مطبوع بعد شرحه مدارج السالكين ، ط مطبعة المنار ، بمصر ، ١٣٣٢هـ .

(٤٩) أنظر : مدارك السالكين : ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد رشيد رضا ٢/ ٢٤٤ ، ط مطبعة المنار بمصر ، ١٣٣٢هـ .

(٥٠) إحياء علوم الدين ٣/٥٩ .

(٥١) الطريقة المحمدية ، ص ٤١ .

فضيلة متوسطة بين رذيلتي ، إفراط وتفريط ، فإفراطها جريزة : وهي ملكة ادراك تدعو الى الاطلاع على ما لا يمكن معرفته كالمتشابه والقدر وغير ذلك[٥٢] .

وقد يكون افراطها خبثاً باستعمال شعبها في غير ما أمر الله تعالى[٥٣] .

وشعب الحكمة سبع : الذكاء ، والتذكّر ، والتعقّل ، وسرعة الفهم ، وقوته ، وصفاء الذهن ، وسهولة التعلّم[٥٤] .

وأما تفريطها : أي التفريط بعدم استعمال شعبها ، فذلك يؤدي الى البلادة والغباء والبله[٥٥] .

درجات الحكمة :

ابتداء الحكمة في ذات النفس حتى تصبح ملكة راسخة فتصبح الذات حكيمة ، فتنتقل بعد طاعتها الى النظر الى حكمة الحكيم جلّ شأنه ، إذ قال : ﴿ يرفعُ اللّه الذينَ آمنوا منكم والذين أُوتوا العِلمَ درجاتٍ ﴾[٥٦] ، فأبدأ ببيان ذلك :

الدرجة الأولى :

اعطاء كل شيء حقه وقدره وحده في وقته دون تعد أو مغالاة أو تأخير ، قولًا وفعلًا وحالًا وخلقاً .

الدرجة الثانية :

معرفة حكمة اللّه تعالى في وعده ووعيده وبره ، واعطائه ومنعه ، فان البر والإعطاء والوعد من كرمه ، والمنع والوعيد من رحمته بعباده ، وكل ذلك من حكمته سبحانه وتعالى .

---

(٥٢) المصدر نفسه .

(٥٣) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٥٩ .

(٥٤) أنظر : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي (مسكويه) ، ص ٤٠ ـ ٤١ ، ط مكتبة الحياة ، بيروت .
ومنهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين : أويس وفا الأرزنجاني ، ص ٤٠٥ ، ط محمود بك ، ١٣٢٨هـ .

(٥٥) أنظر : مفتاح السعادة ١/٤٠٦ .
وإحياء علوم الدين ٣/٥٩ .
والطريقة المحمدية ، ص ٤١ .

(٥٦) سورة المجادلة : من الآية (١١) .

الدرجة الثالثة :

ارشاد الخلق الى الحق ، وادراك كيفيات ذلك ببصيرة الحكمة واصابة عيون الحقائق في المراد منه طاعة لله تعالى ، وكل ذلك من منن الله تعالى وفضله[٥٧] .

الفرع الثاني : العفة :

العِفة ـ ـ بكسر العين ـ لغة : اجتناب ما لا يحل ولا يجمل[٥٨]

واصطلاحاً : هي مَلَكَة بها تباشر المشتهيات على وفق الشرع والمروءة[٥٩] .

ومعنى ذلك ان تتأدب النفس في شهوتها بتأديب الشرع والعقل[٦٠] .

وجاء لفظ « العِفة » في القرآن الكريم في أربعة مواضع ، قال تعالى : ﴿ ومَنْ كان غنياً فليستعفف ﴾[٦١] . الترفع عن المال .

وفي قوله تعالى : ﴿ وليستعففِ الذين لا يجدونَ نكاحاً حتى يُغنِيهمُ الله مِنْ فَضلهِ ﴾[٦٢] . الترفع عن الزنا .

وفي قوله تعالى : ﴿ يَحسَبُهم الجاهلُ أغنياءَ من التعففِ ﴾[٦٣] . الترفع عن الطمع .

وفي قوله تعالى : ﴿ وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم ﴾[٦٤] . الترفع عن النكاح .

وقد ورد معنى العفة في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ قُل للمؤمنين يَغُضوا

---

(٥٧) أنظر : منازل السائرين ٢/ ١٤ .
ومدارج السالكين ٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٧ .
والتمكين في شرح منازل السائرين : محمود أبو الفيض المنوفي ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، ط دار النهضة ، القاهرة ، ١٣٣٢هـ .
وشرح منازل السائرين : عبدالمعطي اللخمي الاسكندري ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٤م .

(٥٨) أنظر : القاموس المحيط ٣/ ١٨٢ ، مادة (ع ف ف) .

(٥٩) الطريقة المحمدية ٤١ .

(٦٠) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/ ٥٩ .

(٦١) سورة النساء : الآية (٦) .

(٦٢) سورة النور : من الآية (٣٣) .

(٦٣) سورة البقرة : من الآية (٢٧٢) .

(٦٤) سورة النور : من الآية (٦٠) .

مِنْ أبصارِهِم ويحفظوا فُرُوجَهم ذلك أزكى لهم إنَّ الله خبيرٌ بما يَصنعُون * وقُلْ للمؤمناتِ يغضضنَ من أبصارهِنَّ ويحفظنَ فُرُوجَهُن ﴾[٦٥] .

وفي حديث رسول الله ﷺ عن النفر الثلاثة الذين أووا الى الغار فأطبقت عليهم صخرة بابه : (رجل عف عن مساس ابنة عمه)[٦٦] .

وإذا أعدنا التأمل في هذا الحديث مرات ، فان الرجل نظر حراماً ، وخلا بالمرأة حراماً ، ولما عف عن ان يفض الخاتم ، أصبح فعله يتوسل به الى الله تعالى وقد قبل الله تعالى منه ذلك ، فانفرجت عنهم الصخرة لما توسل كل واحد منهم بصالح عمله ، فانظر أي فضل للعفة في ديننا الحنيف .

ومدار العفة على صيانة النفس عن جميع الشهوات والرذائل[٦٧] .

وشعبها إثنتا عشرة شعبة : الحياء ، والصبر ، والدعة ، والنزاهة ، والقناعة ، والوقار ، والرفق ، وحسن السمت ، والورع ، والمروءة ، والانتظام ، والسخاء[٦٨] .

وافراط العفة يؤدي الى رذائل : (الحرص ، والتقتير ، والرياء ، والملق ، والحسد ، والشماتة ، والتذلل للأغنياء ، واحتقار الفقراء) ، وتفريطها منه (الشره ، والوقاحة ، والخبث ، والتبذير ، والهتكة ، والمجون ، والعبث)[٦٩] .

الفرع الثالث : الشجاعة :

الشجاعة في اللغة : [شدة القلب عند البأس][٧٠] .

---

(٦٥) سورة النور : من الآية (٣٠) ومن الآية (٣١) .

(٦٦) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب حديث الغار ٢١٠/٤ .
صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب قصة أصحاب الغار ٢٠٩٩/٤ ، رقم الحديث (٢٧٤٣) .

(٦٧) أنظر : أركان الأخلاق في الإسلام : نجم الدين محيي الدين عبدالفتاح المدرس ، ص ٥٨ ، ط مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٨م .

(٦٨) أنظر : منهاج اليقين ٤٠٥ .
وتهذيب الأخلاق ٤١ ـ ٤٢ .

(٦٩) أنظر : إحياء علوم الدين ٥٩/٣ .

(٧٠) مختار الصحاح للرازي ٣٣٠ .

وفي الاصطلاح : [هي مَلَكة بها يقدم المرء على أمور أمر الشرع بالإقدام عليها كالجهاد][71] .

وعرّفها ابن حزم الأندلسي بأنها : [بذل النفس للموت عن الدين ، والحريم وعن الجار المضطهد ، وعن المستجير المظلوم ، وعن الهضيمة ظلماً في المال والعرض وسائر سبل الحق][72] .

وبها يحرز المرء الثبات عند الخطوب ، وصرامة القلب على الأهوال ، وربط الجأش في المخاوف ، والإقدام وقت الفرصة ، وهي تنمو بالتمرن[73] .

والشجاعة لازم ماهية الجهاد ، فكل ما ورد من نص في الكتاب والسنّة في الجهاد هو في حقيقته في امتداح الشجاعة ، وذم الجبن الذي هو التفريط بالشجاعة ، وذم التهور الذي هو إفراط في استعمال شعبها .

وشعب الشجاعة : النجدة ، والشهامة ، وعظم الهمة ، والثبات ، والتحمل ، والغيرة ، والحلم ، وكظم الغيظ ، والوقار ، وعدم الطيش ، والصبر ـ وصبر الشجاعة على الأمور الهائلة ، وصبر العفة على الشهوات الهائجة ـ والحمية ، والسكون ، والتواضع[74] .

وافراط الشجاعة يؤدي الى : التهور ، والصلف ، والبذخ ، والاستشاطة ، والتكبّر ، والعجب .

والتفريط بها يؤدي الى : المهانة : والذلة ، والجزع ، والخساسة ، وضعف الهمة ، والانقباض عن تناول الحق والواجب[75] .

---

(٧١) أنظر : الطريقة المحمدية للبركوي ، ص ٤١ .

(٧٢) كتاب الأخلاق والسير : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) ، ص ٣٠ ، ط الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦١م .

(٧٣) أنظر : دروس أخلاقية ومعلومات مدنية : عبدالفتاح محسن ، ص ٣١ ، ط ٣ ، مطبعة الزقي ، ١٣٤٣هـ ـ القاهرة .

(٧٤) أنظر : منهاج اليقين ٤٠٥ .
وتهذيب الأخلاق ٤٢ .

(٧٥) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٥٩ .

الفرع الرابع : العدل :

العدل لغة : [ضد الجور ، وما قام في النفوس انه مستقيم كالعدالة فهو عادل][٧٦] .

واصطلاحاً : [مَلَكة تسوس الغضب والشهوة ، وتحملهما على مقتضى الحكمة ، وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها][٧٧] .

وقد ورد العدل في القرآن الكريم سبعاً وعشرين مرة[٧٨] .

منها قوله تعالى : ﴿ وذَكِّر بهِ أنْ تُبسَل نَفسٌ بما كَسَبَتْ ليس لها من دونِ الله وليٌّ ولا شفيعٌ وإن تَعدِلْ كُلَّ عَدلٍ لا يُؤخَذْ منها ﴾[٧٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وممَّنْ خَلقنا أمةٌ يهدونَ بالحقِّ وبهِ يَعدلونْ ﴾[٨٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا حَكمتُم بين الناسِ أنْ تحكموا بالعدلِ ﴾[٨١] .

وقوله تعالى : ﴿ وضَرَبَ الله مثلًا رجلينِ أحدُهما أبكَمُ لا يقدرُ على شيءٍ وهو كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأتِ بخير هل يستوي هو ومَنْ يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم ﴾[٨٢] .

وقوله تعالى : ﴿ إنَّ الله يأمرُ بالعدل والإحسانِ وإيتاء ذي القُربى ﴾[٨٣] .

وفي السُنَّة النبوية الشريفة : عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال : (إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ، ويتقى به ، فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل ، كان له بذلك أجر ، وإن يأمر بغيره كان عليه منه)[٨٤] .

ولما انصرف رسول الله ﷺ من حنين وقسَّم الغنائم فيها ، بلغه عن أحدهم انه لم

---

(٧٦) أنظر : القاموس المحيط ١٣/٤ .

(٧٧) أنظر : إحياء علوم الدين ٥٩/٣ .

(٧٨) أنظر : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار الجيل ـ بيروت ، باب : (ع د ل) .

(٧٩) سورة الأنعام : من الآية (٧٠) .

(٨٠) سورة الأعراف : الآية (١٨١) .

(٨١) سورة النساء : الآية (٥٨) .

(٨٢) سورة النحل : الآية (٧٦) .

(٨٣) سورة النحل : الآية (٩٠) .

(٨٤) صحيح مسلم : كتاب الامارة ، باب الإمام جنة ١٤٧/٣ ، رقم الحديث (١٨٤١) .

يرضَ بقسمة رسول الله ﷺ فأحمر وجهه ﷺ ثم قال : (فمَنْ يعدل إن لم يعدل الله ورسوله ؟)[٨٥] .

ولما كان العدل إنصاف الحقوق ، فأول العدل إنصاف المرء نفسه من نار جهنم ، فمَنْ لم ينصف نفسه لا ينصف غيره .

وشعب الفضائل التي تحت العدل هي : الصداقة ، والألفة ، وصلة الرحم ، والمكافأة ، وحسن الشركة ، وحسن القضاء ، والتودد ، والعبادة ، وترك الحقد ، ومكافأة الشر بالخير ، واستعمال اللطف ، وركوب المروءة في جميع الأحوال ، وترك الحكاية عمَّنْ ليس بعدل . والبحث عن سيرة مَنْ يحكى عنه العدل ، والوفاء ، والشفقة ، والاصلاح ، والتوكل ، والتسليم ، والرضا[٨٦] .

وأثر العدل في اعتدال مَلَكات الأصول السابقة وجعلها أوساطاً بين رذيلتي الإفراط والتفريط يعد أصلًا رابعاً ، ومن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها[٨٧] .

---

(٨٥) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ، باب المؤلفة قلوبهم ٢/٧٣٩ ، رقم الحديث (١٠٦٢) .

(٨٦) أنظر : منهاج اليقين ، ص ٤٠٥ .
وتهذيب الاخلاق ٤٤ .

(٨٧) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٥٩ .

المبحث الثاني

علم التصوف

لما كان للتصوف أهمية بالغة في تكوين الشخصية المسلمة وأثر عظيم في تكاملها ، وان الصوفية هم المالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق ، رأيت من الواجب أن أذكر عدداً من التعريفات للتصوف .

المطلب الأول

تعريف التصوف

معرفة التصوف عسيرة جداً على مَنْ أراد معرفة حده التام ، إذ ان لكل شيخ من مشايخ هذا العلم عدداً من التعريفات له ، وربما يعزى ذلك الى تنقلهم وتقلبهم في مقاماته وأحواله ، وأقوال المشايخ وتعريفاتهم لماهية التصوف تزيد على ألف قول[1] .

ومن الباحثين مَنْ نظر الى مراحل نشأة علم التصوف فقسَّمها ثلاثاً . وجمع لكل مرحلة تعريفاً ، فقال في تعريف التصوف في مرحلته (الأولى) : اقتداء ، وعبادة ، وصفاء ، وفي (الثانية) : اقتداء ، ومعرفة واستقصاء ، وفي (الثالثة) اقتداء ، ومحبة ، وفناء[2] .

وسأستعرض بعض التعريفات التي جاءت على ألسنة مشايخ التصوف الكبار ، فيما يأتي :

---

(١) أنظر : عوارف المعارف : عبدالقاهر السهروردي ، ص ٥٧ ، ط المطبعة التجارية ، بيروت ، ١٩٦٦م .

(٢) أنظر : التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره : أحمد توفيق عياد ، ص ١٤٧ - ١٤٨ . ط المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٧٠م .

للجنيد البغدادي تعريفات عدة منها :

١ — التصوف : [هو ان يميتك الحق عنك ويحييك به] . أي : لا حركة ولا سكون إلا وفيها نية لله تعالى .

٢ — التصوف : [أن تكون مع الله بلا علاقة] .
أي : بلا غرض دنيوي دنيء ولا أخروي ، بل التوجه الى الله خالصاً .

٣ — التصوف : [ذكر مع اجتماع ، ووجد مع استماع ، وعمل مع اتباع][٣] .
أي : ذكر مع حضور القلب ، يثير الوجد فيبعثه ذلك على العمل والاتباع .

ولأبي الحسين النوري :

١ — نعت الصوفي : [السكون عند العدم ، والإيثار عند الوجود] .
أي : ساكن مع التسليم للقضاء ، كريم يؤثر غيره على نفسه .

٢ — الصوفي : [مَنْ سمع السماع وآثر الأسباب][٤] .
أي : سمع ما يحثه الى القرب من المحبوب واستسلم لقضائه وقدره .

قال سهل التستري : الصوفي : مَنْ صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع الى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر[٥] .

ولأبي بكر الشبلي رحمه الله تعالى :

١ — التصوف : الجلوس مع الله بلا هم . أي : بلا غرض .

٢ — الصوفي : منقطع عن الخلق متصل بالحق ، كقوله تعالى : ﴿ واصْطَنَعتُكَ لِنَفسِي ﴾[٦] .

٣ — التصوف : برقة محرقة ، أي : صعقة القلب في محبة لا رجعة فيها .

٤ — التصوف : [هو العصمة عن رؤية الكون][٧] . أي : بالانقياد للمكون .

ولمعروف الكرخي رحمه الله تعالى : التصوف : الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق[٨] .

---

(٣) أنظر : الرسالة القشيرية ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .
(٤) أنظر : المصدر نفسه ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .
(٥) عوارف المعارف ، ص ٥٧ .
(٦) سورة طه : الآية (٤١) .
(٧) أنظر : الرسالة القشيرية ٢١٨ .
(٨) المصدر نفسه .

ولذي النون المصري رحمه الله تعالى : قوم آثروا الله على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء[9] .

وقال سمنون : التصوف أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء ، أي يكون العبد وما ملك ملكاً لسيده[10] .

وقال أبو سعيد الخراز : [التصوف تمكين من الوقت][11] .

أي : لا إضاعة لشيء من الوقت دون طاعة لله .

وقال عمرو بن عثمان المكي : ان يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت[12] .

وقال محمد القصاب : [أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام][13] .

ولرويم :

١ — استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد .

٢ — التصوف مبني على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقق بالبذل والإيثار . وترك التعرض والاختيار[14] .

وسأل رويم الجنيد عن ذات التصوف ، فقال : عليك ان تكون بعيداً عن هذا الكلام ! خذ بظاهر التصوف ولا تسأل عن ذاته ، ثم ألحَّ رويم عليه ، فقال : الصوفية قوم قائمون بالله بحيث لا يعرفهم إلا الله[15] .

ولأبي محمد الجريري (ت ٣١١هـ) :

١ — الدخول في كل خلق سني ، والخروج من كل خلق دني .

٢ — مراقبة الأحوال ولزوم الأدب[16] .

---

(٩) المصدر نفسه ، ٢١٩ .

(١٠) نفس المصدر ٢١٧ .

(١١) تاريخ التصوف في الإسلام ، قاسم غني ، ترجمة : صادق نشأت ، ود. أحمد ناجي القيسي ، ومحمد مصطفى حلمي ، ص ٢٧٦ ، ط دار الطباعة الحديثة ، بغداد ، ١٩٧٠م .

(١٢) الرسالة القشيرية ، ص ٢١٧ . والمصدر السابق .

(١٣) الرسالة القشيرية ٢١٧ .

(١٤) أنظر : المصدر نفسه .

(١٥) أنظر : تاريخ التصوف في الإسلام ، ص ٢٧٦ .

(١٦) الرسالة القشيرية ٢١٧ - ٢١٩ .

وقال عبدالقاهر السهروردي : الصوفي : [هو الذي يكون دائم التصفية لا يزال يصفي الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس][17] .

ولسيدنا الشيخ عبدالقادر الكيلاني (٤٧٠هـ ـ ٥٦١هـ) (قدَّس الله سرّه) :

١ ـ التصوف : الصدق مع الحق ، وحسن الخلق مع الخلق .

٢ ـ المتصوف : الشارع في طريق الوصل .

٣ ـ الصوفي مَنْ قطع الطريق ووصل الى مَنْ اليه القطع والوصل[18] .

ولأبي علي الروذباري : [هو الإناخة على باب الحبيب وإن طرد عنه][19] .

وللكتاني : [التصوف : خلق فمَنْ زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء][20] .

ولأبي تراب النخشبي : [الصوفي : لا يكدره شيء ، ويصفو به كل شيء][21] .

ولأحمد زروق : [التصوف : علم قصد لإصلاح القلوب وإفرادها لله عما سواه][22] .

وللسيد الشريف الجرجاني : [التصوف : الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً فيرى حكمها من الظاهر في الباطن ، وباطناً فيرى حكمها من الباطن في الظاهر ، فيحصل للمتأدب بالحكمين كمال][23] .

وعرّفه القاضي زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) : بأنه ترك الاختيار ، ونقل غير ذلك فقال : [ويقال : هو حفظ حواسك ومراعاة أنفاسك ؛ ويقال : الجد في السلوك الى ملك الملوك ؛ ويقال : الإكباب على العمل والإعراض عن العلل][24] .

وما زال أمامي الكثير من التعريفات لو أردت نقلها لملأت الصفحات بها

---

(١٧) عوارف المعارف ٥٨ .

(١٨) أنظر : الغنية لطالبي الحق : سيدنا الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، تحقيق : د. فرج توفيق الوليد ٣/١٢٧٠ ، ط مطبعة منير ، ١٩٨٨ .

(١٩) الرسالة القشيرية ٢١٨ .

(٢٠) المصدر نفسه .

(٢١) المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(٢٢) قواعد التصوف ، ص ٦ .

(٢٣) التعريفات ٤٠ ـ ٤١ .

(٢٤) شرح الرسالة القشيرية : القاضي زكريا الأنصاري ٢/٤ ـ ٣ ، الناشر : عبدالوكيل الدروبي وياسين عرفة ، دمشق .

والسطور. ولكن آثرت الاختصار، ورأيت في هذا التفسير بياناً لصور كثير من التعريفات الباقية.

وحقيقة التصوف: هي كل هذه التعريفات، فمنهم مَنْ عبّر عن مقام ما من مقامات التصوف، كالرضا والتوكل والتسليم والزهد، ولعله إن انتقل الى مقام آخر عرفه بذلك المقام، ومنهم مَنْ عبّر عن حالٍ ما من الأحوال، كالخوف والرجاء والمحبة والأنس والقبض والبسط والفناء والبقاء، وإن زال هذا الحال عنه عرفه بغير ذلك.

والتصوف يندرج فيه كل المقامات والأحوال والأخلاق، وليت شعري أنّى لي بتعريف يجمع ذلك كله؛ فلا بد للتعريف أن يجمع السلوك والصدق فيه، وما لذلك من تاثير على ظاهر المرء وباطنه، وقربه وبُعده عن الله تعالى، مع التزام الآداب الشرعية في سلوكه. وطي مقاماته، وثنايا أحواله، وخفايا أخلاقه التي لا يطلع عليها إلا الله تعالى.

ثم هل لمثلي أن يدخل بين هؤلاء العظماء والعباقرة مع كل ما في من قصور لأنشد تعريفاً أرجّحه، ولا سيما وأنا داخل على صنعتهم فضولياً أشتري منهم تجارتهم الرابحة وأبيع تجارتي البخسة الكاسدة.

ومع كل ذلك، فقد نظرت الى التعريفات نظرة متأمل، فوجدت معظمها يتناول الأخلاق الصوفية وهي كلها صحيحة وإن اختلفت صيغها وألفاظها فانها متقاربة في المعنى. وينقدح لكل متأمل فيها مآرب كثيرة، ورأيت في تعريف سيدنا الشيخ عبدالقادر الكيلاني قدس الله سره ما يجمع مصاديق التصوف كلها؛ فان جنس التصوف الصدق مع الحق في السلوك الظاهر والباطن وما كان خفياً ومعلناً من خاطر وقول وفعل وحال وخلق، ومَنْ كانت هذه سجيته مع الله تعالى ربما احتد خلقه مع الخلق في ترك بعض الآداب الشرعية فكان لزاماً لجنس الصدق مع الحق أن يكون مقترناً بحسن الخلق مع الخلق، إذ هو الفصل الذي يميز نوع التصوف عما يشاركه في جنس الصدق مع الحق.

وتبين لنا مما تقدم، ان التصوف أعم مطلقاً من الأخلاق، إذ كل خلق حسن تصوف، وليس كل تصوف خلقاً.

أما موضوعه: فهو معرفة الله تعالى والإخلاص له، ابتداءاً من تهذيب النفس وما يعرض لها من الأحوال والصفات، ومراقبة القلب، وما يعرض له من اللمحات

والخواطر والهواجس والوساوس والعلوم والنيات والقصود والعزائم والاعتقادات وحديث النفس وغير ذلك[٢٥] .

وأما مسائله : فهي قضاياه التي يبحث فيها عن عوارضه الذاتية المتعلقة بالأحكام بالنيات والخواطر والفناء والبقاء والمراقبة ولسائر الأحوال[٢٦] .

وأما استمداده : فمن الكتاب والسُنّة وأقوال العارفين ، فهم علماؤه وفقهاؤه[٢٧] .

وأما فائدته وثمرته : فمعرفة الله تعالى بعد تخلية القلب عما يشينه ، وتحليته بما يزينه وتجليته بما يعنيه ، وذلك مدعاة للنجاة في الآخرة والفوز برضا الله تعالى ونيل سعادة الأبد[٢٨] .

---

(٢٥) أنظر : حياة القلوب في كيفية الوصول الى المحبوب : عمادالدين الأموي ١/ ٢٦٠ ، مطبوع بهامش قوت القلوب ، ط دار صادر .
وإيقاظ الهمم في شرح الحكم : أحمد بن محمد بن عجيبة ١/ ٥ ، ط دار الفكر .
وسراج الطالبين شرح منهاج العابدين : احسان محمد دحلان ١/ ٤ ، ط مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

(٢٦) أنظر : حياة القلوب ١/ ٢٦٠ .
وسراج الطالبين ١/ ٥ .

(٢٧) أنظر : إيقاظ الهمم ١/ ٧ .
وسراج الطالبين ١/ ٤ .

(٢٨) أنظر : إيقاظ الهمم ١/ ٨ .
وحياة القلوب ١/ ٢٦٠ .
وسراج الطالبين ١/ ٤ .

المطلب الثاني

اشـــتقاق التصـــــوف

أثارت كتب التصوف قديمها وحديثها الى أصل اشتقاق لفظة « التصوف » ونسبتها ، واعتبار النسبة أو الاشتقاق وأجمل ذلك فيما يأتي :

١ ـ صوفـــة :

وهذه كلمة لها معانٍ كثيرة مْنها :

آ ـ صوفة : أبو حي من مضر اسمه الغوث بن مر بن أد بن طابخة ، اشتهر بالانقطاع الى الله تعالى وخدمة بيته الحرام ، فصار هذا الحي من مضر يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج في الجاهلية[٢٩] .

ومَنْ نسب التصوف الى هذا الاشتقاق ، فلمشابهتهم إياه في الانقطاع الى الله تعالى[٣٠] . فتقول : تصوف انتسب الى صوفة ، كما تقول : تبغدد أي صار بغدادي النسبة .

ب ـ صوفة : ينسب التصوف الى كلمة صوفة واحدة الصوف[٣١] .

لأن الصوفية لا تدبير لهم ، سلموا أمرهم لمولاهم فهم كالصوفة المطروحة[٣٢] .

جـ ـ صوفة : إشارة الى صوفة القفا للينها[٣٣] .

يقال : أخذت بصوف رقبته ويصافها بجلدها أو بشعره المتدلي في نقرة القفا[٣٤] .

---

(٢٩) أنظر : القاموس المحيط ١٦٩/٣ ، مادة (ص و ف) .
وصحاح الجوهري ٣٩/٢ ؛ ولسان العرب ٤٩٥/٢ .

(٣٠) أنظر : تلبيس إبليس : جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، ص ١٦١ ، ط مطبعة النهضة ، ١٩٢٨ .

(٣١) أنظر : القاموس المحيط ١٦٩/٣ ، مادة : (ص و ف) .
ولسان العرب ٤٩٥/٢ ؛ وصحاح الجوهري ٣٩/٢ .

(٣٢) أنظر : قواعد التصوف ، ص ٤ .

(٣٣) أنظر : المصدر نفسه .

(٣٤) أنظر : القاموس المحيط ١٦٩/٣ .
وصحاح الجوهري ٣٩/٢ .
ولسان العرب ٤٩٥/٢ .

ونسبة التصوف الى ذلك لكون الصوفي هيناً ليناً كأنه منقاد الى الله تعالى من صوفة قفاه[٣٥] .

٢ ـ أهل الصفة :

وإنما نسب التصوف الى أهل الصفة ، لأن أهل الصفة منقطعون الى الله عز وجل ، ولزموا الفقر وما لهم أهل ولا مال ، فبنيت لهم صفة[٣٦] في مسجد رسول الله ﷺ[٣٧] .

فقيل : مكان الصفية الصوفية بقلب إحدى الفاءين واواً للتخفيف[٣٨] .

٣ ـ الصفاء :

ونسبة التصوف اليه لصفاء ظاهر وباطن مَنْ جرى عليه لقب التصوف ، كما قال أبو الفتح البستي :

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا
وظنّه البعض مشتقاً من الصوفِ
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفي حتى سميَ الصوفي[٣٩]

وعند النسبة الى الصفاء نقول : صفوي ، إذ الصفوي مصدره ؛ وبعد تقديم الواو على الفاء صار « صوفياً » .

٤ ـ الصف الأول :

ينسب التصوف اليه لأن الصوفية في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه[٤٠] .

والاشتقاق لا يؤيد ذلك مطلقاً ، ولم يرجح هذا القول أحد من أهل هذا العلم .

---

(٣٥) أنظر : قواعد التصوف ، ص ٤ .

(٣٦) الصفة : موضع مظلل من المسجد ، القاموس المحيط ١٦٩/٣ .

(٣٧) أنظر : تلبيس إبليس ١٦٢ .

(٣٨) أنظر : أساس البلاغة ٣٢/٢ .

(٣٩) قواعد التصوف ، ص ٤ .

(٤٠) أنظر : عوارف المعارف ٦١ .

٥ ــ الصـــــوف :

نسبة الى ظاهر اللبسة[٤١] :

وكان اختيارهم للصوف لباساً لتركهم زينة الدنيا ، وقناعتهم بسد الجوعة ، وستر العورة ، واستغراقهم في أمر الآخرة ؛ ولم يتفرغوا لملاذ النفوس وراحتها ، لشدة شغلهم بخدمة مولاهم ، وانصراف هممهم الى أمر الآخرة[٤٢] .

فيقال : تصوف إذا لبس الصوف كما يقال : تقمص إذا لبس القميص[٤٣] .

والذي يتبين لنا من هذا الاستعراض السريع ، ان النسبة الأخيرة هي الراجحة لبُعد الاشتقاق في بعض الاشتقاقات السابقة ، ولبُعد التأويل في بعضها الآخر .

ومنهم مَنْ أوغل في بُعد غور التأويل ، فقال : ان التصوف منسوب الى كلمة « سوفيا » اليونانية ، ومنها « فيلاسوفيا » ، أي : (محب الحكمة) وعند تعريب هذه اللفظة قيل : فيلسوف ، وبقيت هذه الكلمة منصوصاً على أعجميتها عند أهل العربية[٤٤] .

والقائل بهذا لم ينظر الى كلمة فيلسوف وفلسفة . اللتان بقيتا منصوصاً عليهما عند أهل العربية ، ولم نسمع عن أحد من علماء العربية انه ينص على أعجمية كلمة تصوف[٤٥] .

ثم ان فلسفة وفيلسوفاً لما تعربت بقيتا بسينهما . فما الداعي لقلب سينها صاداً في التصوف[٤٦] .

لذلك أحجمت عن ذكر هذا القول مع سائر الأقوال لهوانه في عيني ، وأقدمت على ذكره متأخراً لأبين بُعد غوره في التأويل ليسهل التجني على علماء التصوف وهم الأتقياء الأنقياء الأزكياء .

---

(٤١) أنظر : اللمع : لأبي نصر السراج الطوسي ، تحقيق : د. عبدالحليم محمود ، وطه عبدالباقي سرور ، ص ٣١ ، ط مطبعة السعادة ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .

(٤٢) أنظر : عوارف المعارف ٦٠ .

(٤٣) أنظر : المصدر نفسه .

(٤٤) أنظر : التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق : د. زكي مبارك ١/٥٤ - ٥٥ ، ط المكتبة المصرية ، بيروت ، ١٩٣٧ .

(٤٥) المصدر نفسه .

(٤٦) أنظر : التصوف في المنظور الإسلامي : رسالة ماجستير للطالب عبدالخالق خوشي محمد ، ←

المطلب الثالث

نشـــأة التصـــوف

ان الله سبحانه وتعالى أتم نعمته على نبيه ﷺ . وأكمل دينه حيث قال : ﴿ اليوَم أكملتُ لَكُم دِينَكُم وأتممتُ عليكُم نِعمَتي ورضيتُ لكُمْ الإسلامَ ديناً ﴾[٤٧] .

وهذا وصف من أوصاف الكمال الذي امتازت به الأمة المحمدية ببركة نبيها ﷺ منبع الكمال ، ومن هذا المعين الفياض اغترف الصحابة الكرام علومهم الشريفة ، ولم تصنف العلوم في عصرهم بعد .

والمسلمون بعد رسول الله ﷺ لم يتسم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم تظهر شرف نسبتهم سوى صحبة رسول الله ﷺ ، إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم : الصحابة ، ولما أدركهم أهل العصر الثاني ممن صحب أصحاب رسول الله ﷺ تسموا بالتابعين ، ورأوا ذلك أشرف سمة ، ثم قيل لمَنْ بعدهم أتباع التابعين ، فلما فشا الإقبال على الدنيا ، وتباين الناس واختلفوا ، فقيل لمَنْ كان له عناية بأمر الدين العابد والزاهد ، ثم ظهرت البدع ، فادعت كل فرقة ان فيها عباداً وزهاداً ، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة بأسم « التصوف » ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين للهجرة[٤٨] .

إن الله سبحانه وتعالى هيأ للصحابة الكرام رضي الله عنهم أسباباً جعلتهم أهلًا لحمل هذا الدين العظيم ، منها : صفاء القلوب ، وطهارة النفوس ، ولم يكن ذلك لولا بركة صحبتهم لحضرة المصطفى ﷺ[٤٩] .

ثم انتقلت العلوم الإسلامية من هذه النفوس الزكية والقلوب الطاهرة الواعية ، كالتفسير والحديث والفقه وأصوله والعربية ، حتى سالت أودية علوم علماء الأمة كل بقدرها ، وسالت أودية قلوب الصوفية من العلماء الزاهدين في الدنيا ، المتمسكين بحقائق التقوى بقدرها ، فمَنْ كان في باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه

← مقدمة الى كلية العلوم الإسلامية ، جامعة بغداد ، ص ٣٦ ـ ٣٧ ، سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

(٤٧) سورة المائدة : من الآية (٣) .

(٤٨) الرسالة القشيرية ، ص ١٢ .

(٤٩) أنظر : عوارف المعارف ، ص ١٢ .

وطلب المناصب والرفعة سال وادي قلبه بقدره ، فأخذ من العلم طرفاً صالحاً ولم يحظ بحقائق العلوم ، ومَنْ زهد في الدنيا اتسع وادي قلبه فسالت فيه مياه العلوم[٥٠] .

ولم يكن لفظ الصوفية مشهوراً في القرون الثلاثة الأولى ، وإنما اشتهر بعد ذلك ، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل وأبي سليمان الدارني وسفيان الثوري والحسن البصري[٥١] .

وكان الحسن البصري أول مَنْ أنهج سبيل هذا العلم وفتق الألسنة به ، ونطق بمعانيه ، وأظهر نوادره ، وكشف قناعه[٥٢] .

وكانت مجالس الحسن البصري (ت ١١٠هـ) مجالس ذكر يخلو فيها مع إخوانه وأتباعه من النسّاك والعبّاد في بيته مثل مالك بن دينار (ت ١٣١هـ) ، وثابت البناني ، وأيوب السختياني (ت ١٣١هـ) ، ومحمد بن واسع (ت ١٢٣هـ) ، وفرقد السبخي ، وعبدالواحد بن زيد ، فيقول : هاتوا أنشروا النور ، ويتكلم بهذا العلم من علم اليقين وخواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس[٥٣] .

فأول ما ظهرت الصوفية من البصرة ، وأول مَنْ بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبدالواحد بن زيد ، وعبدالواحد بن زيد من أصحاب الحسن البصري ، ولهذا كان يقول : فقه كوفي وعبادة بصرية[٥٤] .

ولما سألوا الحسن البصري ، قالوا : يا أبا سعيد ، انك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك ، فممن أخذت هذا ؟ قال : من حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[٥٥]

وحذيفة رضي الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين ، لم يعلمهم أحد إلا حذيفة أعلمه بهم رسول الله ﷺ وكان يسأل النبي ﷺ عن الشر ليتجنبه[٥٦] .

---

(٥٠) أنظر : المصدر السابق ، ص ١٣ ـ ١٤ .

(٥١) أنظر : الصوفية والفقراء : تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية ، تحقيق : محمد عبدالله السمان ، ص ٧ ، ط مؤسسة الشرق ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م .

(٥٢) أنظر : قوت القلوب في معاملة المحبوب أو وصف طريق المريد الى مقام التوحيد : أبو طالب محمد بن أبي الحسن علي بن عباس المكي ١/١٥٠ ، ط دار صادر ، بيروت .

(٥٣) أنظر : المصدر السابق ١/١٤٩ .

(٥٤) أنظر : الصوفية والفقراء ، ص ٧ ـ ٩ .

(٥٥) أنظر : قوت القلوب ١/ ١٥٠ .

(٥٦) أنظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة : عزالدين بن الأثير أبو الحسن علي بن محمد الجزري ١/٤٦٨ ، ط مطبعة الشعب .

وهو معروف في الصحابة رضي الله عنهم بصاحب سر رسول الله ﷺ وكان عمر ينظر اليه عند موت مَنْ مات منهم ، فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر[٥٧] .

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، انه قال : (أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن الى ان تقوم الساعة ، فما منه شيء إلا قد سألته إلا اني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة)[٥٨] .

وقد أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصري عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، وأثبته جماعة منهم مصنف المختارة وتبعه على ذلك ابن حجر في أطراف المختارة ورجحه السيوطي في الحاوي[٥٩] .

وذكر صاحب تهذيب الكمال : انه حضر يوم الدار وله أربع عشرة سنة[٦٠] ، وهو من عمر سبع سنين أمر بالصلاة ـ كما هو معلوم ـ فكان يحضر الجماعة ويصلي خلف سيدنا عثمان رضي الله عنه[٦١] .

وهكذا نشأ التصوف أول نشأته ثم تدرج في صدور الرجال من كابر الى كابر ، حتى استقلت به صدور أكابر الرجال الى ان جاء عصر التدوين فكان للتصوف الحظ الأوفى ، فانتشرت رسائل الجنيد وكتب الحارث المحاسبي وعاش التصوف عصره الذهبي بين هؤلاء الكرام .

---

(٥٧) أنظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب : أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر ، مطبوع بهامش الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : طه محمد الزيني ٢/٣١٨ ، ط شركة الطباعة الفنية ، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٧٧م .

(٥٨) صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب أخبار النبي ﷺ فيما يكون الى قيام الساعة ٤/٢٢١٧ ، رقم الحديث (٢٨٩١) .

(٥٩) أنظر : الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم : ضياء الدين المقدسي ، تحقيق : عبدالملك عبدالله دهيش ٢/٤١ ، الحديث رقم (٤١٥) ، ط مكتبة النهضة .
والحاوي للفتاوى : للإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ٢/١٩١ ، ط ٣ ، السعادة ، مصر ، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م .

(٦٠) أنظر : تهذيب الكمال في أسماء الرجال : الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ٦/٧٩ ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

(٦١) أنظر : الحاوي للفتاوي ٢/١٩٢ .

المطلب الرابع

أهميـــــة التصـــوف

إن الإسلام بكماله دين يؤدي بالبشرية الى الرفعة في كل ما يبتغيه الإنسان والمجتمعات الإنسانية ، وقد عالج الإسلام كل قضايا الإنسان علاجاً نافعاً ومثمراً ودقيقاً ، صغيرها وكبيرها ، ظاهرها وباطنها ، ما اتضح منها وما خفي ، والمجتمعات الإنسانية ان تلبست بالإسلام كلًا حملها نحو ما يبتغيه من الكمال .

والمفردات التي جاءت بها كليات الشريعة الإسلامية تتناول مقاصد شتى ، منها أحكام تكليفية ، ومنها نظم فقهية ، ومنها تربية روحية ، واهمال أي جانب منها يضر إضراراً جسيماً بهذا البدن المتكامل ، وقلب هذا الجسد النابض بالحياة والروح هي التربية الروحية ، التي تمثلت ـ بعد تفرع العلوم الإسلامية الى أنواع مختلفة ـ بعلم التصوف .

وتتفاوت أهمية العلوم الإسلامية بحسب مؤداها ومقتضاها ، فمنها ما هو مطلوب بذاته امتثالًا لأمر الله تعالى به كعلم الإيمان واليقين وهو أفضل العلوم ، لأن كل علم من العلوم يمكن لكل إنسان مداولته تعلماً وحفظاً ونشراً حتى للكفار والمنافقين إذا تهيأت الرغبة والحرص على ذلك . لأن العلم نتيجة ذهنية وثمرة من ثمار نتاج العقل إلا علم التصوف لا يمكن لأحد أن يحصل مشاهداته وذوق ما فيه والتكلم بحقائقه إلا لمؤمن موقن[٦٢] .

قال تعالى : ﴿ وما خلقتُ الجنَ والإنسَ إلا لِيَعبُدون * ما أريدُ مِنْهُم مِنْ رزقٍ وما أريدُ أنْ يُطعِمون * ﴾[٦٣] .

وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة ، فحق عليهم الاعتناء بما خلقوا له ، والإعراض عن لهو الدنيا ولعبها ، فلهذا كان الأيقاظ هم العبّاد وأعقل الناس هم الزهّاد[٦٤] .

---

(٦٢) أنظر : قوت القلوب ١٧٣/١ .

(٦٣) سورة الذاريات : من الآية (٥٦) .

(٦٤) أنظر : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين : محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : عبدالله أحمد أبو زينة ، ص ٨ ، الناشر : دار القلم ، بيروت .

ان الله سبحانه وتعالى فرض على القلوب عملًا من الاعتقادات ، وعلى الجوارح الظاهرة عملًا من الطاعات ، فجميع التكاليف الشرعية التي أمر الإنسان أن يتعبّد بها في خاصة نفسه تقسَّم الى نوعين :

١ — أحكام تتعلق بالأعمال الظاهرة ، وهي : أحكام العبادات ، والعادات .

٢ — أحكام تتعلق بالأعمال الباطنة ، وهي : الإيمان ، وما يتصرف في القلب ويتلون به من الصفات ، وهي قسمان :

أ - محمودة ، كالعفة والعدل والشجاعة والكرم والحياء والصبر .

ب - مذمومة ، كالعجب والكبر والرياء والحسد والحقد .

وهذا النوع أهم عند الشارع ، وإن كان الكل مهماً ، لأن الباطن سلطان الظاهر المستولي عليه ، وأعمال الباطن مبدأ لأعمال الظاهر ، وأعمال الظاهر آثار عنها ، فإن كان الأصل صالحاً كانت الآثار صالحة ، وإن كان فاسداً كانت فاسدة[٦٥] .

ولذلك قال الشيخ زروق : ان نسبة التصوف في الدين نسبة الروح من الجسد ، لأنه مقام الإحسان الذي فسَّره رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام : (أن تعبد الله كأنك تراه)[٦٦] .

قال الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في وصف سلوكه في طريق التصوف : [لما فرغت من العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت ان طريقهم إنما تتم بعلم وعمل ، وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس والتنزه عن الأخلاق المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير ذكر الله تعالى وتحليته بذكر الله ... الى أن يقول : فعلمت انهم أرباب الأحوال لا أصحاب الأقوال ، وما يمكن تحصيله بطريق العلم ، فقد حصلته ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه للسماع والتعلّم ، بل بالذوق والسلوك ، وكان قد ظهر عندي انه لا مطمع لي في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى ، وان رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور والإنابة الى دار الخلود والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، وان ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن هذا الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق[٦٧] .

---

(٦٥) أنظر : شفاء السائل لتهذيب المسائل : أبو زيد عبدالرحمن بن أحمد بن أبي بكر محمد بن خلدون الحضرمي ، تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي ، ص ٥ ، ط ١ ، اسطنبول ، ١٩٥٧ .

(٦٦) إيقاظ الهمم ٤٨/١ .

(٦٧) المنقذ من الضلال ، ص ٣٩ - ٤٠ .

وما أحوج مجتمعات اليوم بعدما عانت من الفراغ الروحي الكبير الى سد خلّتها بالتصوف الإسلامي ، فالتقدم الحضاري المادي مهما توصل اليه من الرقي ، لم يؤت ثمرته الفعلية من إسعاد الناس ، بل على العكس جلب التعاسة والخراب الناجمين عن الحروب المتلاحقة ، فما زال القوي يفترس الضعيف ، وما زال الاستعمار ينشب مخالبه في صدور الدول الضعيفة ، وما هذا إلا دليل على إفلاس الحضارة المادية الخالية من القيم الروحية[٦٨] .

---

(٦٨) أنظر : روح الدين الإسلامي : تأليف عفيف عبدالفتاح طبارة ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ ، ط ٦ ، دار الكتب . بيروت . ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .

الفصـــل الثاني

منهج تهذيب النفس

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث

المبحث الأول : الورع

المبحث الثاني : الاستقامة

المبحث الثالث : التبري

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التسليم الأمري

المطلب الثاني : التسليم القضائي (القدري)

تمهيد :

مبادىء الأمور بسائطها . والولوج اليها أعسر من مركباتها ، والنفس من هذه البسائط ، فمعرفتها ربما تكون عسيرة لمَنْ يخض مثل هذا الغمار .

فالنفس في اللغة : الروح ؛ تقول : خرجت نفسه ، أي روحه ، أو عين الحقيقة ، تقول : جاءني بنفسه . أي بعينه وحقيقته ، أو العند ، كما في قوله تعالى : ﴿ تعلَمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نَفسِك ﴾[1] .

أي ما عندي وعندك ، أو حقيقتي وحقيقتك[2] .

ويطلق لفظ النفس عند العلماء ويراد به معنيان :

المعنى الأول :يطلق لفظ النفس ويراد به حقيقة الآدمي وذاته[3] .

وهذا المعنى هو المعروف عند الفلاسفة ، فالمراد بالنفس عندهم ما يشير إليه كل أحد بقوله : (أنا) ، وهي كمال لنوع من الأجسام الطبيعية ، تعين على ما يصدر عن الجسم من الفعل الذي صدوره عنه بآلات فيه[4] .

---

(١) سورة المائدة : من الاية (١١٦) .

(٢) أنظر : القاموس المحيط ٢/٢٦٤ . فصل النون ، باب السين ، مادة (ن ف س) . ولسان العرب ٣/٦٨٨ .

(٣) أنظر : معارج القدس في مدارج معرفة النفس : أبو حامد الغزالي ، ص ١٥ ، منشورات دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

(٤) أنظر : أحوال النفس : ابن سينا ، تجقيق : أحمد فؤاد الأهواني ، ص ٥٦ ، ١٨٣ ، ط دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .

وهي الجوهر الذي هو محل المعقولات ، وهي عندهم من عالم الملكوت وعالم الأمر[٥] .

وهذا الجوهر الروحاني فاض على قالب البدن وأحياه ، واتخذه آلة في اكتساب المعارف والعلوم حتى يستكمل جوهره بها[٦] .

فتكون النفس كمالًا أولًا لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة من شأنه أن يحيا بالنشوء ويبقى بالغذاء ، وإنما يحيى بإحساس وتحريك هما في قوته[٧] .

واكتساب المعارف والعلوم يكسب النفس كمالها ، فيصير الإنسان عارفاً بربه ، عالماً بحقائق معلوماته ، فيستعيد بذلك الرجوع الى حضرته ، فتطير نفسه الى أفق الملكية[٨] .

لذا فان الفلاسفة لا يعتدّون بالقلب ولا بالروح ولا باللطائف الأخرى التي اهتم بها الصوفية .

المعنى الثاني : أن يطلق لفظ النفس ويراد به المعنى الجامع للصفات المذمومة ، وهي القوة المودعة في الإنسان لقوة الغضب والشهوة الخارجة عن الحد الشرعي ، وسائر الرذائل ، وهو المعنى المستعمل عند أهل التصوف[٩] .

والنفس بهذا المعنى لا يتصور رجوعها الى الله تعالى ، فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان ، وهي إن أذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت بالنفس الأمّارة بالسوء ، قال تعالى إخباراً عن امرأة العزيز: ﴿ وما أُبريءُ نَفسِي أنَّ النفسَ لأمّارةٌ بالسوءِ إلا ما رَحِمَ ربي ﴾[١٠][١١] .

وتعرّف النفس الأمّارة السوء : بأنها المائلة الى الطبيعة البدنية التي تأمر

---

(٥) أنظر : معارج القدس ، ص ١٥ .

(٦) أنظر : أحوال النفس ، ص ١٨٣ .

(٧) أنظر : المصدر نفسه ، ص ٥٦ .

(٨) أنظر : المصدر نفسه ، ص ١٨٣ .
ومعارج القدس ، ص ١٥ .

(٩) أنظر : مواهب الرحمن في تفسير القرآن : الشيخ عبدالكريم محمد المدرس ٣٨٧/٤ ، ط ١ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(١٠) سورة يوسف : من الآية (٥٣) .

(١١) أنظر : المصدر نفسه ٣٨٨/٤ .

باللذات والشهوات الحسية ، وتجذب القلب الى الجهة السفلية فهي مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة[١٢] .

وإذا لم يتم سكون النفس لمقتضى الشهوات وصارت معترضة على كل فعل ذميم رادعة للبدن عن الرذائل ، سميت بالنفس اللّوامة ، وهي التي أقسم بها ربنا جلّ جلاله بقوله : ﴿ ولا أُقسمُ بالنفسِ اللّوامة ﴾[١٣] .

وسميت بذلك لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه[١٤] .

وتعرّف النفس اللوامة بأنها : المتنورة بنور القلب قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة كلما صدرت عنه سيئة بحكم جبلّتها المظلمة أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها[١٥] .

وأما النفس المطمئنة ، فهي التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة[١٦] .

والتهذيب يبتدىء بالنفس الأمّارة بالسوء ، وفيها قوله تعالى : ﴿ قَدْ أفلحَ مَنْ زكّاها وقد خابَ مَنْ دسّاها ﴾[١٧] .

وإنما أخذنا هذه النفس الأمارة بالسوء لأنها أبعد الأنفس عن الله تعالى وعن منهج المرسلين ، وأبعد ما تكون عن الاتصاف بالخلق الحسن ، واصلاحها محط نظر المرسلين والمشايخ الكاملين والعلماء العاملين ، فليس هناك أخطر من هذه النفس التي تكاد تكون ملحقة بعالَم الحيوان لا بعالَم الإنسان المتطلع الى رضا مولاه والاتصاف بالأخلاق الرفيعة الفاضلة .

فالنفس الأمارة بالسوء شر خصوم الإنسان وأعدى أعدائه ، لأنها تدفع به الى المعاطب ، فإذا مَلَكَ زمامها ولم تملكه قهر أقوى خصومه[١٨] .

---

(١٢) أنظر : التعريفات ، ص ١٦٥ .

(١٣) سورة القيامة : الآية (٢) .

(١٤) أنظر : مواهب الرحمن ٣٨٨/٤ .

(١٥) أنظر : التعريفات ، ص ١٦٥ .

(١٦) المصدر نفسه .

(١٧) سورة الشمس : الآيتان (٩ - ١٠) .

(١٨) أنظر : الأدب النبوي : محمد عبدالعزيز المولى ، ص ١٩٢ ، ط دار القلم ، بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

والإنسان تحصل له اللذة الروحانية الطارئة بعد استئناس النفس باللذات الجسمانية ، فيكون انجذاب النفس الى اللذات الجسمانية كالمَلَكَة المستقرة المتاكدة ، وانجذابها الى اللذات الروحانية طارىء يزول بأدنى سبب ، فلا جرم كان الغالب على الخلق هو الميل الشديد الى اللذات الجسمانية ، وأما الميل الى طلب اللذات الروحانية ، فذلك لا يحصل إلا للشخص النادر ، ثم حصوله لذلك النادر لا يتفق إلا في أوقات نادرة يأتي الكلام عليها في ثنايا مطالب هذا المبحث ، ولذلك عمَّ الله تعالى هذا الحكم ، فقال : ﴿ زيّن للناسِ حُبُ الشهواتِ ﴾[19][20] .

ثم ان المعلولات من أوصاف العبد على ضربين :

أحدهما : ما يكون كسباً له كمعاصيه ومخالفاته .

والثاني : أخلاقه الدنيئة فهي في ذاتها مذمومة ، فإذا عالجها العبد ونازلها تنتفي عنه تلك الأخلاق بعد حمل النفس على تركها والدوام على ذلك .

القسم الأول : ما نهى الشارع عنها نهي تحريم أو نهي تنزيه .

القسم الثاني : سفساف الأخلاق والدنيء منها[21] .

ويتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿ وأما مَنْ خافَ مقامَ ربهِ ونهَى النفسَ عَنِ الهوَى ﴾[22] .

فقد قدَّم الله سبحانه وتعالى العلة ، وهو الخوف على المعلول وهو نهي النفس عن الهوى ، لأنه السبب المعين لدفع الهوى[23] ، فدلت الآية على ان الخوف من الله تعالى سبب لدفع الهوى الذي هو سبب للفوز بجنة المأوى .

ان الله سبحانه وتعالى هو الغني على الحقيقة ولا غني سواه ، فالغني به هو الغني حقيقة ، ولا غنى بغيره البتة ، فمَنْ لم يستغن به عما سواه تقطعت نفسه على السوى حسرات ، ومَنْ استغنى به زالت عنه كل حسرة ، وحضرته أقصى الغايات والمطالب والمعالي ، وكمال صلاح النفس غناها بالاستقامة من جميع الوجوه وبلوغها الى درجة الطمأنينة لا يكون إلا بعد صلاح القلب والنفس ، وصلاح القلب

---

(١٩) سورة آل عمران : من الآية (١٤) .

(٢٠) أنظر : التفسير الكبير للرازي ١٩٦/٧ .

(٢١) أنظر : الرسالة القشيرية ، ص ٧٥ .

(٢٢) سورة النازعات : الآية (٤٠) .

(٢٣) أنظر : التفسير الكبير للرازي ٥١/٣ .

مقدم لأنه الملك على الجوارح وصلاحه صلاح جميع رعيته[٢٤] .

وفضيلة النفس تكمن في شوقها وتطلعها الى العلوم والمعارف ، وبحسب طلب الإنسان لهذه الفضيلة وحرصه عليها يكون فضله ، فان الإنسان إذا اكتفى من طعامه وشرابه وسائر لذاته البدنية إذا عرض عليه الاستزادة منها كما يستزيد من الفضائل أبى ذلك وتنحى عنه وتبين له قبح صورة مَنْ يتعاطاها ، لا سيما مع الاستغناء عنها ، والاكتفاء منها[٢٥] .

وحين يتعود الإنسان ملاحظة نفسه في أقوالها وأعمالها وحركاتها وسكناتها ليتابعها ويقوّم سعيها ، ويقيم سبيلها من حيث تنحرف أو تهمّ بشيء من الانحراف ليعيدها الى الصراط ، ويقيمها عليه ويلزمها به ، وكذلك يراجعها وهي تسعى وانية أو دائبة في مجال الخير ليفجر فيها ينابيع النشاط والقوة والاجتهاد حتى تزداد من الخير ، وتجتهد في ميدان البر ، وبذلك يقيم من نفسه على نفسه بنفسه حارساً يقظاً حذراً يقيها المضار ويجعلها تمضي سامية قولًا وفعلًا وحالًا وخلقاً ، وهذا ما يسميه أهل عصرنا بسلطة الضمير[٢٦] .

وحقيقته : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك)[٢٧] .

ونتدرج بذلك على ثلاث مراحل تتبين في المباحث الآتية :

المبحث الأول : الورع .

المبحث الثاني : الاستقامة .

المبحث الثالث : التبري .

---

(٢٤) أنظر : طريق الهجرتين : ابن قيم الجوزية بهامش (إغاثة اللهفان) ، ص ٤٠ ، ط الميمنية ، مصر ، ١٣٢٠هـ .

(٢٥) أنظر : تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق ، ص ٣٤ .

(٢٦) أنظر : موسوعة أخلاق القرآن ١٣٨/٢ .

(٢٧) صحيح البخاري : كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل ٢٠/١ .
صحيح مسلم : كتاب الإيمان ٣٧/١ ، رقم الحديث (٨) .

المبحث الأول

الـــــــورع

الورع في اللغة : التحرج والحذر[٢٨] .

وفي الاصطلاح : ترك الشبهات خوف الوقوع في المحرمات[٢٩] .

والترابط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي ظاهر ، فالحِذر والتحرج يدل على التحرز والانتباه خوف الوقوع في المهالك ، ومبعث ذلك كله الخشية ، وبها يكون المؤمن متبصراً لا يتصرف إلا عن تدبر وحكمة ، ويحسب لكل أمر حسابه ، ويعد لكل نازلة عدّتها[٣٠] .

والورع مصداق من مصاديق مكارم الأخلاق ، لكونه مَـلَكة نفسية تبعث على الحذر والاشفاق من الشبهات[٣١] .

وذهب بعض أهل التصوف الى جعل ترك الحرام من الورع وعلى هذا ينقسم الى واجب ومندوب[٣٢] .

فترك الحرام ورع واجب ، وترك الشبهات ورع مندوب[٣٣] .

وأصل كل خير يبدأ من اللقمة ، فكل ما شئت مثله تفعل[٣٤] ، وسيدنا رسول الله ﷺ حذر من خطورة ذلك في أحاديث كثيرة ، منها : (إنه لا يربو لحم نبت من

---

(٢٨) أنظر : مختار الصحاح : الرازي ٧١٧ .

(٢٩) أنظر : الرسالة القشيرية ٤/٢١٠ . والتعريفات : الجرجاني ١٧٠ .

(٣٠) أنظر : موسوعة أخلاق القرآن ٢/٨٠ .

(٣١) أنظر : من هدي النبي والعترة : أحمد كاظم البهادلي ١/٢٨١ ، ط شركة آب ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

(٣٢) أنظر : نتائج الأفكار القدسية في بيان شرح الرسالة القشيرية : مصطفى العروسي ٢/١٥٥ ، مطبوع مع شرح الرسالة القشيرية ، الناشر : عبدالوكيل الدروبي وياسين عرفة ، جامع الدرويش ، دمشق .

(٣٣) أنظر : شرح الرسالة القشيرية ٢/١٥٥ .
ودليل الفالحين شرح رياض الصالحين : محمد بن علان الصديقي ٥/٣٢ ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٣٤) أنظر : قواعد التصوف ، ص ٣١ .

سحت إلا كانت النار أَولى به)[٣٥] .

كذلك بيَّن الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ ان اللقمة الحرام علة لرد الدعاء وعدم قبوله ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أيُّها الناس ان الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الرُسلُ كُلوا مِنْ الطيباتِ واعملوا صالحاً إني بما تعملونَ عليمٌ ﴾[٣٦] ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾[٣٧] ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يار ب... يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك)[٣٨] .

وكما كان أكل الحرام علة لرد الدعاء وعدم استجابته ، فكذا أكْلُ الحلال علة لقبول الدعاء واستجابته ، فقد أوصى رسول الله ﷺ سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فقال : (أطب مطعمك تستجب دعوتك)[٣٩] .

ولذلك تنبّه أكابر الصحابة رضي الله عنهم لهذا الأمر فكانوا أشد ورعاً فيه ، تروي أم المؤمنين سيدتنا عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما ، قالت : (كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : أتدري ما هذا ؟ فقال أبو بكر : وما هو ؟ فقال : كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا اني خدعته ، فلقيني فأعطاني لذلك هذا الذي أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه)[٤٠] .

---

(٣٥) سنن الترمذي : باب ما ذكر في فضل الصلاة ٥١٣/٢ ، رقم الحديث (٦١٤) ، وقال : حديث حسن .

(٣٦) سورة المؤمنون : من الآية (٥١) .

(٣٧) سورة البقرة : من الآية (١٧٢) .

(٣٨) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة ٧٠٣/٢ ، رقم الحديث ، (١٠١٥) .

(٣٩) مجمع الزائد ومنبع الفوائد : الحافظ نورالدين الهيتي ٢٩١/١٠ ، مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ .

والترغيب والترهيب : الإمام الحافظ زين الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري ٥٤٧/٢ ، ط دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٤٠) صحيح البخاري : كتاب أيام الجاهلية ، باب أيام الجاهلية ٥٣/٥ - ٥٤ .

والخراج : ما يقرره السيد على عبده يؤديه كل يوم من كسبه ويكون باقي الكسب للعبد[٤١] .

وأحاديث المصطفى ﷺ في الورع كثيرة ترويها أصح كتب الحديث ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما متشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمَنْ اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومَنْ وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله في أرضه مجارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[٤٢] .

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم ، فقال : (البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس)[٤٣] .

والأحاديث في الورع كثيرة جداً ذكرنا ما أردنا به الاستدلال لا الحصر .

مراتب الـورع :

لقد بلغت أمتنا المحمدية في هذه الفضيلة ذروة سنام مجدها ، وقد أجمل أهل هذا الشأن الورع في المراتب الآتية :

الأولى : اجتناب كل ما يكون فيه شبهة مما لا يصدق عليها تسمية الحلال المطلق والحرام المطلق خوف مواقعة الحرام .

---

(٤١) أنظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري : ابن حجر العسقلاني ٧/١٥٤ ، ط دار المعرفة ، بيروت .

ورياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، ص ٢٢٠ .

وإرشاد الساري في شرح صحيح البخاري : للإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني ٦/١٦٩ ، ٦/١٨٣ ، ط ٦ ، الكبرى الأميرية ، مصر ، ١٣٠٤هـ .

وعمدة القاري في شرح صحيح البخاري : بدرالدين أبو محمد محمود العيني ١٦/٢٩٥ ، رقم الحديث (٣٢٥) ، ط المنيرية ، مصر ، ١٣٤٨هـ

(٤٢) صحيح البخاري : باب مَنْ استبرأ لدينه ١/٢١ .

صحيح مسلم : كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/١٢١٩ ـ ١٢٢٠ ، رقم الحديث (١٥٩٩) ، واللفظ للبخاري .

(٤٣) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تفسير البر والإثم ٤/١٩٠ ، رقم الحديث ، (٥٥٣) .

الثانية : اجتناب ما يميل بالمرء الى الهوى والشهوة وإن كان حلالًا صرفاً .
الثالثة : اجتناب كل ما يمنع القلب من التوجه الى الله تعالى .
الرابعة : الاحتراز عن كل ما هو منفك عن الآفات التي ذكرناها إذا لم تحضره نية في تناوله لله تعالى ، وهؤلاء قوم لا يتحركون ولا يسكنون ولا يتكلمون ولا يسكتون إلا لله تعالى(٤٤) .

والحديث في الورع عند الصوفية مميز عن غيرهم فهم الأوائل في هذا الباب ، منها : [كان داود الطائي يجالس أبا حنيفة وقال له أبو حنيفة : أما الأداة فقد أحكمناها وبقي العمل ، قال : فنازعتني نفسي الى العزلة والوحدة ، فقلت لها حتى تجلسي معهم فلا تجيبي في مسألة ، قال : فكان يجالسهم سنة قبل أن يعتزل ، قال : فكانت المسألة تجيء وأنا أشد شهوة للجواب فيها من العطشان الى الماء فلا أجيب فيها](٤٥) ، [ولما سئل صبيان البصرة وهم يلعبون أمام مشايخ قعود : أما تستحون من هؤلاء المشايخ ؟ فقال صبي من بينهم : هؤلاء المشايخ قلَّ ورعهم فقلَّت هيبتهم](٤٦) .

وقال الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى : [الورع في الكلام أشد منه في الاكتساب](٤٧) .

---

(٤٤) أنظر : تاريخ التصوف في الإسلام ٣٧٨ - ٣٧٩ .
وانظر : أستاذ السائرين : د. عبدالحليم محمود ، ص ١٨٥ ، ط كتاب الشعب .
واللمع : ص ٧٠ .
ولطائف المنن : ابن عطاء الله السكندري ، تحقيق : عبدالحليم محمود ، ص ٢٠ ، ط مطبعة حسان ، ١٩٧٤م .
وحقائق في التصوف : عبدالقادر عيسى ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، ط ٥ ، النواعير ، الرمادي ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
والمسائل في أعمال القلوب والجوارح : الحارث المحاسبي ، تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ، ص ١٦ ، ط عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
والذريعة الى أحكام الشريعة : الراغب الأصفهاني ١٢٢ ، ط مطبعة الوطن ، مصر ، ١٣٠٨هـ
وفاتحة العلوم : الإمام الغزالي ٦٤ - ٦٧ ، ط الحسينية المصرية ، ١٣٢٢هـ .
(٤٥) حلية الأولياء ٣٤٢/٧ .
(٤٦) الرسالة القشيرية ، ص ٩١ .
(٤٧) حلية الأولياء ٢٦٩/١٠ .

ومن الروايات أيضاً : (جاءت أخت بشر الحافي الى الإمام أحمد بن حنبل ، وقالت : إنا نغزل على سطوحنا فتمر مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا ، أفيجوز لنا الغزل على شعاعها ؟ فقال الإمام أحمد : مَنْ أنت عافاك الله تعالى ؟ فقلت : أخت بشر الحافي ، فبكى الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، وقال : من بيتكم يخرج الورع الصادق ، لا تغزلي في شعاعها)[٤٨] .

وقال الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله تعالى : (عليك بالورع ، وإلا فالهلاك ملازم لك لا تنجو منه أبداً إلا ان يتغمدك الله تعالى برحمته ، فمَنْ سلك العزيمة ولازمها : إنْ سُلِبَ عنه مدد التوفيق والرعاية وانقطعت منه ، حصل من الرخص ولم يخرج عن الشرع ، فإذا أدركته المنية كان على العبادة والطاعة ويشهد له بخير العمل ، ومَنْ وقف على الرخص ولم يتقدم الى العزيمة ، إنْ سُلب عنه التوفيق فقطعت عنه أمداده ، فغلب الهوى عليه وشهوات النفس)[٤٩] .

---

(٤٨) الرسالة القشيرية ، ص ٩١ .

(٤٩) أنظر : فتوح الغيب ، ٨٦ .

المبحث الثاني

الاستقامة

الاستقامة في اللغة : الاعتدال[٥٠] .

وفي الاصطلاح : [حمل النفس على أخلاق القرآن والسنة][٥١] .

ويتم ذلك باتباع الكتاب والسنّة ولزوم الجماعة[٥٢] .

وذلك مدعاة للعبد أن يستقيم في حياته مع ربه ومع نفسه ومع الناس في قوله وعمله وحاله وخلقه وفي كل ما يخطر له من خاطر وما يعنّ له من أفكار[٥٣] .

[وكمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته لأجل العمل به ، ورأس المعرفة اليقينية معرفة الله تعالى واليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ﴾ ، ورأس الأعمال الصالحة ان يكون الإنسان مستقيماً في الوسط غير مائل الى طرفي الإفراط والتفريط ، واليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ ثم استقاموا ﴾[٥٤][٥٥] .

وأما قوله تعالى : ﴿ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[٥٦] .

فالخوف ، غمّ يلحق النفس لتوقّع مكروه في المستقبل ، والحزن : غم يلحقها لفوات نفع في الماضي[٥٧] .

---

(٥٠) مختار الصحاح ٥٥٧ .

(٥١) قواعد التصوف ٢٣ .
وهداية المرشدين : علي محفوظ ، ص ٣٣٧ وما بعدها ، ط ٣ ، مطبعة السعادة ، مصر .

(٥٢) أنظر : رسالة المسترشدين : الحارث المحاسبي ، تحقيق : عبدالفتاح أبي غدة ، ص ١٢٨ ، ط ٢ ، دار السلام .

(٥٣) أنظر : الخلق الحميد في القرآن المجيد : محمد عبدالرحيم عدس ، ص ٤٨ ، ط دار العلوم العربية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(٥٤) سورة فصلت : من الآية (٣٠) ؛ وسورة الأحقاف : من الآية (١٣) .

(٥٥) لباب التأويل في معاني التنزيل : علي محمد ابراهيم الخازن ٨٥/٤ ، ط دار المعرفة ، بيروت .

(٥٦) سورة الأحقاف : من الآية (١٣) .

(٥٧) حاشية الصاوي على الجلالين : أحمد الصاوي المكي ٢٥/٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

وبذلك نعلم ان الله تعالى كفى أهل الاستقامة غم السابق واللاحق ونفاه عنهم في الدنيا والآخرة .

والاستقامة علاوة على ما تجعل لصاحبها من نعيم الآخرة الدائم ، فانها توسعه عليه في الدنيا وبسط في الرزق ، لقوله تعالى : ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً ﴾(٥٨) .

فليس المراد خصوص السقيا ، بل معناه لبسطنا لهم الرزق ووسعنا عليهم في الدنيا(٥٩) .

وقد سأل سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحداً بعدك ؟ قال ﷺ : (قل آمنت بالله فآستقم)(٦٠) .

والأنسان إذا لم تصاحبه الرغبة في الاستقامة في امتثال الأمر واجتناب النهي ، والتطلع الى الفضائل والمكارم ، ضعف إقباله على الخير وأصبح هدفاً للتورط في الآثام(٦١) .

لأن الاستقامة ثمرة للورع والمحاسبة ، وبها كمال الأمور ، ومَنْ لم يكن كذلك ضاع سعيه وخاب جهده ، ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها بعد قوة أنكاثاً ﴾(٦٢) ، ولم يكن اهلًا للارتقاء الى الأسمى ، ولم يبن سلوكه على صحة(٦٣) .

وما من مسلم يصلي صلاة إلا ويقرأ أم الكتاب فيها ، لذلك فكل مسلم وجه قلبه الى ربه ليؤدي الصلاة فرضاً ونفلًا لا بد له في كل ركعة أن يناجي ربه ويقول : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾(٦٤) ، مع انه مهتد ، وفي ذلك وجوه :

الأول : انه لا بد بعد معرفة الله تعالى والاهتداء بها من معرفة الخط المتوسط بين الإفراط والتفريط .

---

(٥٨) سورة الجن : الآية (١٦) .

(٥٩) أنظر : حاشية الصاوي على الجلالين ٤/٢٥٥ .

(٦٠) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام ٦٥/١ ، رقم الحديث [٦٢(٣٨)] .

(٦١) أنظر : روح الدين الإسلامي ، ص ٢٠٠ .

(٦٢) سورة النحل : من الآية (٩٢) .

(٦٣) أنظر : الرسالة القشيرية ، ص ١٦٠ .

(٦٤) سورة الفاتحة : من الآية (٦) .

الثاني : انه وإن عرف الله بدليل فهناك أدلة أخرى ، فمعنى اهدنا : عرفنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وأفعالك .

الثالث : ان معناه بموجب قوله تعالى : ﴿ وان هذا صراطي مستقيماً ﴾[٦٥] .

طلب الإعراض عما سوى الله وإن كان ـ ذلك السوى ـ نفسه ، والإقبال عليه بالكلية حتى لو أمر بذبح ولده ، كآبراهيم عليه السلام ، أو بأن ينقاد للذبح ، كآسماعيل عليه السلام ، أو بأن يرمي نفسه في البحر ، كيونس عليه السلام ، أو بأن يتتلمذ مع بلوغه أعلى درجات الغايات ، كموسى عليه السلام ، أو بأن يصبر في الأمر بالمعروف على القتل والشق نصفين ، كيحيى وزكريا عليهما السلام ، وهذا مقام هائل[٦٦] .

ولعلنا إذا تأملنا قوله تعالى : ﴿ فآستقم كما أُمرت ﴾[٦٧] ، فان فيها دلالة على ذلك كله . والبقاء على الاستقامة الحقيقية مشكل جداً ، وحل هذا الإشكال بمثال يوضحه ، فالخط المستقيم الفاصل بين الظل والضوء جزء واحد لا يقبل القسمة في العرض مع انه لا يمكن تمييز عين الخط عن طرفيه ، وإذا قربنا طرف الظل الى طرف الضوء اشتبه البعض بالبعض . فلم يقع الحس على إدراك ذاك الخط بعينه بحيث يتميز عن كل ما سواه[٦٨] .

من ذلك يقتادنا السير لنعلم سر توحيد الصراط المستقيم في قوله تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيم فآتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾[٦٩] .

وتعدد السبل هو ما بيَّنه رسول الله ﷺ ، كما قال سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : خطَّ رسول الله ﷺ خطاً وقال : (هذا سبيل الله) ، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن يساره ، وقال : (هذه سبل وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه) ، ثم قرأ : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فآتبعوه ولا تتبعوا السبلَ فتفرقَ بينكم عن سبيلهِ ذلك وصاكم به لعلكم تتقون ﴾[٧٠][٧١] .

---

(٦٥) سورة الأنعام : من الآية (١٥٣) .

(٦٦) روح البيان ١/ ١٠ .

(٦٧) سورة هود : من الآية (١١٢) .

(٦٨) أنظر : التفسير الكبير ١٨/ ٧٠ .

(٦٩) سورة الأنعام : من الآية (١٥٣) .

(٧٠) سورة الأنعام : من الآية (١٥٣) .

(٧١) المستدرك على الصحيحين : الحاكم أبو عبدالله محمد النيسابوري ٢/ ٣١٨ ، ط مكتبة

←

وهذا لأن الطريق الموصل الى الله تعالى واحد[٧٢] .

بذلك علمنا كيفية تقويم النفس وحملها على التوسط في جميع أخلاقها حتى تتهذب بذلك وتتحقق به ، فتحسن أخلاقها وتصدر عنها أفعال الخير ، وتصير لها آداب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة خلقاً جبلّياً[٧٣] .

قال بعض المحققين من السادة الصوفية : (الاستقامة في الأقوال : بذل الغيبة ، وفي الأفعال : بنفي البدعة ، وفي الأعمال : بترك العزة ، وفي الأحوال : ببذل الحجة)[٧٤] .

وفي نتائج الأفكار القدسية : (مَنْ أراد نيل الاستقامة فليستخرجها بشرية خوف الفوت بعد الاغتسال بماء عين الندامة ثم يقصد العزلة في كهف جبل الانقطاع آيساً من الأنس بما سوى الله تعالى)[٧٥] .

قال زكريا الأنصاري رحمه الله : (الاستقامة بالنظر الى محالّها خمسة أنواع : استقامة اللسان ، واستقامة القلب ، واستقامة النفس ، واستقامة الروح ، واستقامة السر ، فالأولى بالمنطق في الحكمة ، والثانية بصدق الهمة ، والثالثة بحسن الخدمة ، والرابعة بتعظيم الحرمة ، والخامسة بالاشتغال بالمنعم دون النعمة)[٧٦] .

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى : (إن السالك يكون في سلوكه في أودية التفرقة سائر الى روابي الجمع ، فيستقيم في طريق سيرة غاية الاستقامة ليصل باستقامة الى روابي الجمع ، فاستقامته برزخ بين تلك التفرقة التي كان فيها وبين الجمع الذي يؤمه ويقصده)[٧٧] .

← النصر الحديثة ـ الرياض .

(٧٢) أنظر : مدارج السالكين ١/٨ .

(٧٣) أنظر : شفاء السائل لتهذيب المسائل ٣٥ .
والبناء القرآني للأخلاق : شاكر عبدالجبار ، ص ٦٧ ، ط مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٨٦م .

(٧٤) حياة القلوب ٢/٢١٦ .

(٧٥) نتائج الأفكار القدسية ٣/١٢٧ .

(٧٦) شروح الرسالة القشيرية .

(٧٧) مدارج السالكين ٢/٥٩ .

المبحث الثالث

التبـــــري

التبري من الشيء لغة : التخلي عنه[٧٨] .

واصطلاحاً : التسليم لحول الله وقوته والالتفات الى النفس بين الرضا والتزكية[٧٩] .

وحقيقته إخماد القوى البشرية ، وخلع الصفات البدنية ، والتسليم المطلق لقضاء الله تعالى وقدره ، وتوجيه القلب الى حضرة ربه جل جلاله[٨٠] ، فصحة الاخلاص بالتبري من الحول والقوة[٨١] .

وهذا التسليم يكون على قسمين : أمري ، وقضائي ، أبيِّنهما في مطلبين :

المطلب الأول

التسليـــم الأمـــري

وهو في قوله تعالى : ﴿ فلا وربِّكَ لا يؤمنون حتى يحكّموكَ فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلِّموا تسليماً ﴾[٨٢] .

في هذه الآية ، قَسَم على ان العباد لا يصيرون موصوفين بالإيمان إلا عند حصول شرائط :

---

(٧٨) أنظر : لسان العرب ١٨٢/١ ، مادة (ب ر آ) .

(٧٩) أنظر : إحياء علوم الدين ٣٢٩/١ .

(٨٠) أنظر : شفاء السائل ، ص ٣٩ .

(٨١) أنظر : إيقاظ الهمم ٢٦/١ .

(٨٢) سورة النساء : الآية (٦٥) .

١ ــ ﴿ حتى يحكّموكَ فيما شَجَرَ بينهم ﴾ ، فمَنْ لم يرضَ بحكم رسول الله ﷺ لا يكون مؤمناً ، وتحقيق هذا القول : بأن عقول أكثر الخلق ناقصة وغير وافية بإدراك كثير من الحقائق ، وعقل النبي المعصوم ﷺ كامل مشرق ، فإذا اتصل إشراق نوره بعقول الأمة ، قويت عقولهم وانقلبت من النقص الى الكمال ، ومن الضعف الى القوة ، فقدروا عند ذلك على معرفة الأسرار الإلهية ، ويؤكد هذا ان الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ كانوا جازمين متيقنين ، والذين بعدوا عنه اضطربوا واختلفوا ، وما تولدت القدرية والجهمية والمشبهة والمعطلة إلا بعد زمن الصحابة والتابعين .

٢ ــ قوله تعالى : ﴿ ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ﴾ ، فلا بد من حصول الرضا بحكم رسول الله ﷺ مع سعة الصدر بانتفاء الحرج ، بل ويحصل الجزم واليقين في القلب بأن الذي يحكم به ﷺ هوالحق والصدق ، فحكمه حكم الله تعالى وقضاؤه قضاء الله تعالى .

٣ ــ قوله تعالى : ﴿ وسلّموا تسليماً ﴾ ، فقد يتمرد المذعن للحق بقلبه عن قبول الحق على سبيل العناد ، أو يتوقف في ذلك القبول ، فالتسليم يتم كاملًا ظاهراً وباطناً(٨٣) .

فتدبير العبد لتحصيل الانقياد التام والتسليم والامتثال لأمر الله تعالى واجتناب نواهيه محمود ومأمور به ، فما اجتهد به من ذلك وحصل عليه من فضل فلا يشهد نفسه في ذلك ، فانه من توفيق الله تعالى وفضله عليه ، فيبرأ من رؤية نفسه في ذلك(٨٤) .

---

(٨٣) أنظر : التفسير الكبير ١٠/١٦٤ ـ ١٦٥ .
ومدارج السالكين ٢/٨٣ .

(٨٤) أنظر : التنوير في إسقاط التدبير : ابن عطاء الله السكندري ، ص ٢٧ ، ط مصطفى البابي الجلبي ، مصر .
وإحياء علوم الدين ١/٣٢٩ .

المطلب الثاني

تسليم قضائي (قدري)

بعد ان قدمنا الكلام على التسليم في امتثال الأمر واجتناب النهي ، نصل الآن الى التسليم للمقدر من قضاء الله تعالى ، حيث ليس لأحد فيه شيء ، فإن الله سبحانه وتعالى إذا أورد على عبده حكماً وفتح عليه الفهم عنه ، فانه تعالى أراد أن يحمله عنه ، وذلك ان الفهم يرجع العبد الى ربه ويحثه اليه ، لأن الفهم عن الله تعالى يكشف سر العبودية فيه : ﴿ أليس الله بكافٍ عبده ﴾[٨٥][٨٦] .

عن سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : (ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ، فوالذي لا إله غيره : ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)[٨٧] .

[ان مَنْ نظر في حسن تدبير الله تعالى ، ولطائف صنعه ، وكمال قدرته في كل شيء ، علم انه تعالى قائم على كل نفس بما كسبت ، وان نواصي العباد بيده يقلبهم كيف يشاء . وان سعادتهم وشقاوتهم في ماضي حكمته لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، فمتى تحقق ذلك اعتصم بالله ، واستسلم له ، وفوض أمره بالكلية اليه ، وقام بقدم الاضطرار بين يديه ، وبقي بلا حول ولا قوة ولا اختيار ولا تعليق ولا تدبير ولا سؤال[٨٨] .

---

(٨٥) سورة الزمر : من الآية (٣٦) .

(٨٦) أنظر : التنوير في إسقاط التدبير ، ص ٥ .

(٨٧) صحيح البخاري : كتاب القدر ، باب القدر ١٥٢/٨ .

صحيح مسلم :كتاب القدر ، باب كيفية الخلق ٢٠٣٦/٤ ، رقم الحديث (٢٦٤٣) .

(٨٨) السؤال للخلق أما لله فهو طاعة .

فان راحة الدارين وسرورهما في الاعتصام بالله ، وهمومها في الاعتصام بغير الله ورؤية الحول والقوة بالنفس ، ألا ترى قول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿ قُل لا أملكُ لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ﴾[٨٩][٩٠] .

وإذا قضى الله تعالى أمراً فليس في مقدور كل العباد تحصيل من المناسبات الصحيحة عادة للسببية والمُسببية ومن المباينات المستتبعة للمدافعة والممانعة إلا ما قضى بحكمته وشاء بمحكم قدرته وإرادته[٩١] .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال رجل : يا رسول الله أيُعرف أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : نعم ، قال : فلِمَ يعمل العاملون ؟ قال : كل يعمل لما خلق له أو لما ييسر له (أو يسر له)[٩٢] .

[والعبد لا فعل له ولا اختيار ولا حق غير ان الله تعالى جعل له اكتساباً في أفعاله ، بأن خلق له قدرة تقارن فعله لا تأثير لها فيه ، ولكن يحصل التأثير عندها ، وجعل له مشيئة في العقل تابعة لمشيئته تعالى ، قال تعالى : ﴿ وما تشاؤونَ إلا أن يشاءَ الله ﴾[٩٣] .

فيحس العبد بسبب ذلك التيسير وتلك المشيئة المخلوقين له ظاهراً من نفسه انه يفعل ويترك باختياره وهو في التحقيق لا فعل له ولا اختيار ، بل ذلك كله لله الواحد القهار][٩٤] .

ان الله سبحانه وتعالى إنما كلف الخلق عبادته ، وألزمهم فرائضه ، وبعث اليهم رسله ، وشرَّع لهم دينه ، لغير حاجة دعته الى تكليفهم ، ولا ضرورة قادته الى تعبدهم ، وإنما قصد نفعهم تفضلًا منه عليهم ، كما تفضّل بما لا يحصى من نعمه ، بل النعمة فيما تعبدهم به أعظم ، لأن نفع ما سوى العبادة مختص بالدنيا العاجلة ،

---

(٨٩) سورة الأعراف : من الآية (١٨٨) .

(٩٠) حالة الحقيقة مع الله : السيد أحمد الرفاعي ، جمعة : أبو شجاع الشافعي ، ص ١٩٢ ، ط - مطبعة بسام ، الموصل .

(٩١) أنظر : روح المعاني : أبو الثناء الآلوسي ١٣٦/٩ ، ط المنيرية ، بيروت ، ١٢٦٧هـ .

(٩٢) صحيح البخاري : كتابُ القدر ، باب جف القلم على علم الله ١٥٣/٨ .

(٩٣) سورة الإنسان : من الآية (٣٠) ؛ سورة التكوير : من الآية (٢٩) .

(٩٤) كسف الأسرار : مصطفى محيي الدين ، ص ٥٥ - ٥٦ ، ط ٢ ، المطابع العلمية ، بيروت ، ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م .

ونفع العبادة يشتمل على نفع الدنيا والآخرة[٩٥] .

وجعل ما تعبدهم به من شرع مسموع متبوع ، فالعقل متبوع فيما لا يمنع منه الشرع ، والشرع مسموع ، منعه العقل أو لم يمنعه .

ثم العبد مطالَب بملاحظة جانبي الاختيار والاضطرار ، فمتى ورد عليه الحكم من الله تعالى بأن يفعل أو يترك ووجد اختياراً للقيام به ، فهو مطالَب بالقيام به ، وذلك هو الشريعة ، ومطالب بنسبة التأثير فيه الى الله تعالى وحده لا شريك له ، وذلك هو الحقيقة ، فإن أهمل وتعلل بأنه لا قدرة له ، فقد ضيع الشريعة ، وإن ادّعى لنفسه حولًا أو قوة ، فقد ضيع الحقيقة ، وإن قام بالامتثال وتبرأ من الحول والقوة ، فقد كمل ، وهذا حال أهل السنّة والجماعة[٩٦] .

لذلك وقع في عبارة بعضهم ان هذا التسليم ، مزلة أقدام ومضلة أفهام حير الأنام وأوقع الخصام ، ولم يعد من هذا التسليم سوى التسليم للمصائب والمحن والبلايا التي لا قدرة للعبد على دفعها[٩٧] .

وسيأتي الكلام على هذا في الباب الثالث في فصل الصبر والرضا والتوكل .

وقد خالفت المعتزلة الأصل الذي قدمناه ، فأنكروا إرادة الله سبحانه وتعالى الشر على زعم ان الشر صفة قبيحة ، ولا يصح نسبة إرادتها الى رب العزة جل جلاله ، فعلى هذا ما يقع من أفعال العباد على زعمهم يكون على خلاف إرادة الله سبحانه وتعالى ، والآيات واضحة الدلالة في ذلك ، منها قوله تعالى : ﴿ قُل كلٌّ مِنْ عندِ الله ﴾[٩٨] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ ونَبْلُوَنَّكُم بالشرِ والخيرِ فتنة ﴾[٩٩] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فمَنْ يرد الله أنْ يهديهِ يشرح صدرَهُ للإسلامِ ومَنْ يرد أنْ يُضلَه يجعل صدرَهُ ضيقاً حرجاً كأنما يصعّد في السماء ﴾[١٠٠] .

---

(٩٥) أنظر : أدب الدنيا والدين : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، تحقيق : مصطفى السقا ، ص ٩٤ ، ط المكتبة الثقافية ، بيروت .

(٩٦) أنظر : كشف الأسرار ، ص ٥٦ .

(٩٧) أنظر : مدارج السالكين ٨٣/٢ .

(٩٨) سورة النساء : من الآية (٧٨) .

(٩٩) سورة الأنبياء : من الآية (٣٥) .

(١٠٠) سورة الأنعام : من الآية (١٢٥) .

وأما كون هذا شيئاً قبيحاً أو حسناً ، فمرد ذلك الى الشرع لا الى العقل . فهو تعالى يفعل ما يشاء ويختار ، ولا يُسأل عما يفعل(١٠١) .

وقد يرد علينا قول القائل : فهل معنى هذا التسليم أن نستسلم للمعاني التي ذمّها الشرع لأنها من قدر الله تعالى وإرادته ؟ وإن لم يكن معناه كذلك فما معناه ؟

فأقول وبالله التوفيق : ليس هناك تسليم في الشرع لمثل هذه المعاني التي ذمّها الشرع ، كيف وقد قدمنا ذلك في التسليم الأمري في الامتثال والاجتناب ، [وراكب هذا البحر في سفينة الأمر وظيفته مصادمة أمواج القدر ومعارضتها بعضها ببعض ، وإلا هلك ، فيرد القدر بالقدر ، وهذا سير أرباب العزائم من العارفين ، وهو معنى قول الشيخ العارف القدوة سيدي عبدالقادر الكيلاني قدس الله سره : [الناس إذا وصلوا الى القضاء والقدر أمسكوا إلا أنا ، فانفتحت لي روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق](١٠٢) .

وقد سُئل رسول الله ﷺ فقيل : يا رسول الله ، أرأيت أدوية يتداوى بها ، ورقىً نسترقي بها ، وتقىً نتقيها ، أترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال ﷺ : (هي من قدر الله)(١٠٣) .

وأما الشطر الآخر من الإيراد ، وهو : فما معنى هذا التسليم ؟

معناه : ان الله تعالى إذا أقام عبداً من عباده في مقام من أمر خدمته وطاعته ومرضاته ، فعليه ان يكون مستسلماً منقاداً لقضاء الله تعالى ، صابراً ، بل وراضياً فيما يجري عليه من ابتلاء وجفاء من خلقه خدمة لدين مولاه .

قال الشيخ أحمد زروق : [ومن ثم لزم إسقاط التدبير عند غلبة المقادير ، والقيام بحكم الوقت استسلاماً للأمر والقهر ، إذ هما من رب واحد أمر وقهر ،

---

(١٠١) أنظر : شرح السيد الشريف للمواقف ، ص ٣٦١ ، ط العامرة ، مصر .
وحاشية عبدالحكيم السيالكوتي على شرح المواقف ، ص ٣٦١ ، ط العامرة ، مصر .
وفواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت : محب الله بن عبدالشكور ١/٥٠ ـ ٥٢ ، ط المطبعة الأميرية ، بولاق ، مصر ، ١٣٢٢هـ ، مطبوع مع المستصفى .
وشرح جمع الجوامع : جلال الدين المحلي ١/٤٣ ، ٤٤ ، ط ٢ ، بولاق ، مصر .

(١٠٢) مدارج السالكين ١/١٠٩ .

(١٠٣) سنن الترمذي : كتاب الطب ، باب ما جاء في الرقى والأدوية ٤/٣٤٩ ، حديث رقم (٢٠٦٥) .

﴿ لا يُسأل عما يَفعل وهُم يُسألون ﴾[١٠٤] ، والفرق بينهما ان الأول : حكمه ، والثاني : ما حكم به][١٠٥] .

---

(١٠٤) سورة الأنبياء : من الآية (٢٣) .

(١٠٥) قواعد التصوف ، ص ٧٥ ، قاعدة (٢١٣) .

الفصـــل الثالث

منهـج الذكـر الموصـل الى الاحسـان

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : الذكر

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : فضل الذكر.

وفيه فرعان :

الفرع الأول : فضل الذكر في القرآن الكريم

الفرع الثاني : فضل الذكر في السنة المطهرة

المطلب الثاني : مراتب الذكر

المبحث الثاني : الشكر

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الشكر

المطلب الثاني : فضيلة الشكر في الكتاب والسنّة

المطلب الثالث : شروط الشكر وأركانه

المبحث الثالث : الحياء

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الحياء من الله تعالى

وفيه فرعان :

الفرع الأول : المحاسبة

الفرع الثاني : المراقبة

المطلب الثاني : الحياء من الخلق

المبحث الأول

الـــــذكــــــر

وفيه مطلبـــان :

المطلب الأول

فضــــل الـــذكـــــر

الذكر في اللغة : جري الشيء على لسانك[1] ، وقد يدل على الصيت والثناء[2] .

وفي الاصطلاح : [هو التخلص من الغفلة والنسيان ، والفرق بين الغفلة والنسيان ، ان الغفلة : ترك باختيار الغافل ، والنسيان : ترك بغير اختياره ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولا تكنْ مِنَ الغَافلين ﴾[3] ، ولم يقل : ولا تكن من الناسين ، فإن النسيان لا يدخل تحت التكليف ، فلا ينهي عنه][4] .

وأما أفضل الذكر فقد تواردت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في بيانه ، وأبينها في الفرعين الآتيين :

الفرع الأول : فضل الذكر في القرآن الكريم :

ويتبين فضل الذكر في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعاً :

١ — الأمر به مطلقاً ومقيداً ، أما مطلقاً كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذينَ آمنوا أذكُروا اللّهَ ذكراً كثيراً ﴾[5] .

---

(١) لسان العرب ١/١٠٧ .

(٢) الصحاح : الجوهري ١/٣٢٣ .

(٣) سورة الأعراف : من الآية (٢٠٥) .

(٤) مدارج السالكين ٢/٢٢٠ .

(٥) سورة الأحزاب : الآية (٤١) .

فلم يرد في هذه الآية أي تقييد .

وأما مقيداً : فكقوله تعالى : ﴿ واذكرْ رَبَك في نَفسِكَ تضرعاً وخيفةً ودونَ الجهرِ من القول بالغدُو والآصالِ ﴾[٦] . فتقيد الأمر هنا بالخفاء وعدم الجهر[٧] .

٢ — الإخبار بأن الذكر سبب لاطمئنان القلب ، نحو قوله تعالى : ﴿ ألا بِذِكرِ اللّهِ تطمئنُ القلوب ﴾[٨][٩] .

٣ — النهي عن ضده من الغفلة والنسيان ، نحو قوله تعالى : ﴿ ولا تكُنْ من الغافلين ﴾[١٠] .

وقوله : ﴿ ولا تكونوا كالذينَ نَسوا اللّهَ فأنساهم أنفسهم ﴾[١١][١٢] .

وهذا النسيان جر اليه دوام الغفلة ، فهو مما يدخل في التكليف غير الذي تقدم .

٤ — تعليق الفلاح باستدامته وكثرته ، نحو قوله تعالى : ﴿ واذكُروا اللّهَ كثيراً لعلَّكُم تفلحون ﴾[١٣][١٤] .

٥ — الأخبار بأن قلة الذكر صفة للمنافقين ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّ المنافقينَ يخادعونَ اللّهَ وهو خادعهم وإذا قاموا الى الصلاةِ قاموا كسالى يراؤونَ الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا ﴾[١٥][١٦] .

٦ — الثناء على أهله والإخبار بما أعدَّ لهم من الجنة والمغفرة ، نحو قوله تعالى : ﴿ والذاكرينَ الله كثيراً والذاكرات أعدَّ الله لهم مغفرةً وأجراً عظيماً ﴾[١٧][١٨] .

---

(٦) سورة الأعراف : من الآية (٢٠٥) .

(٧) أنظر : مدارج السالكين ٢/٢١٥ .

(٨) سورة الرعد : من الآية (٢٨) .

(٩) أنظر : أركان الأخلاق في الإسلام ، ص ٣٤ .

(١٠) سورة الأعراف : من الآية (٢٠٥) .

(١١) سورة الحشر : من الآية (١٩) .

(١٢) أنظر : مدارج السالكين ٢/٢١٥ .

(١٣) سورةالأنفال : من الآية (٤٥) ؛ سورة الجمعة : من الآية (١٠) .

(١٤) أنظر : مدارج السالكين ٢/٢١٥ .

(١٥) سورة النساء : الآية (١٤٢) .

(١٦) أنظر : أركان الأخلاق في الإسلام ٣٥ .

(١٧) سورة الأحزاب : من الآية (٣٥) .

(١٨) أنظر : مدارج السالكين ٢/٢١٥ .

٧ — الإخبار عن خسران مَنْ انشغل عنه بغيره ، نحو قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذينَ آمنوا لا تُلهكم أموالُكُم ولا أولادكم عن ذكرِ اللهِ ومَنْ يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾[١٩] .
وما أفدحها من خسارة .

٨ — تسمية طاعات الجوارح ذكراً ، نحو قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاةِ من يومِ الجمعةِ فآسعوا الى ذكرِ الله ﴾[٢٠] .
فقد سمى صلاة الجمعة ذكراً[٢١] .

٩ — انه سبحانه وتعالى جعل ذكره لهم جزاءً لذكرهم له ، نحو قوله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾[٢٢][٢٣] .
فما أعظم ان يتلازم ذكر الله تعالى لعبده مع ذكر العبد لربه ، وهل بعد ذلك من فضل ؟!

١٠ — الإخبار بأنه أكبر من كل شيء ، نحو قوله تعالى : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾[٢٤] .
والمعنى : ان الذكر أكبر من كل شيء ، فهو سلطان القرب والطاعات[٢٥] .

١١ — التهديد والوعيد لمَنْ أعرض عنه ، كما في قوله تعالى : ﴿ ومَنْ أعرضَ عن ذِكْرِي فإن لهُ معيشة ضنكاً ونحشرهُ يوم القيامةِ أعمى ﴾[٢٦] .
وقوله تعالى : ﴿ ومَنْ يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً ﴾[٢٧][٢٨] .

١٢ — انه تعالى جعله ختماً للأعمال الصالحة ، كما كان مفتاحاً ، فمن ذلك : انه سبحانه ختم الصيام به بقوله تعالى : ﴿ ولتكملوا العِدّة ولتكبروا لله

---

(١٩) سورة المنافقون : الآية (٩) . والمصدر السابق .
(٢٠) سورة الجمعة : من الآية (٩) .
(٢١) أنظر : لوامع البينات شرح أسماء الله الحسنى والصفات : فخرالدين محمد الرازي ، ص ٢٩ ، ط المطبعة الشرقية ، مصر ، ١٣٢٣هـ .
(٢٢) سورة البقرة : الآية (١٥٢) .
(٢٣) أنظر : مدارج السالكين ٢/ ٢١٥ .
(٢٤) سورة العنكبوت : من الآية (٤٥) .
(٢٥) أنظر : مدارج السالكين ٢/ ٢١٥ .
(٢٦) سورة طه : الآيتان (١٢٤ - ١٢٥) .
(٢٧) سورة الجن : الآية (١٧) .
(٢٨) أنظر : أركان الأخلاق في الإسلام ٣٥ .

على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾[29] .

وختم به الحج في قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فٱذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً ﴾[30] .

وختم به الصلاة في قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيتم الصلاة فٱذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ﴾[31] .

وختم به صلاة الجمعة في قوله تعالى : ﴿ فإذا قضيتم الصلاة فٱنتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾[32][33] .

١٣ ــ وصف أهل الذكر بأنهم أُولوا الألباب دون غيرهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّ في خلقِ السمواتِ والأرضِ واختلافِ اللّيلِ والنهارِ لآياتٍ لُأولي الألباب الذين يذكرون الله ﴾[34][35] .

١٤ ــ الإخبار بأن الذين نسوا الذكر قد استحوذ عليهم الشيطان ، كما في قوله تعالى : ﴿ استحوذَ عليهم الشيطانُ فأنساهم ذكر الله ﴾[36][37] .

١٥ ــ انه تعالى جعله قرين جميع الأعمال وروحها ، فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح ، فانه سبحانه قرنه بالصلاة كقوله تعالى : ﴿ وأَقِمِ الصلاة لذكري ﴾[38] .

وقرنه بالجهاد وأمر به عند ملاقاة الأعداء ، فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فٱثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾[39][40] .

---

(٢٩) سورة البقرة : الآية (١٨٥) .

(٣٠) سورة البقرة : من الآية (٢٠٠) .

(٣١) سورة النساء : من الآية (١٠٣) .

(٣٢) سورة الجمعة : الآية (١٠) .

(٣٣) أنظر : مدارج السالكين ٢/٢١٦ .

(٣٤) سورة آل عمران : الآيتان (١٩٠ ـ ١٩١) .

(٣٥) أنظر : المصدر نفسه .

(٣٦) سورة المجادلة : من الآية (١٩) .

(٣٧) أنظر : أركان الأخلاق في الإسلام ٣٥ .

(٣٨) سورة طه : من الآية (١٤) .

(٣٩) سورة الأنفال : الآية (٤٥) .

(٤٠) أنظر : مدارج السالكين ٢/٢١٦ .

مما تقدم يتبيَّن لنا ان الله سبحانه وتعالى قد جعل للذكر فضلًا لم يكن لغيره من القربات ، فهو مفتاح لكل خير وملازم لكل قربة ، وخاتم الأعمال الصالحة ، والذاكر جليس ربه ، فلم يكن لأي قربة ما للذكر من فضل .

الفرع الثاني : فضل الذكر في السُـنَّة المطهرة :

وكما رأينا فضل الذكر في القرآن الكريم ، نرد على سلسبيل السنّة ونجده فياضاً في بيان فضل الذكر ، فمن ذلك ما يرويه سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، انه قال : (إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلًا يبتغون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم ، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا ، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء ، قال : فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك ، قال : وماذا يسألونني ؟ قالوا : يسألونك جنتك ، قال : وهل رأوا جنتي ؟ قالوا : لا ، أي رب ، قال : فكيف لو رأوا جنتي ؟! قالوا : ويستجيرونك ، قال : وممَّ يستجيرونني ؟ قالوا : من نارك يا رب ، قال : وهل رأوا ناري ؟ قالوا : لا ، قال : فكيف لو رأوا ناري ؟! قالوا : ويستغفرونك : قال : فيقول : قد غفرت لهم ، وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا ، قال : يقولون : يا رب ، فيهم عبد خطّاء ، إنما مرَّ فجلس معهم ، قال : فيقول : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)[٤١] .

وفي هذا الحديث يتضح فضل الذكر ، وفضل مجالسه والجلوس مع أهله وإن لم يشاركهم[٤٢] .

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه عن سيدنا المصطفى ﷺ فيما يرويه عن ربه قال : (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم)[٤٣] .

فكون العبد يذكر ربه فهو تشريف لذلك العبد ورفعة ، وأما كون رب العزة جل

---

(٤١) صحيح البخاري : كتاب الدعوات ـ باب فضل ذكر الله ٨/١٠٧ ـ ١٠٨ .

صحيح مسلم : باب فضل مجالس الذكر ٤/٢٠٦٩ ـ ٢٠٧٠ ، رقم الحديث (٢٦٨٩) .

(٤٢) صحيح مسلم بشرح النووي (م ٩ ، ج ١٧ ، ص ١٥) ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

(٤٣) صحيح مسلم : كتاب الذكر ـ باب الحث على ذكر الله ٤/٢٠٩١ ، حيث رقم (٢٦٧٥) .

جلاله يذكر عبداً فلا مجد يناله العبد في الدنيا والآخرة أعظم من ذلك .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (سبق المفردون) ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : (الذاكرون الله كثيراً والذاكرات)[٤٤] .

وفي هذا الحديث بين المصطفى ﷺ سبق الذاكرين لعموم أهل القربات مصاديق قوله تعالى : ﴿ لمثل هذا فليعملْ العاملون ﴾[٤٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وفي ذلكَ فليتنافس المتنافسون ﴾[٤٦]

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما شهدا ان رسول الله ﷺ قال : (لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمَنْ عنده)[٤٧] .

فالذاكرون في الدنيا انتقلوا من دناءتها الى أرفع ما فيها ، تحفهم الملائكة ، وتغشاهم الرحمة ، وتنزل عليهم السكينة ، ومع كل هذا الفضل ، يذكرهم الله تعالى فيمَنْ عنده ، فهل كان مثل هذا الفضل لغير الذكر ؟!

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)[٤٨] .

فأي تضاد هذا الذي بين الذكر والغفلة ؟!

---

(٤٤) صحيح مسلم : كتاب الذكر ـ باب الحث على ذكر الله ٤/ ٢٠٦٢ ، حديث رقم (٢٦٧٦) .

(٤٥) سورة الصافات : من الآية (٦١) .

(٤٦) سورة المطففين : من الآية (٢٦) .

(٤٧) صحيح مسلم : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم والذكر ٤/ ٢٠٧٤ ، حديث رقم (٢٧٠٠) .

(٤٨) صحيح البخاري : كتاب الدعوات ـ باب فضل ذكر الله عز وجل ٨/ ١٠٧ .

المطلب الثاني

مـــــراتب الـــــذكـــــر

بعد تقدم فضل الذكر في الكتاب والسنّة ، نأتي الى المراد منه ، فهو باب الترقي في سلَّم العبودية لله سبحانه وتعالى ، وقد فصَّل ابن قيم الجوزية في كتابه (الوابل الصيب من الكلم الطيب) أكثر من مائة فائدة للذكر ، في كل واحدة منها غنيمة لا تحصى منافعها للنفس الإنسانية ، أجمل مختصرها في يأتي :

منها انه يقمع الشيطان ويطرده ، ويرضي الرحمن ، ويزيل الهم والغم عن القلب ، ويجلب له البسط والفرح والسرور ، ويقوي البدن ، وينور الوجه والقلب ، ويجلب الرزق ، ويكسو الذاكر المهابة ، ويورث المحبة ، وفيه جلاء القلب وحياته ، وفيه حسن الإنابة والقرب والمراقبة ، ويحط الخطايا ، ويزيل الوحشة بين العبد وربه ، ويذكر بصاحبه عند الشدة ، وينجي من عذاب الله تعالى ... الى غير ذلك من عظيم الفوائد ومَنْ أراد تفصيل ذلك راجعه في محله(٤٩) .

وأبيِّن الآن مراتب الذكر باعتباره منهجاً للوصول الى حقيقة الإحسان .

١ ـ ذكر اللسان الموافق للقلب :

فمنها ما يكون تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً(٥٠) ، نحو : [سبحان الله والحمد لله ولا إلا إلا الله والله أكبر] ، ومنها ما يكون ذكر دعاء ، نحو : [ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين] ، ونحو : [يا حي يا قيوم برحمتك استغيث] ، أو ذكر حضور ، نحو : [الله شاهدي الله ناظري الله معي](٥١) .

---

(٤٩) أنظر : الوابل الصيب من الكلم الطيب : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن قيم الجوزية . تحقيق : عبدالعزيز عزالدين السيروان ، ٦٧ ـ ١٤٣ ، ط دار الرائد العربي ، بيروت .

(٥٠) أنظر : لوامع البينات ، ص ٢٩ .

(٥١) أنظر : مدارج السالكين ٢/ ٢٢٠ .

ومعالم الطريق في عمل الروح الإسلامي . عبدالله مصطفى النقشبندي ، ص ٢٩٢ . المكتبة الوطنية ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

٢ ـ ذكر بمجرد القلب :

وهذا ثمرة الذكر الأول حيث يتخلص من الغفلة والنسيان والحجب الحائلة بين القلب وربه سبحانه وتعالى مع ملازمة الانتباه والحضور ومناجاة القلب لربه تذللًا وانكساراً وإعظاماً[٥٢] .

وهو على ثلاثة أنواع :

[أ ـ ان يتفكر الإنسان في دلائل الذات والصفات .

ب ـ أن يتفكر الإنسان في دلائل التكليف من الأمر والنهي والوعد والوعيد ، ويجتهد حتى يقف على حكمها وأسرارها وحينئذ يسهل عليه فعل الطاعات وترك المخظورات .

ج ـ أن يتفكر في أسرار مخلوقات الله تعالى حتى تصير كل ذرة من تلك الذرات كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم الغيب ، فإذا نظر العبد بعين عقله اليها وقع شعاع بصره الروحاني منها على عالم الجلال وهذا مقام لا غاية له وبحر لا ساحل له][٥٣].

٣ ـ الذكر الحقيقي :

وسميَ هذا الذكر حقيقياً لأنه منسوب الى رب العزة جل جلاله ، وأما نسبة الذكر للعبد فليست حقيقية ، وهو شهود ذكر الحق عبده ، وانه فيمَنْ اختصه وأهلّه للقرب منه وأهلّه لذكره[٥٤] .

قال الشيخ أبو سعيد الخرازي : (إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره ، فإذا استلذ للذكر ، فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه الى مجلس الأنس ، ثم جعله على كرسي التوحيد ، ثم رفع عنه الحجاب ، وأدخله دار الفردانية ، وكشف له حجاب الجلال بلا هو ، فحينئذ يصير العبد فانياً ، فوقع في حفظه وبرىء من دعاوى نفسه)[٥٥] .

---

(٥٢) أنظر : مدارج السالكين ٢/٢٢١ .

(٥٣) لوامع البينات ، ص ٢٩ .

(٥٤) أنظر : مدارج السالكين ٢/٢٢١ .

(٥٥) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب : محمد أمين الكردي ، ص ٥١٠ ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٢هـ .

المبحث الثاني

الشـــكـــر

إن الله سبحانه وتعالى قرن الشكر بالذكر ، حيث قال : ﴿ فٱذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾[٥٦] .

ومما قيل في الشكر : انه الإمتلاء من ذكر المنعم[٥٧] ، لذلك قرنته بالذكر وجعلته إتماماً لهذا المنهج ، وقد قسَّمته على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

تـعـــريـف الشـــكــــر

الشكر في اللغة : [عرفان الإحسان ونشره][٥٨] ، [والثناء على المحسن بما أولاك من معروف][٥٩] .

وفي التعريفات : [الشكر اللغوي : هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل على النعمة من اللسان والجَنان والأركان .

والشكر العرفي : هو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما الى ما خلق لأجله][٦٠] .

---

(٥٦) سورة البقرة : الآية (١٥٢) .

(٥٧) أنظر : موسوعة أخلاق القرآن ١/١١٢ .

(٥٨) القاموس المحيط ٢/٦٤ .

(٥٩) مختار الصحاح ٣٤٤ .

(٦٠) التعريفات ٨٦ .

وأشار بالعرفي الى عرف علماء الأخلاق ، وهو ذاته ما أسميناه بالاصطلاحي .

وأما الحمد فهو الثناء باللسان على قصد التعظيم ، سواء تعلق بالفضائل ـ وهي : النعمة الراسخة كالعلم والشجاعة ـ أم بالفواضل وهي النِعَم العارضة التي يمكن أن تنفك الى الغير[٦١] .

ومورد الشكر يعم اللسان وغيره ، ومتعلقة يكون النعمة وحدها ، وأما الحمد فمورده اللسان وحده ومتعلقة يعم النعمة غيرها ، فالحمد أعم باعتبار المتعلق وأخص باعتبار المورد والشكر بالعكس ، فبينهما عموم وخصوص من وجه لتحقق تصادقهما في الثناء باللسان في مقابلة الإحسان وتفارقهما في صدق الحمد فقط على النعمة الراسخة وعلى غير نعمة ، وصدق الشكرفقط على الثناء بالجنانِ في مقابلة الإحسان وعلى العمل[٦٢] ، كما في قوله تعالى : ﴿ اعملوا آل داود شكرا ﴾[٦٣] . وهذه النسبة أوفق النسب بين الحمد والشكر.

واستدل بعضهم على انهما بمعنى واحد بصحة قول القائل : الحمد لله شكراً ، وهو دليل على خلال ما ذهب إليه لأن قولك شكراً إنما خصصت به الحمد[٦٤] .

ومنهم مَنْ جعل الحمد أعم مطلقاً من الشكر لعمومه النعم الواصلة الى الحامد وغيره واختصاص الشكر بما يصل الى الشاكر[٦٥] .

وهو صحيح باعتبار المتعلق كما قدمنا ، وأما باعتبار المورد ، فالشكر أعم مطلقاً وبتحقيق الماهيتين تكون النسبة بينهما عموماً وخصوصاً من وجه كما قدمنا .

وينتظم الشكر من علم وحال وعمل ، فالعلم هو الأصل فيورث الحال ، والحال يورث العمل ، فالعلم : معرفة النعمة من المنعم ، والحال : هو الفرح الحاصل بإنعامه ، والعمل : هو القيام بما هو المقصود ، ويتعلق العمل بالقلب والجوارح

---

(٦١) أنظر : المطول شرح التلخيص : سعدالدين التفتازاني ، ص ٦ ، ط الطباعة العامرة ، مصر ، ١٢٠٩هـ .

والمختصر شرح التلخيص : سعدالدين التفتازاني ١/ ٣٤ ـ ٣٧ ، ط بولاق ،. مصر ، ١٣١٧هـ .

(٦٢) أنظر : المصدرين السابقين .

(٦٣) سورة نبأ : من الآية (١٣) .

(٦٤) أنظر : الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٣٣ .

(٦٥) أنظر : شرح مطالع الأنوار : قطب الدين محمد الرازي ، ص ٤ ، دار الطباعة العامرة ، مصر .

واللسان[٦٦] .

والعلم بأن النِعَم على اختلاف أنواعها من الله تعالى وحده واجب ، لأنه من الإيمان بالله تعالى لقوله تعالى : ﴿ وما بكم من نعمةٍ فمن الله ﴾[٦٧] .

والحال الناشيء عن العلم هو شكر بنفسه ، لأنه مراد لذاته وهو واجب ، لأنه من الإيمان بالله تعالى وثمرة من ثمراته ، وعمل الشكر مراد لذاته ، لأن استعمال النعمة فيما خُلقت له من تمام الحكمة ، ومراد لغيره لحفظ النِعَم والزيادة عليها[٦٨] ، لقوله تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنَّكم ﴾[٦٩] .

---

(٦٦) أنظر : إحياء علوم الدين ٤/٨٦ ؛ وخلق المؤمن : عبدالأمير قبلان ، ص ٤٨ ـ ٤٩ ، ط الدار العلمية ، بيروت .

(٦٧) سورة النحل : من الآية (٥٣) .

(٦٨) أنظر : معراج السالكين : حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ، ص ٦٤٦ ، ط مطبعة السعادة ، مصر ١٣٤٣هـ ـ ١٩٠٤م .

(٦٩) سورة ابراهيم : من الآية (٧) .

المطلب الثاني

فضيلة الشكر

حثَّ القرآن الكريم وحثّت السنّة النبوية الشريفة على الشكر ، وهو واجب على كل مكلف لقوله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنوا كُلوا من طيباتِ ما رَزَقنَاكُم واشكروا اللّه إنْ كنتم إيّاه تعبدون ﴾[٧٠] .

ولقوله تعالى : ﴿ فأذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾[٧١] .

وقد جعل اللّه تعالى : الكفر ضد الشكر في هذه الآية .

ولعلو رتبة الشكر ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وقليلٌ من عبادي الشكور ﴾[٧٢][٧٣] .

وقد وعد اللّهُ بالزيادة لمَنْ شكر وقطعِ بذلك ، فقال تعالى : ﴿ لئِنْ شَكَرتُم لازيدنَّكم ﴾[٧٤] .

مع انه علق أشياء كثيرة على المشيئة ، كما في قوله تعالى : ﴿ فسوف يغنيكم اللّهُ مِنْ فضلهِ إنْ شاء ﴾[٧٥] .

وقوله تعالى : ﴿ فيكشف ما تدعون إليه إنْ شاءَ ﴾[٧٦] .

وقوله تعالى : ﴿ يرزق مَنْ يشاء ﴾[٧٧] .

وقوله تعالى : ﴿ ويغفرُ ما دونَ ذلك لمَنْ يشاء ﴾[٧٨] .

---

(٧٠) سورة البقرة : الآية (١٧٢) .

(٧١) سورة البقرة : الآية (١٥٢) .

(٧٢) سورة نبأ : من الآية (١٣) .

(٧٣) أنظر : إحياء علوم الدين ٨٥/٤ .

(٧٤) سورة ابراهيم : من الآية (٧) .

(٧٥) سورة التوبة : من الآية (٢٨) .

(٧٦) سورة الأنعام من الآية (٤١) .

(٧٧) سورة آل عمران : من الآية (٣٧) .

(٧٨) سورة النساء : من الآية (٤٨) .

وقوله تعالى : ﴿ ويتوب اللّهُ على مَنْ يشاء ﴾[79][80] .

ويوصف رب العزة جل جلاله بأنه شكور توسعاً ومعناه في حقه تعالى انه يجازي العباد على الشكر ، أي يثيبهم عليه فسمى جزاء الشكر شكراً[81] .

ولقد كان رسول الله ﷺ أولى مَنْ قام لله تعالى شكراً أحق قيام .

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، ان النبي ﷺ صلّى حتى تورمت قدماه ، فقيل له : أتكلف هذا وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فقال ﷺ : (أفلا أكون عبداً شكوراً)[82] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال :(الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر)[83] .

كما أفادت السنة الشريفة الى فضيلة شكر مَنْ أسدى اليك معروفاً من الخلق .

عن النعمان بن بشر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (مَنْ لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومَنْ لم يشكر الناس لم يشكر الله)[84] .

وقال رسول الله ﷺ : (أشكر الناس لله أشكرهم للناس)[85] .

وقدمنا ان الشكر واجب شرعاً ، ولكنه لا يجب عقلًا خلافاً للمعتزلة ، فمَنْ لم تبلغه دعوة نبي لا يأثم بتركه لانتفاء لازمة من ترتب العقاب والثواب ، لقوله تعالى : ﴿ ومَا كُنا معذبينَ حتى نَبعثَ رسولا ﴾[86] .

---

(٧٩) سورة التوبة : من الآية (١٥) .

(٨٠) أنظر : المصدر السابق .
ومختصر منهاج القاصدين : نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن الشيخ أبي عمر بن قدامة المقدسي ، ص ٢٨٤ ، مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، ١٣٤٧هـ .

(٨١) أنظر : شرح الرسالة القشيرية للأنصاري ٣/٦٥ - ٦٦ .

(٨٢) صحيح البخاري : كتاب التهجد - باب قيام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه ٢/٦٠ .
صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ٤/٢١٧١ ، حديث رقم (١٨١٩) .

(٨٣) سنن الترمذي : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع - باب (٤٣) ٤/٥٦٣ ، رقم الحديث (٢٤٨٦) ، وقال عنه : حديث حسن غريب .

(٨٤) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة - باب ما جاء في الشكر لمَنْ أحسن اليك ٤/٢٩٨ ، رقم الحديث (١٩٥٤) ، وقال عنه : حديث حسن صحيح .

(٨٥) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة - باب ما جاء في الشكر لمَنْ أحسن اليك ٤/٢٩٩ ، رقم الحديث (١٩٥٥) ، وقال عنه : حديث حسن صحيح .

(٨٦) سورة الإسراء :من الآية (١٥) .

وذكر (معذبين) اكتفاءاً ، أي : وما كنا مثيبين حتى نبعث رسولًا أيضاً[٨٧] .

ولو كان الشكر واجباً عقلًا لوجب لفائدة ، واللازم باطل ، فأي فائدة يرجوها الشكر ولم يرد شرع يعده بذلك ، والواجب العقلي من غير فائدة عبث غير سديد ، وأما كون إيجابه عبثاً ، فهو أشد لأنه افتراء على الله تعالى لتعاليه عن الفائدة والعبث علواً كبيراً[٨٨] .

والنعم التي أنعم الله تعالى بها ، منها ما هو نعمة إيجاد ، وهي : الإظهار من عالم الغيب الى عالم الشهادة ، من عالم الأمر الى عالم الخلق ، ومنها ما هو نعمة إمداد وهي : قيامه تعالى بما تقوم به بنية خلقه وتكفله بها ، وهاتان النعمتان عامتان ، واختص الإنسان بما اجتمع فيه من الضدين وهما النور والظلمة ، واللطافة والكثافة ، فلو بقيَ الإنسان في عالم الملكوت ، لم يتمتع بنعمتي الأجسام والأرواح معاً ، بل بنعمة الروح فقط ، وقد جمعها الله تعالى له نعمة منه وفضلًا ، وبها جعل مزية الآدمي في المعرفة أعظم[٨٩] .

والغفلة التي تصرف العبد عن الشكر على النِعَم عامها وخاصها تنسيه واجباً له أهمية كبيرة في سلوكه ، فكم من غافل عن نعمة التنفس مثلًا ، لأنها عامة له ولغيره من البشر ، بل تعم حتى الحيوانات ، ولو فقد هذه النعمة عرف قدرها وأهميتها .

ولما كان الشكر على النِعَم العامة واجباً ، فالشكر على النعم الخاصة واجب من باب أولى ، ولما كان الشكر على الآلاء والنعم واجباً ، سيدور القلب في ادائه للشكر متفكراً بآلاء وأنعم الله تعالى حتى تنعدم غفلته عن ربه جلّ جلاله ، فيكون ذاكراً لمولاه حقاً . يعبده كأنه يراه ، فيحوز بذلك فضيلة الذكر والفكر والشكر في وقت واحد .

---

(٨٧) شرح المحلى على جمع الجوامع ٤٦/١ ـ ٥٨٠ .

(٨٨) أنظر : شرح القاضي عضد الملة والدين لمختصر المنتهى ٢١٦/١ ، ط الأميرية ، بولاق ، مصر ، ١٣١٦هـ .

والمستصفى من علم الأصول : الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ٦١/١ ، الأميرية ، بولاق ، مصر ١٣٢٢هـ .

وفواتح الرحموت ٤٧/١ .

(٨٩) أنظر : إيقاظ الهمم ١٤٤/١ .

المطلب الثالث
شـــروط الشكـــر وأركانـــه

إن الشكر ثمرة من ثمرات المعرفة ، لذا يشترط فيه معرفة ثلاثة أشياء :

١ ـ معرفة المنعم :

ومن معرفة المنعم تنبعث المحبة ، فينقاد العبد بالإنابة والخضوع والتعظيم .

٢ ـ معرفة النعمة :

ومعرفة النعمة تبعث على الاعتراف بها ، وهو حقيقة الشكر ، والشكر وعد الله عليه بالزيادة ، والزيادة يلزمها الدوام .

٣ ـ معرفة عدو النعمة والمنعم :

وهذه المعرفة تبعث على الخوف ، ولازم الخوف الحذر ، وهو يبعث على الأدب(٩٠) .

وأما أركان الشكر فهي خمسة :

١ ــ الخضوع لله تعالى .

٢ ــ الحب له .

---

(٩٠) أنظر : المناظر الإلهية : عبدالكريم الجيلي ، ص ٦٨ ، الطباعة الفنية المتحدة ، مصر ، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م .

والمواقف : محمد عبدالجبار النفري ، ص ١٠٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٤م .

والمعرفة عند مفكري المسلمين : محمد غلاب ، ص ٦٤ ، ط دار الجيل ، الفجالة ، مصر ، ١٩٦٦م .

والإنسان الكامل في الإسلام : د. عبدالرحمن بدوي ، ص ٢٥٠ ، الناشر : وكالة المطبوعات ، الكويت .

والمهرجان : الشيخ أحمد زيدان ، تحقيق : عبدالعزيز سلطان طاهر المنصوب ، ص ٥٨ ، ط دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

٣ — الاعتراف بنعمته .

٤ — الثناء عليه بها .

٥ — أن لا يستعملها فيما يكره[٩١] .

ومن هذه الأركان والشروط نصل الى حقيقة ، وهي ان كمال الشكر من العبد غير ممكن ويخرج عن مقدوره وذلك من وجوه :

١ — ان شكر النعمة مشروط بمعرفة تلك النعمة ، ومعرفة نِعَم الله تعالى يستحيل حصرها ، لقوله تعالى : ﴿ وإنْ تعدّوا نعمةَ اللّهِ لا تُحصوها ﴾[٩٢] .
فإذا كانت معرفة النِعَم شرط لإمكان الشكر ، وكانت هذه المعرفة غير حاصلة ، كان الشكر غير ممكن[٩٣] .

٢ — ان شكر النعمة مخلوق للمنعم ، وذلك الشكر نعمة أعظم من تلك النعم ، فكيف يعقل شكر نعمته من غير نعمته[٩٤] .
وعندئذ يجب الشكر على الشكر الى ما لا نهاية لذلك ، قال عليه الصلاة والسلام : (سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)[٩٥][٩٦] .

٤ — ان لله سبحانه وتعالى ـ حتى في الرزايا والمحن عند التمعن وتدقيق النظر والفكر ـ ألطافاً خفية تحار فيها العقول وتقف عندها نهى الحاذقين من أهل المعرفة ، فكيف للعبد أن يحيط بمعرفة مثل هذه الألطاف ، ثم كيف له أن يحيط بها شكراً[٩٧] .

---

(٩١) أنظر : مدارج السالكين ١٣٦/٢ .

(٩٢) سورة ابراهيم : من الآية (٣٤) .

(٩٣) أنظر : لوامع البينات ١٩٢ .

(٩٤) أنظر : المصدر السابق .

(٩٥) صحيح مسلم : كتاب الصلاة ـ باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٢/١ ، رقم الحديث (٤٨٦) .

(٩٦) أنظر : أبو البركات سيدي أحمد الدردير : تحقيق : د. عبدالحليم محمود ، ص ٩٨ ، مطبعة حسان ، القاهرة .

(٩٧) أنظر : أدب الإسلام : صالح حمدي ، ص ٢٥٧ ، ط مدرسة والدة عباس الأول ، ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م .

٣ — ان الله سبحانه وتعالى يعطي على الشكر نعمة زائدة لقوله تعـالى : ﴿ لَئِنْ شكَرتكم لأزيدَنَّكُم ﴾[٩٨] .

فإن وقع الشكر في مقابلة النعمة السابقة ، بقيت اللاحقة بلا شكر ، وإن وقع الشكر في مقابلة اللاحقة ، بقيت السابقة بلا شكر ، وعلى كِلا التقديرين لا يفي شكر العبد نعمة ربه[٩٩] .

٥ — ان الله سبحانه وتعالى يعطي العبد مع استغنائه عنه ، والعبد يشكره مع افتقاره اليه ، فكيف يقع هذا الشكر الصادر عن الحاجة والافتقار في مقابلة الإنعام الذي هو محض تفضّل وإحسان[١٠٠] .

مما تقدم علم ان العبد عاجز تمام العجز عن الإحاطة بشكر نعمة مولاه ، وانه ليس له في شكره شيء ، بل هو نعمة عظمى من نِعَم الله تعالى عليه ، لذلك يلزم العبد دوام الإنكسار والإفتقار الى الله عز وجل منيباً اليه من شدة تقصيره في شكره .

وسأل السري الجنيد عن الشكر وهو صبي ، فقال الجنيد : الشكر (أن لا يستعان بشيء من نعم الله على معاصيه)[١٠١] .

وهذا هو الشكر حقيقة على لسان سيد الطائفة رحمه الله تعالى .

---

(٩٨) سورة ابراهيم : من الآية (٧) .

(٩٩) أنظر : لوامع البينات ١٩٣ .

(١٠٠) أنظر : المصدر نفسه .

(١٠١) مدارج السالكين ١٣٧/٢ .

المبحث الثالث

الحيـــــاء

الحياء في اللغة : الحشمة(١٠٢) .

وفي الاصطلاح : انقباض النفس وحشمتها حذراً مما يستقبح ويذم عليه(١٠٣) .

وهو على نوعين :

١ ـ جبلّي :

هو ما جبلت عليه النفوس البشرية كلها ، كالحياء من كشف العورة ، والجماع بين الناس(١٠٤) .

٢ ـ مكتسب :

وهو منع المؤمن نفسه عن فعل ما يُذم عليه خوفاً من الله(١٠٥) .

وتجلت صورة الحياء واضحة في حلتها البهية في عصر الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم أجمعين ، وتزينوا به أثراً من آثار كثيرة تشرفوا بها في صحبتهم لرسول الله ﷺ ، فعن سالم عن أبيه رضي الله عنهما ، قال : ان رسول الله ﷺ سمع رجلًا يعظ أخاه في الحياء ، فقال رسول الله ﷺ : (دعه فإن الحياء من الإيمان)(١٠٦) .

---

(١٠٢) القاموس المحيط ٤/٣٢٣ ، مادة (ح ي ي) .

(١٠٣) أنظر : التعريفات ٦٥ .

وهامش الموطأ ٢/٩٠٥ .

والبريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية : أبو سعيد الخادمي ٣/٨٨ ، ط الشركة الصحفية ، استانبول ، ١٣١٨هـ .

(١٠٤) التعريفات ٦٥ .

(١٠٥) أنظر : المصدر نفسه .

(١٠٦) صحيح البخاري : كتاب الأدب ـ باب الحياء ٨/٣٥ .

صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب بيان شعب الإيمان وفضيلة الحياء ١/٦٣ ، رقم الحديث [٥٩ (٣٦)] .

الأدب المفرد : البخاري ، ص ١٥٧ ، مطبعة أوفسيت طشقند ، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م .

وعن سعيد بن العاص ان عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان رضي الله عنهما حدثاه : (ان أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مِرط[١٠٧] عائشة رضي الله عنها ، فأذن لأبي بكر - رضي الله عنه . وهو كذلك ، فقضى اليه حاجته ثم انصرف ، ثم استأذن عمر - رضي الله عنه - فأذن له وهو على تلك الحال ، فقضى اليه حاجته ، ثم انصرف ، قال عثمان : ثم استأذنت عليه فجلس ، وقال لعائشة : (أجمعي عليك ثيابك ، فقضيت اليه حاجتي ثم انصرفت ، فقالت عائشة : يا رسول الله ، مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - كما فزعت لعثمان ؟! قال رسول الله ﷺ : (ان عثمان رجل حيي واني خشيت إن أذنت له وأنا على تلك الحال ان لا يبلغ إلي في حاجته)[١٠٨] .

وفي رواية أخرى لمسلم : (ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)[١٠٩] .

وفي مسند الإمام أحمد حديث الحسن وذكر عثمان رضي الله عنه وشدة حيائه ، فقال : (إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق ، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء ، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه)[١١٠] .

قال الإمام الجنيد : [رؤية الآلاء ، ورؤية التقصير ، يتولد بينهما حالة تسمى الحياء ، وحقيقته خلق يبعث على ترك القبائح ، ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق][١١١] .

وفاقد الحياء في أربع دركات ، كل ظلمة أوحش من التي تسبقها :

الأولى : أن يخلو عن العلم بالحسن والقبيح ، وبقي على أصل فطرته ، فهذا أسرع لقبول العلاج ، فإن لقي مرشداً ، يحسن خلقه في أقرب زمان .

الثانية : يعرف القبيح ولكن زين له سوء عمله ، ومع ذلك علم تتصيره ، وهذا أضعف من الأول : إذ تضاعفت فيه الوظيفة بقلع ما غرس فيه أولًا ، ويغرس مواد الصلاح ثانياً .

---

(١٠٧) المِرط : بكسر الميم كساء من الصوف . القاموس المحيط ٢/٣٩٩ .

(١٠٨) أنظر : البخاري : كتاب الأدب المفرد ، ص ١٥٧ ، باب الحياء ٢٧١ .

(١٠٩) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة - باب فضل عثمان رضي الله عنه ٤/١٨٦٦ ، حديث رقم (٣٤٠٢) .

(١١٠) مسند الإمام أحمد ٢/٥٤٤ ، رقم الحديث (٥٤٣) ، ط ٢ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥١م .

(١١١) أنظر : موسوعة أخلاق القران ١/٩٤ .

ثالثاً : يعتقد الأخلاق القبيحة حقاً وجميلًا ، وتربى على ذلك ، فهذا يكاد يمتنع معالجته ، ولا يرجى صلاحه إلا على الندرة ، وذلك تضاعف فيه أسباب الضلال .

الرابعة : نشأ على الضلال والفساد ، ومع ذلك يرى الفضل فيه ، ويتباهى وهذا أسوأ درك ، فالأول : جاهل ، والثاني : جاهل وضال ، والثالث : جاهل وضال وفاسق ، والرابع : جاهل وضال وفاسق وشرّير(١١٢) .

فأنظر الى فقد الحياء الى أي مهلكة يؤدي بصاحبه ، ومَنْ تزيّن به يرفعه الى قِمَمِ مكارم الأخلاق ، وسنوغل في تفاصيل ذلك :

فالحياء نوعان : حياء من الحق ، وحياء من الخلق(١١٣) .

لذا قسَّمت هذا المبحث الى مطلبين :

---

(١١٢) أنظر : البريقة ٣/٨٦ .

(١١٣) أنظر : نتائج الأفكار القدسية ٣/١٤٤ .

المطلب الأول
الحيـــاء من الحـــــق

الحياء من الله تعالى سلك تدخل فيه لآلىء الفضائل لتكتمل قلادة الأخلاق الفاضلة ، لذلك قال رسول الله ﷺ : (الحياء والإيمان قرنا جميعاً ، فإذا رفع أحدهما رفعا جميعاً)[114] .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال : (استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : انّا نستحي من الله يا رسول الله والحمد لله ، قال : ليس ذلك : ولكن الاستحياء من الله حق الحياء : أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، ولتذكر الموت والبلى ، ومَنْ أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمَنْ فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء)[115] .

قال السري : الحياء من الله : [إطراق الرأس إجلالًا لعظيم الجلال][116] .

وقال ذو النون : الحياء من الله : [وجود الهيبة في القلب ، مع حشمة ما سبق منك الى ربك][117] .

ولقد علم المؤمن ان الله تعالى أحاط بكل شيء علماً ، فلا تخفى عليه خافية ، فيلزمه الحياء من الله تعالى لأنه آمن ان الله تعالى سيسأله يوم القيامة عما فعل ، فيخجله ما يشينه ، فإذا علم ذلك وجب عليه ان يترك ما يخجله في ذلك الموقف ، وهذا هو الحياء من الله تعالى[118] .

---

(١١٤) مستدرك الحاكم ١/ ٢٢ : كنز العمال ، حديث (٥٧٦١) : الترغيب والترهيب للمنذري ٣/ ٤٠٠ .

(١١٥) سنن الترمذي : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع - باب (٢٤) ٤/ ٥٥٠ ، رقم الحديث (٢٤٥٨) مسند الإمام أحمد - باب (٤٠١) ، ص ٣٨٧ .
الجامع الصغير ١/ ٣٨ .

(١١٦) عوارف المعارف ص ٥١٥ .

(١١٧) المصدر نفسه .

(١١٨) أنظر : الوصايا لابن عربي (ت ٦٣٨) ، ص ٦٣ - ٦٤ ، ط كرم ، دمشق ، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م .

وقد تفاوت أهل الطاعة في الطاعة في عملهم لله تعالى ، فمنهم مَنْ عمل خوفاً من الله تعالى ، ومنهم مَنْ عمل رجاء فيه ، ومنهم مَنْ عمل حياء ، وأشرفهم قدراً مَنْ عمل حياء[119] .

وينطوي في ثنايا الحياء مقامات منها ، المحاسبة والمراقبة ، فسأبيِّن ذلك في فرعين :

الفرع الأول : المحاسبة :

المحاسبة في اللغة : العد والإحصاء[120]

وفي الاصطلاح : تمييز العبد ما له وما عليه فيستصحب ما له ويؤدي ما عليه[121] ، قال تعالى : ﴿ وٱعلموا انَّ اللّهَ يعلمُ ما في أنفُسِكم فٱحذروه ﴾[122] .

وإذا نظرت الى هذه الآية الكريمة علمت انه وجب على كل مسلم عاقل أن يحاسب نفسه ويستعد ليوم قال رب العزة جل جلاله فيه : ﴿ يومَ تَجدُ كُلُّ نفسٍ ما عَمِلَتْ من خير محضراً وما عملت مِنْ سوءٍ تَودُ لَو أنَّ بينها وبينهُ أمداً بعيداً ﴾[123][124] .

لذلك تجد ان سلف هذه الأمة ما زال سابقهم يوصي اللاحق بها ، فقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل ان توزنوا ، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿ يومئذٍ تعرضونَ لا تخفى مِنْكم خَافية ﴾[125])[126] .

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : [ان المؤمن قوَّام على نفسه يحاسبها لله عز وجل ، وإنما خف الحساب يوم القامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ،

---

(١١٩) أنظر : عوارف المعارف ٥١٦ .

(١٢٠) أنظر : القاموس المحيط ٥٦/١ .
ومختار الصحاح ١٣٤ ـ ١٣٥ .

(١٢١) مدارج السالكين ٩١/١ .

(١٢٢) سورة البقرة : من الآية (٢٣٥) .

(١٢٣) سورة آل عمران : من الآية (٣٠) .

(١٢٤) أنظر : أدب الإسلام ٢٥٠ .

(١٢٥) سورة الحاقة : الآية (١٨) .

(١٢٦) سنن الترمذي : كتاب القيامة ـ باب (٢٥) ٥٥٠/٤ ، رقم الحديث (٢٤٥٩) .

وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة ، ان المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول : والله اني لأشتهيك وانك لمن حاجتي ، ولكن والله ما من وصلة اليك هيهات حيل بيني وبينك ، ويفرط منه الشيء ، فيرجع الى نفسه ، فيقول : ما أردت الى هذا ؟ ما لي ولهذا ؟ والله ما لي عذر بها ووالله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله ، ان المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم ، ان المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل يعلم انه مأخوذ عليه في ذلك كله](١٢٧) .

ورويَ عن الربيع بن خيثم انه كان إذا أصبح وضع قرطاساً وقلماً لا يتكلم بشيء إلا كتبه وحفظه ثم يحاسب نفسه عند المساء(١٢٨) .

هذا شيء من آثار سلفنا الصالح ، انهم كانوا يحاسبون أنفسهم في الدنيا ، وهكذا ينبغي للمسلم ان يحاسب نفسه في الدنيا قبل حساب الآخرة ، لأن حساب الدنيا أيسر ، ومهما يكن من حساب الدنيا إذا وضع مع ندامة الآخرة لا وزن له(١٢٩) .

وقد أورد الإمام الغزالي في الإحياء تفصيلًا لماهية المحاسبة ، قد أوضحها تمام الإيضاح بالمثال ، أوجزه فيما يأتي :

معنى المحاسبة عند الشركاء في التجارة ، أن ينظر كل شريك في رأس المال وفي الربح والخسارة ، فما كان من فضل استوفاه وشكره ، وما كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل ، ورأس مال العبد في دينه الفرائض ، وربحه النوافل والفضائل ، وخسارته المعاصي ، وموسم التجارة جملة النهار ، فيحاسب نفسه على الفرائض أولًا ، فإن أداها على وجهها ، شكر الله تعالى ورغب في مثلها ، وإن فوتها ، طالبها بالقضاء ، وإن أداها ناقصة جبرها بالنوافل ، وإن ارتكب معصية بادر الى التوبة والإستغفار وتدارك ما فرّط(١٣٠) .

وتدارك ما فرط سيأتي تفصيله في الباب الثالث في موضوع التوبة ، وكلامنا هنا في تصفية أدران الجسد المعنوية ، فعليه بالصيام أولًا ، لقوله عليه الصلاة والسلام ، (يا معشر الشباب مَنْ استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض البصر وأحصن

---

(١٢٧) حلية الأليباء ١٥٧١٢ .

(١٢٨) سراج الطالبين على منهاج العابدين ٢٨/٢ .

(١٢٩) المصدر نفسه .

(١٣٠) أنظر : إحياء علوم الدين ٤٣٠/٤ .

للفرج ، ومَنْ لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[١٣١] .

وإذا كان ميسوراً تصدق لقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذا الذي يقرضُ اللّهَ قرضاً حسناً فيضاعفهُ لهُ أضعافاً كثيرة واللّهُ يقبضُ ويبسطُ وإليه ترجعون ﴾[١٣٢] .

أما أركان المحاسبة ، فثلاثة :

١ — شكر نعمة الله تعالى ، وتمييز النعمة من الفتنة .

٢ — علم العبد بأن المعصية عليه حجة ، والطاعة منّة من الله تعالى .

٣ — عدم الرضا عن النفس بطاعتها فانه يورث الغرور والكبر مع عدم رؤية نفسه على مَنْ عصى الله تعالى من العباد[١٣٣] .

قال الجنيد : [لو أقبل مقبل على الله سنة ثم أعرض عنه لكان ما فاته منه أكثر مما ناله] .

ويشهد لقول الجنيد قوله تعالى : ﴿ فيُضاعفهُ لهُ أضعافاً مُضاعفة ﴾[١٣٤][١٣٥] .

فإذا تم للعبد التمكن في هذا المقام وصارت له قدم راسخة فيه حل في المراقبة لأنها مؤداها ونتيجة لمقدماتها .

الفرع الثاني : المراقبة :

المراقبة في اللغة : المراعاة والحفظ[١٣٦] ، والحذر والحراسة[١٣٧] .

وفي الاصطلاح : استدامة علم العبد باطلاع الحق على ما في داخل قلبه

---

(١٣١) صحيح البخاري : كتاب النكاح ـ باب قول النبي ﷺ : (مَنْ استطاع منكم الباءة فليتزوج) ٣/٧ .
صحيح مسلم : كتاب النكاح ـ باب استحباب النكاح ١٠٩/٢ ، رقم الحديث [٣ (١٤٠٠)] .

(١٣٢) سورة البقرة : الآية (٢٤٥) .

(١٣٣) أنظر : منازل السائرين الى رب العالمين ٥/١ ؛ والتمكين ١٨ ـ ٢٠ .
ومدارج السالكين ١٩/١ ـ ٩٤ .

(١٣٤) سورة البقرة : من الآية (٢٤٥) .

(١٣٥) أنظر : قواعد التصوف ٧٥ .

(١٣٦) أنظر : لسان العرب ٤٢٧/٤ .

(١٣٧) أنظر : القاموس المحيط ٧٧/١ ، مادة : (ر ق ب) .

وضميره في جميع أحواله[١٣٨] .

ويوصف رب العزة جل جلاله بأنه رقيب ، وجاء ذلك في القرآن الكريم في سورة المائدة على لسان سيدنا عيسى عليه السلام : ﴿ فلمَّا توفيتَني كُنتَ أنتَ الرقيبَ عليهم ﴾[١٣٩] .

وجاء أيضاً في القرآن الكريم في سورة النساء : ﴿ إنَّ اللّهَ كان عليكم رقيباً ﴾[١٤٠] .

وفي سورة الأحزاب : ﴿ وكان اللّهُ على كل شيءٍ رقيباً ﴾[١٤١][١٤٢] .

وحقيقة المراقبة ان تكون مع اللّه تشهده في جميع أحوالك من أخذ وعطاء ، فإنك لن تخلو في نفسك من أخذ وعطاء إلهي ، وأول ذلك أنفاسك التي بها حياتك ، فيأخذ منك نفسك الخارج بما خرج من ذكر بقلب أو لسان ، فإن كان خيراً ضاعف لك أجره ، وإن كان غير ذلك فمن كرمه وعفوه يغفر لك ذلك ويعطيك نفسك الداخل بما شاء وهو وارد وقتك ، فإن ورد بخير فهو نعمة من اللّه فقابلها بالشكر ، وإن كان غير ذلك مما لا يرضى اللّه تعالى فأسأله المغفرة والتجاوز والتوبة[١٤٣] .

وقد صور القرآن الكريم المراقبة بأدق من هذا ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ ألمْ يعلموا أنَّ اللّهَ يعلمُ سرّهم ونجواهم وانَّ اللّهَ علَّامُ الغيوب ﴾[١٤٤] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وما تكونُ في شأن وما تتلوا من قرآن ولا تعملونَ مِنْ عملٍ إلا كنا عليكم شهوداً إذْ تُفيضونَ فيهِ وما يَعزُبُ عن ربكَ من مثقالِ ذرةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ ولا أصغَرَ من ذلك ولا أكبرَ إلا في كتابٍ مبين ﴾[١٤٥] .

ومنها قوله تعالى : ﴿ يَعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدور ﴾[١٤٦] .

---

(١٣٨) أنظر : لوامع البينات ٢٠٦ . والتعريفات ١٤١ .
والمعجم الصوفي في الحكمة في حدود الكلمة : د. سعاد الحكيم ، ص ٧٢٧ ، ط دندره ، بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

(١٣٩) سورة المائدة : من الآية (١١٧) .

(١٤٠) سورة النساء : من الآية (١) .

(١٤١) سورة الأحزاب : من الآية (٥٢) .

(١٤٢) أنظر : موسوعة أخلاق القرآن ١/٨ .

(١٤٣) الوصايا : محيي الدين بن عربي ، ص ٣٤ ، ط مطبعة كرم .

(١٤٤) سورة التوبة : الآية (٨٧) .

(١٤٥) سورة يونس : الآية (٦١) .

(١٤٦) سورة غافر : من الآية (١٩) .

وليست المراقبة أمراً سهلًا طيعاً على النفس ، بل لا بد معه في بادىء الأمر من تكلف وجهد حتى يلزمها إياها في كل لحظة ، فتعلم علم اليقين ان الله سبحانه وتعالى مطلع عليها ، عالم بأسرارها ، رقيب على أعمالها ، قائم عليها وعلى كل نفس بما كسبت ، وبذلك تصبح مستغرقة بملاحظة جلال الله وكماله ، شاعرة بلذة الأنس في ذكره ، أحاطت هيبته بها علماً ، ترتاح في طاعته ، وتطمئن في جواره ، مقبلة عليه ، معرضة عما سواه(١٤٧) .

ومَنْ تحقق بهذا المقام لا يمكنه الالتفات الى الخلق من حيث ذواتهم ، فإن دنا منهم ، فلأمر فيه مرضاة ربه(١٤٨) ؛ قد اجتمع لديه الهيبة والحياء من ربه(١٤٩) .

والذي يطرأ على الفكر والقلب أمور مترتبة الواحدة على الأخرى ، وقد نظموا في ذلك :

مـــراتب القصـــد خمس هـــاجس ذكـــروا
فخـــاطـــر فحـــديث النفس فـــآستمعـــا
يليـــــه هم فعـــــزم كلهـــــا رفعت
ســـوى الأخير ففيـــه الأخذ قـــد وقعا(١٥٠)

ومؤاخذة الشرع على العزم الذي هو آخرها .

[والعزم عقد القلب على الشيء ، فمَنْ عقد قلبه على أمر وأراده ، قدر عليه وتيسرت أسبابه](١٥١) ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، قال الحسن : [رحم الله عبداً وقف عند همه ، فإن كان لله مضى ، وإن كان لغيره تأخر](١٥٢) .

والخاطر : ما يرد على القلب من الخطاب الذي لا عمل للعبد فيه ، وما كان خطاباً فهو أربعة أقسام(١٥٣) : رباني بلا واسطة ، ونفساني ، وملكي ،

---

(١٤٧) أنظر : منهاج السلم : أبو بكر الجزائري ، ص ٨٥ ، ط دار القادسية ، الاسكندرية .

(١٤٨) أنظر : مشارق أنوار القلوب : عبدالرحمن بن محمد المعروف بأبن الدباغ ، ص ٧٨ ـ ٧٩ ، ط صادر ، بيروت ، ١٣٣٩هـ ـ ١٩٥٩م .

(١٤٩) أنظر : طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب : عبدالعزيز الدريني ، ص ١٨٠ ، ط محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، الأزهر .

(١٥٠) أنظر : حاشية الصاوي على الجلالين ١/١١١ .

(١٥١) أنظر : دروس أخلاقية ومعلومات مدنية ، ص ٦١ .

(١٥٢) مختصر منهاج القاصدين ٣٩٦ .

(١٥٣) التعريفات (٦) .

وشيطاني[154] .

١ - ربـــاني :

وهو ما وافق أصلًا شرعياً لا يدخله رخصة ولا هوى ، وهو أول الخواطر ، وهو لا يخطىء أبداً ، وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع[155] ، ويعقبه برودة وانشراح[156] .

٢ - مـلـكـي :

[وهو الباعث على مندوب أومفروض ويسمى إلهاماً][157] .

٣ - نفســاني :

وهو ما فيه حظ النفس وسميَ هاجساً[158] ويعقبه يبس وانقباض[159] .

٤ - شـيطـاني :

وهو ما يدعو الى مخالفة الحق ، قال تعالى : ﴿ الشيطانُ يَعدكُم الفقرَ ويأمركمْ بالفَحشاء ﴾[160][161] .

وقال الجنيد : [مَنْ تحقق في المراقبة ، خاف على لحظة من وقته لم يكن فيها مع ربه][162] .

وحين سئل بِمَ يستعان على غض البصر ؟ قال : [بعلمك ان نظر الناظر اليك أسبق من نظرك الى المنظور له][163] .

وتنقسم المراقبة الى قسمين :

---

(١٥٤) قواعد التصوف ، ٦٧ قاعدة (١٩١) .

(١٥٥) التعريفات (٦٥) .

(١٥٦) قواعد التصوف ، ص ٦٧ قاعدة (١٩١) .

(١٥٧) التعريفات ٦٥ .

(١٥٨) المصدر نفسه .

(١٥٩) أنظر : قواعد التصوف ، ص ٦٧ .

(١٦٠) سورة البقرة : من الآية (٢٦٨) .

(١٦١) التعريفات ٦٦ .

(١٦٢) التمكين ٨٤ .

(١٦٣) منهاج المسلم ٨٥ .

١ ـ مراقبة العلم :

وهي الإشراف على ان الله تعالى هو المنفرد بالأحكام ، فيشفق العبد ويرتاح فيما أوقعه به أو زواه عنه ، وذلك يكون عند خواطر القلوب وأول دعائها وعند عزوبها وعقودها وعند ابتداء الأفعال بالجوارح وفي أثنائها وقبل التمام وبعد الختام ، وذلك يختلف باختلاف كمال العلم والجهل بالأحكام(١٦٤)

٢ ـ مراقبة الحال :

وهي إفعام قلب العبد بانفراد الحق في الأفعال ، ورؤية مَنْ سواه بعين الافتقار الى النوال من غير تخلل غفلة إلا اليسير الجاري مثله على الصالحين(١٦٥) .

وقد أجمع أهل طريق الله تعالى على ان مراقبة الله تعالى في الخواطر والسنحات هي أقرب الطرق ، وبها يبلغ العبد أعلى الدرجات(١٦٦) .

وعلم العبد باطلاع مولاه عليه يجنبه كل ما يكره مولاه ، إن عرض له فعله وذلك حياء من الله تعالى وإلا خاف المقت إن ركن الى شيء من ذلك(١٦٧) .

---

(١٦٤) أنظر : نتائج الأفكار القدسية ٣/٩٢ .

(١٦٥) أنظر : المصدر نفسه .

(١٦٦) أنظر : التمكين ٨٤ .

(١٦٧) أنظر : المسائل في أعمال القلوب والجوارح ، ص ١٥٠ .

المطلب الثاني

الحـيـــاء من الخـلـق

وهو إما ان يكون جبلّياً تأصل من العفة والمروءة ، وإما ان يكون مكتسباً ، وسببه ملازمة مَنْ يستحي منه كأهل العلم والأدب(١٦٨) .

قال رسول الله ﷺ : (ان لكل دين خلقاً ، وخلق الإسلام الحياء)(١٦٩) .

وقال ﷺ : (الحياء خير كله)(١٧٠) .

وقال ﷺ : (الحياء لا يأتي إلا بالخير)(١٧١) .

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت)(١٧٢) .

قال الإمام النوري في هذا الحديث : [صيغة الأمر إما للإباحة : أي إذا أردت أن تفعل شيئاً ، فإن كان بحيث لا يستحيى من الله ومن الناس في فعله فافعله ، وإلا فلا] .

يقول سعد الدين التفتازاني : معناه إذا أنت لم تستحِ من صنع أمر ، فذلك دليل على جواز ارتكابه وصنعه .

ثم قال الإمام : وعلى هذا مدار الإسلام .

قال السعد : وتوجيهه ان أفعال الإنسان إما أن يستحيى منها أو لا ، فالأول يشمل الحرام والمكروه وتركهما هو المشروع ، والثاني يشمل الواجب والمندوب

---

(١٦٨) أنظر : نتائج الأفكار القدسية ٣/١٤٤ .
وشرح الرسالة القشيرية ٣/١٤٤ .
وأدب الدنيا والدين ٢٤١ .

(١٦٩) موطأ الإمام مالك ٤٧ ، كتاب حسن الخلق ـ ٢ ما جاء في الحياء ، رقم (٩) ٢/٩٠٥ .

(١٧٠) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب شعب الإيمان ١/٦٤ ، رقم الحديث [٦١ (٣٧)] .

(١٧١) المصدر نفسه .

(١٧٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء ـ باب حدثنا أبو اليمان ٤/٢١٥ و ٨/٣٥ ؛ والأدب المفرد للبخاري ـ باب الحياء ، ص ١٥٦ ، رقم الحديث (٥٩٧/٢٧١) ؛ والرواية للبخاري .

والمباح ، وفعلهما مشروع في الأولين جائز في الثالث ، فعلى هذا يتضمن الأحكام الخمسة][173] .

قلت : الحياء باعث على كل الأفعال من الطاعات ، وباعث على الاجتناب في المنهيات ، وعلى الحياء مدار كل الأخلاق والفضائل ، وبعدمه بعث كل الرذائل ، والله أعلم .

ثم قال الإمام النووي : [أو للتهديد : أي فافعل ما شئت فان الله يجازيك عليه ، ويكون هذا تعظيماً لأمر الحياء وتبياناً لموضعه عند فقده][174] .

قلت : والذي أراه ان القول الثاني هو الراجح ، لأن القرينة في قوله ﷺ : (إذا لم تستحِ) ، أي : إذا عدمت الحياء ، فلا يمكن ان يحمل أمر (فاصنع) إلا للتهديد أو التحقير ، ولا يحمل للإباحة ، والله أعلم .

وعن أبي واقد الليثي : ان رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل نفر ثلاثة ، فأقبل أثنان الى رسول الله ﷺ ، وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول الله ﷺ ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً ، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم : فآوى الى الله فآواه الله ، وأما الآخر : فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر : فأعرض فأعرض الله عنه)[175] .

فأنظر الى عظمة الحياء وفي أي سنام للفضائل استقر واستوى ، فاستحياء المرء من ذوي الهيبة وارد لكل ذي لب ، ولكن استحياء الله من العبد لحيائه أمر يبعث على الدهشة لوقوع هذا الحياء عند الله تعالى بهذه المثابة ،

ومن الناس مَنْ يتجلى فيه الحياء ، بحيث يحب ان يرى في طريق المسجد ، ولا يحب أن يرى في طريق السوق ، ومنهم مَنْ يأتي باب المسجد فيجد الناس قد صلوا فيرجع معهم حياء[176] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ أشد حياء

---

(١٧٣) أنظر : منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين ، ص ٤١٥ .

(١٧٤) أنظر : المصدر نفسه .

(١٧٥) صحيح مسلم : كتاب السلام ـ باب مَنْ أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها ١٧١٣/٤ ، رقم الحديث (٢١٦٧) .

(١٧٦) أنظر : قواعد التصوف ، ٦٣ ، قاعدة (١٧٣) .

من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه)[177] .

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال : (ما كان الحياء في شيء إلا زانه ، ولا كان الفحش في شيء إلا شانه)[178] .

وعن مسروق قال : كنا جلوساً مع عبدالله بن عمرو يحدثنا إذ قال : (لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً)[179] .

قال مالك بن دينار : [ما عاقب الله تعالى قلباً بأشد من أن يسلب منه الحياء][180] .

وقال ابن عطاء الله : [ربما استحيا العارف ان يرفع حاجته الى مولاه لاكتفائه بمشيئته ، فكيف لا يستحي ان يرفعها الى خليقته][181] .

فالحياء فضيلة ما دام في مشروع لا معصية فيه ولا كراهة ، وإذا كان في أمر فيه معصية الله فهو جبن ورذيلة وليس بحياء[182] .

وثمرة الحياء : أمن المقت ، وأمن العذاب ، مع خفة الحساب ، وعدم الدعوى ، وكثرة الثواب[183] .

---

(١٧٧) صحيح البخاري : كتاب الأدب المفرد ، ص ١٥٦ ، باب الحياء ، رقم الحديث (٥٩٩/٢٧١) .
وصحيح مسلم : كتاب الفضائل ـ باب كثرة حياءه ﷺ ٤(١٨٠٩ ـ ١٨١٠ ، رقم الحديث (٢٣٢٠) .

(١٧٨) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في الفحش والتفحش ٣٠٧/٤ ، رقم الحديث (١٩٧٤) .
والأدب المفرد ، ص ١٥٧.

(١٧٩) صحيح البخاري ٢٣٠/٤ ، باب حسن الخلق والسخاء .
البخاري في الأدب المفرد (٢٧١) ١٣٥ ، باب حسن الخلق .
صحيح مسلم : كتاب الفضائل ـ باب كثرة حيائه ﷺ ١٨١٠/٤ ، رقم الحديث (٢٣٢١) .
مسند الإمام أحمد ١٦١/٢ ، ١٨٩ ، ١٣٣ .

(١٨٠) تنبيه المغتربين ، ص ١١٦ .

(١٨١) غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية : أبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن عباد النفري الرندي ، تحقيق : د. عبدالحليم محمود ، ود. محمد بن شريف ٦٧/٢ ، ط مطبعة السعادة ، مصر .

(١٨٢) البريقة المحمودية ٩١/٣ .

(١٨٣) شرح الرسالة القشيرية ١٤٤/٣ .



الباب الثاني

في الـــــرذائـــــل

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : آفات اللسان

الفصل الثاني : أمراض القلب

الفصل الثالث : حب الدنيا

الفصل الأول

آفـــات اللســـان

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول : لفظ الفكر

المبحث الثاني : الغيبة والنميمة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الغيبة

المطلب الثاني : النميمة .

المبحث الثالث : الكذب وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الكذب في اليمين.

المطلب الثاني : الكذب في القول

المطلب الثالث : مواضع إباحة الكذب

المبحث الرابع : المراء والجدال

المبحث الخامس : السب واللعن وفضول الكلام ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : السب

المطلب الثاني : اللعن

المطلب الثالث : فضول الكلام

المبحث السادس : الشعر والغناء ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الشعر

المطلب الثاني : الغناء

تمهيد

قدمت دراسة الرذائل وخطرها وعلاجها على الفضائل ، ذلك لقاعدة صوفية تقول : التخلية قبل التحلية . أي إزالة الكدورات والأمراض والعلائق الفاسدة من المرء مقدم على اتصافه بالأخلاق الفاضلة والمزايا الحميدة .

وقدمت دراسة آفات اللسان ، لأن اللسان جمع المحسوسات والمعقولات ، وهذه المزية لم تكن لعضو غيره ، فخطره أكبر من سائر الأعضاء ، فهو صغير الجرم ، عظيم الطاعة والجرم ، لا يستبين الكفر والإيمان إلا بنطقه ، وهما غاية الطاعة والعصيان ، وله في الخير مجال رحب ، وله في الشر ذيل سحب[1] .

وحفظ اللسان واجب على كل مكلف من كل لفظ يشينه إلا كلاما فيه مصلحة مما أبيح شرعا ، وهذا أيضاً تركه من السنة لأنه قد ينجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه ، وذلك كثير في عادة الناس والسلامة لا يعدلها شيء[2] ، وهي مقدمة على **الغنيمة** .

لذلك دعا القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة الى ترك هذه الرذائل المتمثلة بالكذب والغيبة والنميمة والفحش والسب والبذاءة والمراء والجدال والسخرية والاستهزاء وفضول الكلام والخوض في الباطل ، وهذا ضرب مثال لا حصر خصال ، وسأستشهد بآيات وأحاديث في كل باب ، والآن أذكر ما يدل على عظيم خطر اللسان .

---

(١) أنظر : إحياء علوم الدين ١١٧/٣ .

(٢) أنظر : رياض الصالحين ، ص ٤٢٩ .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ ما يلفظُ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ ﴾[3] .
أي ما يتكلم بشيء إلا كتب له أو عليه .
وأما في السُنّة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)[4] .
وهذا الحديث جعل لمَنْ التزم به فضيلة اللسان لا يعدلها شيء وهي الحكمة فلا يتكلم إلا بخير .
وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أي المسلمين أفضل ؟ قال : (مَنْ سلم المسلمون من لسانه ويده)[5] .
فكأن هذين العضوين آلتان إن سلما من الأذى صلح الجسد كله ، وإن عاثا فساداً ألقيا الجسد في المهالك ، ويتضح ذلك في اللسان أكثر من حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه ، حيث قال : قال رسول الله ﷺ (مَنْ يتكفل لي ما بين لحييه وما بين رجليه أتكفل له بالجنة)[6] .
فالذي بين اللحيين هو اللسان ، وما بين الرجلين هو الفرج ، فمَنْ أمكنه التحكم فيهما فلا يطلقهما من القيد إلا في حلال ، ضمن له رسول الله ﷺ الجنة .
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها يرفعه الله بها درجات ، وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم)[7] .

---

(٣) سورة ق : الآية (١٨) .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الرقاق ـ باب حفظ اللسان ٧/١٢٥ .
والبخاري في الأدب المفرد (١٠٢) ـ باب الوصاة بالجار ، ص ٣٧ .
وصحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير ١/٦٨ ، رقم الحديث (٧٤) .

(٥) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب بيان تفاضل الإسلام وأي الأمور أفضل ١/٦٥ ، رقم الحديث [٦٤ (٤٠)] .

(٦) صحيح البخاري : كتاب الرقاق ـ باب حفظ اللسان ٧/١٢٥ .
وسنن الترمذي : كتاب الزهد ـ باب ما جاء في حفظ اللسان ٤/٥٢٤ ، رقم الحديث (٢٤٠٨) ، وقال عنه : حسن صحيح .

(٧) رواه البخاري : كتاب الرقاق ـ باب حفظ اللسان ٧/١٢٥ واللفظ له .
والموطأ : الإمام مالك : كتاب الكلام ـ باب يؤمر به من التحفظ في الكلام ٢/٩٨٦ .

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : (قلت يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك)[٨] .

ففي هذا الحديث عدَّ رسول الله ﷺ أول دعائم النجاة : إمساك اللسان .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ، قال : لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على مَنْ يسره الله تعالى عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلًا ، ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل ، ثم تلا : ﴿ تَتَجافى جُنُوبُهم عن المضاجع ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ يعملون ﴾ ، ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسانه ، قال : كف عليك هذا ، قلت : يا رسول الله ، وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك !!! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)[٩] .

وقد آثرت أن أكتب هذا الحديث بطوله ليبين عظم خطر اللسان في ديننا وشريعتنا ، فحديث رسول الله ﷺ يقول : (ملاك ذلك كله) وأخبر (لا يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفّر اللسان ، فتقول : إتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا)[١٠] .

وهذا نزر يسير من فيض أحاديث شريفة كثيرة تحكي عظيم خطر اللسان ، وسآتي على بيان غالب آفات اللسان تفصيلًا .

---

(٨) سنن الترمذي ٣٧ : كتاب الزهد ـ باب ٦٠ ، ما جاء في حفظ اللسان ٥٢٣/٤ ، رقم الحديث (٢٤٠٦) ، وقال : حديث حسن .

(٩) موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ، ص ٣٦ ، رقم (٣١) للحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيتمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥١هـ .

(١٠) سنن الترمذي : كتاب (مَنْ٣) الزهد ـ باب (٦٠) ، ما جاء في حفظ اللسان ٥٢٣/٤ ، رقم الحديث (٢٤٠٧) ، وقال : أصح من حديث عتبة .
والدر المنثور للسيوطي ٣٠٧/٦ .

وآفات اللسان إما في السكوت أو في الكلام ، والكلام على ضربين : فبعضه الأصل فيه المنع ، والإذن فيه لعارض ، ومنه ما هو على العكس ، وذلك إما في العادات أو العبادات[11] .

وسآتي على بيان ذلك في المباحث الآتية بطريقة لف ونشر غير مرتب لسعة تفصيلات هذا الباب وتقديم المبحث وتأخيره ، إما على حساب الخطر الذي فيه أو على كثرة مداولة الناس له ليأتي السعي منا بالثمر والفائدة .

---

(١١) أنظر : الطريقة المحمدية ١٢٩ .

المبحث الأول

الكلام بلفظ الكفر

وهي قد تكون بلفظ السب لله تعالى وكتبه وملائكته وأنبيائه ، أو بإنكار أمر من أمور الدين مما علم بالضرورة ، سواء قالها استهزاءا أو عنادا أو اعتقادا ؟ وتسري عليه أحكام المرتد ، وقد قال رسول الله ﷺ : (مَنْ بدل دينه فاقتلوه)[12] .

وقول أكثر أهل العلم انه يجب أن لا يقتل حتى يستتاب ثلاثا منهم عمر وعلي وعطاء والنخعي ومالك والثوري والأوزاعي واسحق وهو أحد قولي الشافعي[13] .

والقول الآخر للشافعي انه لا تجب استتابته ، لكن تستحب ، وهو قول عبيد بن حجر وطاووس ، ويروى ذلك عن الحسن للحديث المتقدم ، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ، لأن المرتد قد بلغته الدعوة ، ودعوة مَنْ بلغته الدعوة غير واجبة ، بل مستحبة[14] .

ولا فرق بين النساء والرجال في وجوب القتل ، روى ذلك عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما ، وبه قال الحسن والزهري والنخعي ومكحول وحماد ومالك والليث والأوزاعي والشافعي وأحمد بن حنبل واسحق واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام :

---

(١٢) سنن الدارقطني : الإمام علي بن عمر الدارقطني ١٠٨/٣ ، رقم الحديث (٩٠) ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، الحجاز ، ١٣٨٦هـ .
وسنن الترمذي : كتاب الحدود ـ باب ما جاء في المرتد ٤٨/٤ ، رقم الحديث (١٤٥٨) ، وقال : صحيح حسن ، تصحيح وتحقيق : السيد عبدالله هاشم يماني المدني ، دار المحسن للطباعة ، القاهرة .

(١٣) أنظر : المغني : أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ١٦/٩ ، ط دار الفكر ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م .
ومغني المحتاج الى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : الشيخ محمد الشربيني الخطيب ١٢٩/٤ ، ط الميمنية ، مصر ، ١٣٠٨هـ .

(١٤) أنظر : المغني ١٦/٩ .
وفتح القدير : كمال الدين محمد بن عبدالواحد المعروف بأبن الهمام ٣٨٥/٤ ـ ٣٨٦ ، ط. مكتبة المثنى ، بغداد .

(منْ بدل دينه فاقتلوه)[15] .

وقوله ﷺ : (لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث ، الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه والمفارق للجماعة)[16] ؛ من غير تفصيل .

روى الدارقطني عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان رجل له امرأة ولدت له ولدين ، قال : فكانت تؤذي رسول الله ﷺ فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجز ، قال : فذكرته ذات يوم فقام اليها بمعول فوضعه في بطنها ثم اتكأ عليها حتى أنفذه ، فقال رسول الله ﷺ (ألا اشهدوا ان دمها هدر)[17] .

وروى عن علي والحسن وقتادة انها تسترق ولا تقتل ، ولأن أبا بكر استرق نساء بني حنيفة وذراريهم وأعطى علياً منهم امرأة فولدت له محمد بن الحنفية ، وكان هذا بمحضر من الصحابة فكان إجماعاً[18] .

وأما عند أبي حنيفة وأصحابه فان المرأة لا تُقتل ولكن تُحبس أبداً حتى تسلم أو تموت ، لأن النبي ﷺ نهى عن قتل النساء ، فقال : (لا تقتلوا النساء والصبيان)[19] .

وهذا مطلق يعم الكفر أصلياً وعارضاً ، وثبت ذلك بالعلة في الحديث من عدم حراب المرأة والصبي ، فكان مخصصاً لعموم ما روي[20] .

ولا يحكم بزوال ملك المرتد بمجرد ردته ، قال ابن المنذر : أجمع على هذا كل منْ نحفظ عنه من أهل العلم ، وعلى هذا إن مات أو قتل كافراً زال ملكه فيكون فيئاً في بيت مال المسلمين ، وإن رجع الإسلام فملكه باق ، وقال أبو بكر : يزول ملكه بردته

---

(١٥) سنن الترمذي : كتاب الحدود ـ باب ما جاء في المرتد ٨٤/٤ ، رقم الحديث (١٤٥٨) ، وقال : صحيح حسن .

(١٦) صحيح مسلم : كتاب القسامة ـ باب ما يباح به دم المسلم ١٣٠٢/٣ ، رقم الحديث ٢٥ (١٢٧٦)] .

(١٧) سنن الدارقطني : باب في المرأة قتل إذا ارتدت ٢١٦/٤ ، رقم الحديث (٤٧) .

(١٨) أنظر : المغني ١٦/٩ .
ومغني المحتاج ١٢٩/٤ .

(١٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : باب ما نهى عن قتل النساء ٣١٥/٥ ورجاله رجال الصحيح .

(٢٠) أنظر : فتح القدير ٣٨٨/٤ .
والعناية على الهداية : أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي ، مطبوع بهامش فتح القدير ٣٨٨/٤ ، ط مطبعة المثنى ، بغداد .

وإن راجع الإسلام عاد اليه تمليكاً مستأنفاً لزوال عصمته بردته[21].

وهذا قول من ثلاثة أقوال للشافعية أظهرها الوقف وهو قول الأئمة أبي حنيفة ومالك وأحمد، وقال أصحاب أبي حنيفة: لا يزول ملكه فلا يتنافى الكفر والملك، وهو ثالث أقوال الشافعية[22].

وأما بضع الزوجة ونكاحها فينفسخ في الردة، فإن راجع عاد العقد نافذاً بإسلامه، هذا على قول مَنْ قال بالوقف ومَنْ قال بزوال الملك فتعود زوجته بعد عقد مستأنف ولا بقاء للقول الثالث إذ لا تحل المسلمة لكافر أو مشرك[23].

والمرتد لا يورث إن مات على ردته وماله فيء في بيت مال المسلمين، جرى على ذلك جمهور المسلمين[24].

وقال أبو حنيفة: إن مات المرتد أو قُتل على ردته انتقل ما اكتسبه في إسلامه الى ورثته المسلمين وكان ما اكتسبه في حال ردته فيئاً، وقال أبو يوسف ومحمد: كلاهما لورثته[25].

وجمهور العلماء على جعل أمواله كلها فيئاً في بيت مال المسلمين، إذ لا توارث بين ملتين[26].

والردة محبطة للعمل، وقال الشافعي: محبطة لثواب الأعمال، لذا فالجمهور على لزوم الحج إن كان حج قبل الردة لحبوط عمله، ولا يلزمه ذلك عند الشافعية، كالصلاة في الدار المغصوبة فانها صحيحة مسقطة للقضاء، لكن لا ثواب فيها، وعلى هذا سائر أعماله[27].

والإجماع على حرمة ذبيحته وحلّ قتله، فإن لم يتب وجب قتله فيتأبد في النار[28].

وهذا فيمَنْ أطلق لفظ الكفر أو ما يشير الى ردته من غير سبق لسان، ويكفي

---

(٢١) المغني ٢٠/٩.

(٢٢) أنظر: مغني المحتاج ١٣١/٤؛ وفتح القدير ٣٩٠/٤؛ والمغني ١٢٦/٨، ١٢٧.

(٢٣) أنظر: شرح المحلي للمنهاج ١٨٧/٤؛ والمغني ٢٠/٩.

(٢٤) أنظر: المغني ١٩/٩؛ ومغني المحتاج ١٢٨/٤.

(٢٥) أنظر: فتح القدير ١٩/٩؛ والعناية ٣٩١/٤.

(٢٦) أنظر: المغني ١٢٦/٨؛ ومغني المحتاج ١٢٨/٤.

(٢٧) أنظر: مغني المحتاج ١٢٣/٤.

(٢٨) أنظر: الطريقة المحمدية ١٣٠.

لتوبته ان يبرأ مما قاله ويتوب منه ثم ينطق بالشهادتين ويندم على ما فعل ويعمل صالحاً لقوله تعالى : ﴿ إلا مَنْ تاب وآمن وعمل صالحاً فأُولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾[٢٩] .

---

(٢٩) سورة الفرقان : الآية (٧٠) .

المبحث الثاني

الغيبـــة والنميمـــة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول

الـــغـــيـــبـــة

الغيبة في اللغة : ذكرك المرء بعيب فيه ، تقول : غابه وتعني عابه وذكره بما فيه من السوء كاغتيابه ، والغيبة : فعلة منه وقد تكون حسنة أو قبيحة[30] .

وفي الاصطلاح : هي ذكر مساوىء أخيك المعين المعلوم عند المخاطب أو محاكاتها أو تفهيمها باليد ، أو غيرها من الجوارح على وجه السب والبغض في غيبته[31] .

ولا يرد ان أوردنا الغيبة في آفات اللسان بأنها تأتي بغير اللسان فذلك نادر .

وحكمها : التحريم قطعاً لقوله تعالى : ﴿ ولا يَغتبْ بَعضُكم بعضاً أيحب أحَدُكم أنْ يأكلَ لحمَ أخيهِ ميتاً فكرهتموه واتقوا اللّهَ إنَّ اللّهَ توّابٌ رحيم ﴾[32] .

وقوله تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ يرمونَ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ لُعِنُوا في الدنيا والآخرةِ ولهم عذابٌ عظيمُ ﴾[33] .

---

(٣٠) أنظر : القاموس المحيط ١/١١٥ ، مادة (غ ي ب) .

(٣١) أنظر : الطريقة المحمدية ١٣٣ .

(٣٢) سورة الحجرات : الآية (١٢) .

(٣٣) سورة النور : الآية (٢٣) .

وأما في السنّة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته)[34] .

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفية كذا وكذا ، قال بعض الرواة : تعني قصيرة ، فقال ﷺ : (لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)[35] ، أي أنتنته .

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : مَنْ هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذي يأكلون لحم الناس ويقعون في أعراضهم)[36] .

بعد استعراض هذه النصوص يتبيَّن لنا عظم خطر الغيبة ، وأوضح في الفرع التالي أنواعها ، وما خفيَ منها ، وخطر ذلك كله ثم علاجه .

الفرع الأول : أنواع الغيبة وخطرها وعلاجها :

إن اللسان في كل آفة من آفاته يستطيل فتتنوع كل آفة الى أنواع وبذلك يعظم خطره وتجسَّم محنته ، واذكر أنواع الغيبة ما دمت بصدد بحث ماهيتها وخطرها ، فمن ذلك :

١ — أن تغتاب وتقول : لست أغتاب لأني أذكر ما فيه ! فهذا كفر ، لأنه استحلال

---

(٣٤) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة ـ باب تحريم الغيبة ٤/٢٠٠١ ، رقم الحديث (٢٥٨٩) .

وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في الغيبة ٤/٢٩٠ ، رقم الحديث (١٩٣٤) ، حديث صحيح .

(٣٥) سنن الترمذي : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ـ باب رقم (٥١) ٤/٥٧٠ ، رقم الحديث (٢٥٠٢) ، حسن صحيح .

(٣٦) رواه أبو داود في سننه : باب تحريم الغيبة ، رقم الحديث (٤٨٧٩) مرفوعاً ومرسلاً .

ومسند الإمام أحمد ٢٠/٢٥٧ ، مؤلف الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني .

والمسند الجامع : د. بشار عواد معروف ٢٠/٢٤٢ ، ط مطبعة الأوقات ، بغداد ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

للحرام القطعي[٢٧] ، لأنه مما علم من الدين بالضرورة ، فينبغي الاحتراز عنها لئلا توره في مهلكة الردة ، فمَنْ كان عارفاً بالنصوص ، فقد استحل الحرام القطعي ، والجاهل يرشد الى خطورة ذلك .

٢ — أن يغتاب المرء أحد ثم لا تبلغ الغيبة اليه ، فتوبته أن يستغفر الله ويتوب لنفسه ولمَنْ اغتابه ، ولا يخبر صاحبه بها ، فهو أحسن لكي لا يشتغل قلبه به[٢٨] ، فيجر ذلك الى مصائب أكبر ونوازل أفدح .

٣ — أن يغتاب وتبلغ الغيبة الى مَنْ اغتابه ، فهذه معصية لا تتم التوبة عنها إلا بعد ان يبرأ من حق مَنْ اغتابه ، فانه من حقوق العباد ، ثم يستغفر الله عسى الله ان يتوب عليه[٣٩] .

٤ — وأخبث أنواع الغيبة ، غيبة مَنْ تزين بزي أهل العلم رياء وسمعة ، فانهم يتكلمون بصيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ، وهم بذلك يجمعون بين إثمي الغيبة والرياء ، وأمثلة ذلك كثيرة ، كأنْ يذكر عنده أحد فيقول : الحمد لله الذي لم يبتلِنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام ، أو يقول : نعوذ بالله من قلة الحياء ، نسأل الله أن يعصمنا ، وقصده من ذلك أن يفهم عيب الغير الذي ليس فيه هو منه ، ويلبس نفسه ثوب الفضيلة إدعاءاً[٤٠] .

وقد يقدم مدح مَنْ يريد غيبته فيقول : ما أحسن أحوال فلان ، ما كان يقصر في العبادات ، لكنه ابتلي بما ابتلينا به من قلة الصبر ، فيمدح نفسه بالتواضع والتشبه بالصالحين ويذم غيره ، فيكون مغتاباً ومرائياً لنفسه والله مطلع على خبث ما أضمر وسوء ما قصد[٤١] .

فعليه ان يتوب الى الله تعالى ويستحي منه حق الحياء فهو أعلم بما في سريرته .

---

(٣٧) أنظر : الطريقة المحمدية ١٣٤ .

(٣٨) أنظر : تنبيه الغافلين : أبو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي ، ص ٦٠ ، ط مطبعة مصطفى محمد ، مصر . والطريقة المحمدية ١٣٤ .

(٣٩) أنظر : المصدرين نفسيهما .

(٤٠) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/١٥٤ .

(٤١) أنظر : المصدر نفسه .

٥ — وإن قال في أحد بهتاناً لم يكن فيه ، فانه يحتاج الى التوبة في ثلاثة مواضع :

أ — أن يرجع الى القوم الذين تكلم بالبهتان عندهم ويقول : اني قد ذكرت عندكم فلاناً بكذا وكذا ، فأعلموا اني كاذب .

ب — أن يذهب الى الذي قال عليه البهتان ويطلب منه ان يجعله في حلّ .

ج — أن يستغفر الله ويتوب اليه ، فإن البهتان ذنب عظيم ، إذ ان سائر الذنوب تحتاج الى توبة واحدة ، وفي البهتان يحتاج الى التوبة في ثلاثة مواضع ، وقد قرن الله تعالى البهتان بالكفر فقال : ﴿ فٱجتنبوا الرجسَ مِنَ الأوثانِ واجتنبوا قولَ الزور ﴾[٤٢][٤٣] .

٦ — ومن ذلك الإصغاء للغيبة على سبيل ليزيد نشاط المغتاب ويندفع فيها ، وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول : عجباً ، ما علمت انه كذلك ، ما عرفته الى الآن إلا بالخير ، وغير ذلك من الألفاظ وكل ذلك تصديق للمغتاب ، والتصديق للغيبة غيبة[٤٤] . وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نرد الغيبة عن إخواننا بظهر الغيب ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (مَنْ رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة)[٤٥] .

٧ — وكما يحرم التحدث بالغيبة وذكر مساوىء الغير ، فكذلك يحرم عليك أن تسيء الظن بأخيك ، وسوء الظن عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء ، وقد تقدم ان الهواجس والخواطر وحديث النفس معفو عنها ، والمنهي عنه هو الظن وعقد القلب وعزمه على السوء ، فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءاً إلا إذا انكشف ذلك بشكل لا يقبل التأويل ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً مِنَ الظنِ إنَّ بعضَ الظنِ إثمٌ ﴾[٤٦] .

وما لم يتبين لك بيقين ثم وقع في قلبك فإنما ذلك الشيطان يلقيه اليك ،

---

(٤٢) سورة الحج : من الآية (٣٠) .

(٤٣) أنظر : تنبيه الغافلين ، ص ٦٠ .

(٤٤) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/١٥٥ .

(٤٥) السنن الكبرى للبيهقي ٨/١٦٨ .

(٤٦) سورة الحجرات : من الآية (١٢) .

فينبغي أن تكذبه فانه أفسق الفساق ، وقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين امنوا إنْ جاءكم فاسق بنبأٍ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[47][48] .

ثم ان الباعث على الغيبة هيجان الغضب أو الحقد أو موافقة الأقران ومجاملتهم أو الحسد أو الهزل أو المكيدة[49] .

وهذه كلها بذاتها عيوب وآفات يجب تجنبها والاحتشام منها ، فيوقد نار خشية الله في قلبه بإدراك أضرار ذلك بما أوردناه وما سنورده في المباحث الآتية من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وما توعدت به لمَنْ تلبّس بمثل هذه الآفات .

الفرع الثاني : مواضع إباحة الغيبة :

وتباح الغيبة لغرض شرعي صحيح يدفع إثم الغيبة ، من حيث لا يمكن الوصول الى ذلك الغرض إلا بها ، من ذلك :

١ — الظلم ، فيجوزللمظلوم أن يتظلم الى السلطان والقاضي وغيرهما ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (كان لرجل على رسول الله ﷺ حق ، فأغلظ له ، فهمَّ به أصحاب النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : (إن لصاحب الحق مقالًا) ، فقال لهم : (اشتروا له سناً فأعطوه إياه ، فقالوا : انّا لا نجد إلا سناً هوخير من سنه ، فقال : فاشتروه فاعطوه إياه فإن مَنْ خيركم راد خيركم أحسنكم قضاء)[50] .
فيستعين بمَنْ له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه ، فيقول : ظلمني فلان بكذا .

٢ — الإستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى الصواب ، فيقول لمَنْ يرجو قدرته على إزالة المنكر : فلان يعمل كذا فأزجره عنه ، ويكون قصده ونيته إزالة المنكر ، فإن لم تكن نيته ذلك كان حراماً .
عن زيد بن أرقم رضي الله عنه يقول : خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر

---

(٤٧) سورة الحجرات : الآية (٦) .

(٤٨) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/١٥٩ .

(٤٩) أنظر : المصدر نفسه ٣/١٥٥ ـ ١٥٧ .

(٥٠) صحيح مسلم : كتاب المساقاة ـ باب مَنْ استلف شيئاً فقضي خيراً منه (خيركم أحسنكم قضاء) ٣/١٢٢٥ ، رقم الحديث [١٢٠ (١٦٠١)] .

أصاب فيه شدة ، فقال عبدالله بن أُبي لأصحابه : لا تنفقوا على مَنْ عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا[51] . وقال : من حوله ـ لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ! ـ فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك ، فأرسل الى عبدالله بن أُبي فاجتهد يمينه ما فعل ، فقيل : كذب زيد رسول الله ﷺ ، قال : فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى أنزل الله تصديقي : ﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾[52] ، ثم دعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم)[53] .

٣ ـ الإستفتاء ، فيقول للمفتي : ظلمني أبي أو أخي أو زوجي ، أو فلان بكذا ، فهل له ذلك ؟ وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ودفع الظلم ؟ فهذا جائز للحاجة والأحوط ان يكون استفتاؤه بلفظ التنكير من غير تعيين ، فيقول : ما تقول في رجل أو شخص أو زوج ؟ فانه يحصل به المقصود من غير تعيين وإن كان التعيين جائزاً .

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان على النبي ﷺ ، فقالت : ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني إلا ما أخذت من ماله بغير علمه ، فهل عليّ في ذلك من جناح ؟ فقال رسول الله ﷺ : (خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك)[54] .

٤ ـ تحذير للمسلمين من الشر ونصيحتهم ، كجرح المجروحين من الرواة ، فذلك جائز بإجماع العلماء ، وواجب للحاجة ، أو للمشاورة في مصاهرة إنسان أو معاملته ، فعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت : أتيت النبي ﷺ فقلت : ان أبا الجهم ومعاوية خطباني ، فقال رسول الله ﷺ : (أما معاوية فصعلوك لا مال له ، وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه)[55] .

٥ ـ ان يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته ، فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره

---

(٥١) ينفضوا : يتفرقوا .

(٥٢) سورة المنافقين : من الآية (١) .

(٥٣) صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٤/ ٢١٤٠ ، رقم الحديث (٢٧٧٢) .

(٥٤) صحيح مسلم : كتاب الأقضية ـ باب قضية هند ٣/١٣٣٨ ، رقم الحديث (٧/١٧١٤) .

(٥٥) صحيح مسلم : كتاب الطلاق ـ باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ٢/ ١١١٤ ، رقم الحديث [٣٦ (١٤٨٠)] .

بغيره من العيوب إن لم يكن هناك ما يبيحه .
فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان رجلًا استأذن النبي ﷺ فقال : (ائذنوا له بئس أخو العشيرة)[56] .

٦ ـ التعريف ، إذا كان الإنسان معروفاً بلقب مثل الأعرج والأصم والأعمى والأحول وغير ذلك ، إن كان معروفاً بهذا اللقب وقد صار بحيث لا يكرهه صاحبه ، فذلك جائز ، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى[57] .

---

(٥٦) صحيح البخاري : كتاب الأدب ـ باب لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا ٨/ ١٥ ، ١٦ .
وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في المداراة ٤/٣١٦ ، رقم الحديث (١٩٩٦) ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٥٧) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/١٦١ ـ ١٦٢ .
ورياض الصالحين ٤٣٤ ، ٤٣٦ .
ومختصر منهاج القاصدين ١٧٠ ـ ١٧١ .

المطلب الثاني

النـــــمـــــيـــــمــــــة

النميمة في اللغة : [التوريش والإغراء ورفع الحديث إشاعة له وإفساداً وتزيين الكلام بالكذب][٥٨] .

وفي الاصطلاح : إفشاء السر ، وهتك السر وكشف ما يكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول اليه أم كرهه ثالث ، وسواء كان الكشف بالقول أم بغيره ، وسواء كان المنقول عيباً ونقصاً أم لم يكن[٥٩] .

وهي حرام قطعاً سنبينه من النصوص إلا ما في حكايته دفع لمعصية أو فائدة لمسلم أو عليه فيها ضرر لم يعلمه ولم يمكن دفعه ، فيجب إخباره به لأنه نصح[٦٠] .

وقد حذر القرآن الكريم من وبال النميمة ، فقال تعالى : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم ﴾[٦١] .

وقال تعالى : ﴿ ويل لكل هُمزة لُمزة ﴾[٦٢] .

فالهماز بالقول ، واللماز بالفعل يزدري الناس وينتقص منهم[٦٣] .

وأما في السُنّة النبوية المطهرة ، فعن حذيفة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يدخل الجنة نمّام)[٦٤] .

وعن سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : ان رسول الله ﷺ مرَّ على

---

(٥٨) القاموس المحيط ١٨٥/٤ ، مادة (ن م م) .

(٥٩) أنظر : إحياء علوم الدين ١٦٥/٣ ؛ والتعريفات ١٦٧ .

(٦٠) أنظر : الطريقة المحمدية ١٣٥ .
واحياء علوم الدين ١٦٥/٣ .

(٦١) سورة القلم : الآيتان (١٢ ، ١٣) .

(٦٢) سورة الهمزة : الآية (١) .

(٦٣) أنظر : تفسير القرآن العظيم : أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ٥٥١/٤ ، ط ٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

(٦٤) صحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب غلظ تحريم النميمة ١٠١/١ ، رقم الحديث [١٦٨ (١٠٥)] .

قبرين فقال : (أما انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، بلى وانه كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله)[٦٥] .

وعن سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر)[٦٦].

ومَنْ بلغت اليه نميمة فعليه ستة أمور فيمَنْ نمَّ له :

١ — أن لا يصدقه لأن النمام مردود الشهادة ، وقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[٦٧] .

وقد قال تعالى : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين * همّاز مشّاء بنميم ﴾[٦٨] .

٢ — أن ينهاه عن ذلك ، لأن النهي عن المنكر واجب ، فقد قال تعالى : ﴿ وأمر بالمعروف وانْـهَ عن المنكر ﴾[٦٩] .

وقال تعالى : ﴿ كنتم خير أمةٍ أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾[٧٠] .

٣ — أن تبغضه في الله تعالى ، لأنه عاص وبغض العاصي واجب ، لأن الله تعالى يبغضه .

٤ — أن لا تظن بأخيك الغائب ظن السوء ، لأن سوء الظن بالمسلم حرام ، لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾[٧١] .

---

(٦٥) صحيح البخاري : كتاب الأدب ـ باب البر ٢١/٨ .
وصحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ٢٤٠/١ ، رقم الحديث [١١١ (٢٩٢)] .

(٦٦) السنن الكبرى للبيهقي ١٦٦/٨ ، ط دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٥٤هـ .

(٦٧) سورة الحجرات : الآية (٦) .

(٦٨) سورة القلم : الآيتان (١٢ ، ١٣) .

(٦٩) سورة لقمان : من الآية (١٧) .

(٧٠) سورة آل عمران : من الآية (١١٠) .

(٧١) سورة الحجرات : من الآية (١٢) .

٥ — أن لا يحملك مَنْ نقل اليك على التجسس فلا تتجسس على عورات أخيك ، فان الله تعالى نهى عن التجسس ، فقال : ﴿ ولا تجسسوا ﴾[٧٢] .

٦ — ما لا ترضاه من النمّام فلا تفعله أنت فتكون نمّاماً ومغتاباً[٧٣] .

وأما نفس النمام فلله درّ سيدنا عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه ، فقد دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً ، فقال له عمر : إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[٧٤] ، وإن كنت صادقاً فأنت من هذه الآية : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين * همّاز مشّاء بنميم ﴾[٧٥] ، وإن شئت عفونا عنك ؟ فقال : العفو يا أمير المؤمنين لا أعود اليه أبداً[٧٦] .

---

(٧٢) سورة الحجرات : من الآية (١٢) .

(٧٣) أنظر : تنبيه الغافلين ٦٣ .
وإحياء علوم الدين ٣/١٦٥ - ١٦٦ .
ومختصر منهاج القاصدين ١٧٢ .

(٧٤) سورة الحجرات : الآية (٦) .

(٧٥) سورة القلم : الآيتان (١٢ ، ١٣) .

(٧٦) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/١٦٦ .

المبحث الثالث

الــكـــــذب

الكذب في اللغة : ضد الصدق[٧٧] .

وفي الاصطلاح : هو الإخبار عن الشيء على غير ما هو عليه في الواقع[٧٨] ؛ فإن لم يكن عن عمد فمعفو عنه ، وإن كان عن عمد فحرام قطعاً إلا ما استثناه الشارع[٧٩] .

وسيتبين ذلك في التفريعات التي يضمها هذا المبحث ، فالكذب قد يكون في اليمين وقد يكون في القول ، لذا قسَّمت هذا المبحث الى مطلبين :

المطلب الأول

الكــذب في اليـمـيـن

اليمين في اللغة : [القَسَم والجمع أيمن وأيمان ، قيل : إنما سميت بذلك لأنهم كانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرىء منهم يمينه على يمين صاحبه][٨٠] .

وفي الاصطلاح : عقد قوي به يعزم الحالف على صدق الخبر أو على الفعل أو الترك[٨١] .

---

(٧٧) أنظر : مختار الصحاح ٥٦٥ ، مادة (ك ذ ب) .

(٧٨) أنظر : التعريفات ١٢٣ ؛ والطريقة المحمدية ١٣٠ .

(٧٩) أنظر : الطريقة المحمدية ١٣٠ .

(٨٠) مختار الصحاح ٧٥٤ ، مادة : (ي م ن) .

(٨١) أنظر : حاشية رد المحتار على الدر المختار : محمد أمين الشهير بابن عابدين ٤٩/٣ ، ط دار الكتب العربية الكبرى ، مصر .

والأصل في مشروعية اليمين : الكتاب والسُنَة وإجماع الأمة ، أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾[82] .

وقوله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾[83] .

وأما السنة فقوله ﷺ : (اني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين إن شاء الله ثم أرى خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأثبت الذي هو خير)[84] .

وأجمعت الأمة على مشروعية اليمين وثبوت أحكامها ، ووضعها في الأصل لتوكيد المحلوف عليه[85] .

والأيمان على ثلاثة أضرب :

١ ـ اليمين الغموس :

هو الحلف على أمر ماضٍ يتعمد فيه الكذب ، فهذه اليمين كبيرة محضة وذنبها ملازم لها يأثم فيها صاحبها لقوله ﷺ : (مَنْ حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان)[86] .

ولا كفارة لها إلا التوبة والاستغفار في مذهب أبي حنيفة رحمه الله[87] ،وهي منعقدة عند الشافعية[88] لعموم الآية .

---

(٨٢) سورة النحل : من الآية (٩١) .

(٨٣) سورة البقرة : من الآية (٢٢٥) .

(٨٤) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب مَنْ حلف باللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله ١٢٦٨/٣ ، رقم الحديث [٧ (١٦٤٩)] .

(٨٥) أنظر : المغني لابن قدامة ٣٨٥/٩ .

(٨٦) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب وعيد مَنْ اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ١٢٢/١ ، رقم الحديث (١٣٨) .

(٨٧) أنظر : الهداية شرح بداية المبتدىء : أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبدالجليل الرشداني المرغيناني ٧٢/٢ ، الطبعة الأخيرة ، ط مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م .

(٨٨) أنظر : شرح جلال الدين المحلي على المنهاج ٢٧٤/٤ ، مطبوع بهامش حاشية قليوبي وعميرة ، د دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

٢ ـ يمين منعقدة :

ما يحلف الشخص على أمر في المستقبل يفعله أو لا يفعله ، وإذا حنث لزمته الكفّارة ، لقوله تعالى : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمَنْ لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفّارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ﴾(٨٩)(٩٠) .

٣ ـ يمين اللغو :

ما يحلف على أمر ماضٍ وهو يظن انه كما قال والآخر بخلافه(٩١) .

وقال الشافعي رحمه الله : [ما لا يعقد الرجل قلبه عليه ، كقوله : لا والله وبلى والله](٩٢) .

وقد نصَّت الآية على عدم المؤاخذة به .

وأفرد السيد الشريف الجرجاني رحمه الله يميناً رابعة تدخل في حقيقتها في اليمين الغموس وسماها يمين الصبر ، وعرَّفها بأنها التي يكون فيها متعمداً الكذب قاصداً لإذهاب مال مسلم ، وسميت به لصبر صاحبه على الإقدام عليها مع وجود الزواجر من قلبه(٩٣) .

---

(٨٩) سورة المائدة : الآية (٨٩) .

(٩٠) أنظر : الهداية ٢/٧٢ .

(٩١) أنظر : المصدر السابق ؛ وانظر : التعريفات ١٧٥ .

(٩٢) التعريفات ١٧٥ .

(٩٣) التعريفات ١٧٥ .

المطلب الثاني
الكـــذب في القـــول

ورد الكذب في القرآن الكريم بعدة معانٍ :

١ — بمعنى النفاق ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولهم عذابٌ أليمٌ بِمَا كانوا يَكذبون ﴾[٩٤] .
أي : ينافقون .

٢ — وبمعنى الشرك بالله ونسبة الولد ، كما في قوله تعالى : ﴿ فمَنْ أظلمُ ممَّنْ كَذَبَ على الله ﴾[٩٥] .
وقوله تعالى : ﴿ ويومَ القيامةِ ترى الذينَ كَذَبوا على الله وجُوهُهم مسودة ﴾[٩٦] .

٣ — بمعنى قذف المحصنات . كما في قوله تعالى : ﴿ والخامسةُ انَّ لعنةَ الله عليه إنْ كان من الكاذبين ﴾[٩٧] .
وقوله تعالى : ﴿ فإذْ لمْ يأتوا بالشهداءِ فأولئكَ عند الله هم الكاذبون ﴾[٩٨] .

٤ — بمعنى الإنكار ، كما في قوله تعالى : ﴿ ما كذبَ الفؤادُ ما رأى ﴾[٩٩] .
أي ما أنكر .

٥ — بمعنى خلف الوعد ، كما في قوله تعالى : ﴿ ليس لِوَقعتها كاذبة ﴾[١٠٠] .

---

(٩٤) سورة البقرة : من الآية (١٠) .
(٩٥) سورة الزمر : من الآية (٣٢) .
(٩٦) سورة الزمر : من الآية (٦٠) .
(٩٧) سورة النور : من الآية (٧) .
(٩٨) سورة النور : من الآية (١٣) .
(٩٩) سورة النجم : من الآية (١١) .
(١٠٠) سورة الواقعة : الآية (٢) .

٦ — وغالب ورود الكذب في القرآن الكريم على معناه الحقيقي الذي بيناه في اللغة والاصطلاح، كما في قوله تعالى: ﴿ بل كذَّبوا بالحقِّ لمَّا جاءهم ﴾[١٠١]

وقوله تعالى: ﴿ فكذَّبوا عبدَنا ﴾[١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿ فكذَّبوا رُسلي فكيف كان نكير ﴾[١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿ فإنْ كذَّبوكَ فقد كُذِّب رُسُلٌ من قَبلك ﴾[١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿ ولقدْ كُذبتْ رُسلٌ من قبلك فصبروا على ماكُذبوا ﴾[١٠٥][١٠٦].

ولقد حذر القرآن الكريم من الكذب في القول وساورته السنة النبوية الشريفة على ذلك، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ ولا تَقفُ ما ليس لكَ به علمٌ إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كان عنه مسؤولًا ﴾[١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿ إنَّما يَفتري الكَذِب الذينَ لا يؤمنونَ بآياتِ اللّه وأولئكَ همُ الكاذبون ﴾[١٠٨].

وأما في السنة، فعن عبداللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: (ان الصدق يهدي الى البر وإن البر يهدي الى الجنة، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند اللّه صدّيقاً، وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند اللّه كذّاباً)[١٠٩].

---

(١٠١) سورة ق: من الآية (٥).

(١٠٢) سورة القمر: من الآية (٩).

(١٠٣) سورة سبأ: من الآية (٤٥).

(١٠٤) سورة آل عمران: من الآية (٨٤).

(١٠٥) سورة الأنعام: من الآية (٣٤).

(١٠٦) أنظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ٤/ ٣٤٠، تحقيق: محمد علي النجار، ط مطابع شركة الاعلانات الشرقية. مصر، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

(١٠٧) سورة الإسراء: الآية (٣٦).

(١٠٨) سورة النحل: الآية (١٠٥).

(١٠٩) صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب بيان خصال المنافق ١/ ٧٨. رقم الحديث [١٠٦ (٥٨)].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال : (أربع مَنْ كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومَنْ كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذا حدَّث كذب ، وأذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر)[١١٠] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ؛ (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ، المنان بعطيته ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ، والمسبل إزاره)[١١١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر)[١١٢] .

وقال رسول الله ﷺ : (ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ، ويل له ويل له)[١١٣] .

وهذا نزر يسير من أحاديث كثيرة أوردتها السنة النبوية المطهرة في بيان عاقبة الكذب الوخيمة ، وجسامة أضراره في الأفراد والجماعات ، وفي هذا المختار اليسير دلالة على ذلك الكثير نخلص منه بمعرفة شدة وبال الكذب وسوء منقلبه .

---

(١١٠) صحيح البخاري : كتاب الأدب ـ باب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ ، وما ينهى عن الكذب ٨/ ٣٠ .
وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة ـ باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ٤/ ٢٠١٢ ، رقم الحديث [١٠٣ (٢٦٠٧)] .

(١١١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب الثلاثة (١٠٠٠) ١/ ١٠٢ ، رقم الحديث [١٧١ (١٠٦)] .

(١١٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب غلظ تحريم اسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ١/ ١٠٢ ـ ١٠٣ ، رقم الحديث [١٧٢ (١٠٧)] .

(١١٣) سنن الترمذي : ٣٧ كتاب الزهد ـ باب ١٠ فيمَنْ تكلم بكلمة يضحك به الناس ٤/ ٤٨٣ ، رقم الحديث (٢٣١٥) ، وقال : حديث حسن .

المطلب الثالث

الكـــــذب المبـــــاح

إن الكذب ليس حراماً لعينه وإن كان أصله محرماً ، بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره ، وان الكلام وسيلة الى القاصد ، فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه ، وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب ، ثم إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً كان الكذب مباحاً وإن كان واجباً كان الكذب واجباً(١١٤) .

والأصل الذي بني عليه الترخيص بالكذب هو حديث السيدة أم كلثوم رضي الله عنها ، حيث سمعت رسول الله ﷺ يقول :(ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً)(١١٥) .

وزاد مسلم في رواية : قالت أم كلثوم : (ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس الكذاب إلا في ثلاث يعني الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها)(١١٦) .

---

(١١٤) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/١٤٦ .
ورياض الصالحين ٤٤٣ .
ومختصر منهاج القاصدين ١٦٦ .

(١١٥) صحيح البخاري : كتاب الصلح ـ باب ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ٣/٢٢٧ .
وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة والادب ـ باب تحريم الكذب وبيان المباح منه ٤/٢٠١١ . رقم الحديث [١٠١ (٢٦٠٥)] .
وسنن الترمذي : ٢٨ كتاب البر والصلة ـ باب ٢٦ ما جاء في اصلاح ذات البين ٤/٢٩٢ . رقم الحديث (١٩٣٨) . وقال : حديث حسن صحيح .

(١١٦) صحيح البخاري : كتاب ما جاء في الاصلاح بين الناس باب ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ٣/٢٢٧ .
وصحيح مسلم : ٤٥ كتاب البر ـ باب تحريم الكذب وبيان المباح منه ٤/٢٠١١ . رقم الحديث (٢٦٠٥) .
وسنن الترمذي : ٢٨ كتاب البر والصلة ـ باب ٢٦ ما جاء في اصلاح ذات البين ٤/٢٩٢ . رقم الحديث (١٩٣٩) . وقال : حديث صحيح .

المبحث الرابع

المـــراء والجـــدال

المراء في اللغة : [أن يستخرج الرجل من مناظره كلاماً ومعاني الخصومة وغيرها ، من مريت الشاة إذا حلبتها واستخرجت لبنها ، وقد ماراه مماراة ومراءاً][117] .

وفي الاصطلاح : [طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير][118] .

وأما الجدال فهو في اللغة : [المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وأصله من جدلت الحبل ، أي أحكمت فتله][119] .

وفي الاصطلاح : [هو ما يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها][120] .

وكِلا الفعلين إن لم يكونا لقصد إظهار الحق فحرام ، والذي ينبغي للمؤمن إذا سمع كلاماً إن كان حقاً ان يصدقه وإن كان باطلًا ولم يكن متعلقاً بأمر من أمور الدين أن يسكت عنه ، وإن كان متعلقاً بأمر من أمور الدين فيجب إظهار البطلان والإنكار إن رجا القبول لأنه نهي عن المنكر[121] .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ ترك الكذب وهو باطل بنيَ له بيت في ربض[122] الجنة ، ومَنْ ترك المراء وهو محق بني له في وسطها ، ومَنْ حسن خلقه بني له في أعلاها)[123] .

---

(117) لسان العرب ٣/ ٤٧٥ . مادة : (م ر ي) .

(118) التعريفات : ١٤٠ .

(119) المفردات في غريب القرآن : الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني . ص ١٢٣ . ط المطبعة الفنية الحديثة . ١٩٧٠م .

(120) الطريقة المحمدية ١٣٨ ؛ والتعريفات ٥١ .

(121) أنظر : الطريقة المحمدية ١٣٨ .

(122) ربض : منزل وربضُ المدينة ما حولها .

(123) سنن الترمذي : كتاب الزهد ـ باب ٤٨ ما جاء في الرياء والسمعة ٤/ ٥١٠ . حديث رقم (٢٣٨١) . وقال : حديث حسن وصحيح .

وعنه رضي الله عنه انه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم تلا : ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلًا بل هم قوم خصمون ﴾[١٢٤]) .

فإن قصد بالجدال إظهار الحق ـ وهو نادر ـ فجائز بل مندوب اليه لقوله تعالى : ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾[١٢٥][١٢٦] .

وأما علاجه ، فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله ورؤية النفس على الغير الباعثة له على تنقيص غيره ـ وسيأتي علاج ذلك وتفصيله في الفصول التالية ـ فإن علاج كل علة بإماطة سببها ، ثم المواظبة على ذلك تجعله عادة وطبعاً حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه[١٢٧] .

← عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ يرائي يرائي الله به ، ومَنْ سمّع يسمّع الله به) ، قال : وقال رسول الله ﷺ : (مَنْ لا يرحم الناس لا يرحمه الله) . حديث حسن وصحيح .

وسنن الترمذي : ٢٨ كتاب البر والصلة ـ باب ٥٨ ما جاء في المراء ٤/٣١٥ ، رقم الحديث (١٩٩٣) ، وقال : حديث حسن وصحيح .

(١٢٤) مشكلة المصابيح : الشيخ ولي الدين محمد بن عبدالله الخطيب العمري التبريزي ١/٦٣ ، رقم الحديث (١٨٠) ،منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م .

(١٢٥) سورة النحل : من الآية (١٢٥) .

(١٢٦) الطريقة المحمدية ١٣٨ .

(١٢٧) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/١٢٧ .

المبحث الخامس

السب واللعن وفضول الكلام

وتندرج في هذا المبحث ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

السـب والفحـش

السب في اللغة : القطع والطعن في السبه وهي الأست ، والسبة بالضم العار[١٢٨] .

وهو في الاصطلاح : [الشتم والتكلم في عرض الإنسان بما يعيبه][١٢٩] .

والفحش في اللغة : [عدوان الجواب][١٣٠] .

وفي الاصطلاح : [وِ التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارة الصريحة][١٣١] .

وهما مذمومان ومنهي عنهما ، ومصدرهما الخبث واللؤم[١٣٢] .

وقد تبين الكلام عن ذلك في أصول الأخلاق .

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (سباب المسلم فسوق[١٣٣] وقتاله كفر)[١٣٤] .

---

(١٢٨) أنظر : القاموس المحيط ٨٣/١ ، مادة : (س ب ب) .

(١٢٩) شرح النووي على صحيح مسلم ٥٣/١ ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(١٣٠) القاموس المحيط ٢٩٣/٢ ، مادة : (س ب ب) .

(١٣١) الطريقة المحمدية ١٣٧ .

(١٣٢) أنظر : إحياء علوم الدين ١٣٠/٣ .

(١٣٣) الفسق لغة : الخروج ، وشرعاً : الخروج عن الطاعة .

(١٣٤) صحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب ٢٨ بيان قول النبي ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) ، ٨١/١ ، رقم الحديث [١١٦ (٦٤)] .

وعنه رضي الله عنه ان رسول الله قال : (ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء)[135] .

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ (أيما امرىء قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه)[136] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (المستبان ما قالا[137] ، فعلى البادىء ما لم يعتد المظلوم)[138] .

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إياكم والفحش ، فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش)[139] .

وعن جابر بن سمرة قال : كنت جالساً عند النبي ﷺ وأبي أمامي ، فقال رسول الله ﷺ : (ان الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء ، وان أحسن الناس إسلاماً أحاسنهم أخلاقاً)[140] .

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (خياركم أحاسنكم أخلاقاً) ، ولم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً[141] .

---

(١٣٥) سنن الترمذي :٢٨ كتاب البر والصلة ـ باب ٤٨ ما جاء في اللعنة ٣٠٨/٤ ، رقم الحديث (١٩٧٧) .

(١٣٦) أخرجه مالك (الموطأ) ٦٠٩ ؛ وأحمد ١٨/٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٦٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ؛ والبخاري ٣٢/٨ .

ومسلم : كتاب الإيمان ـ باب حال إيمان مَنْ قال لأخيه المسلم : يا كافر ٧٩/١ ، رقم الحديث [١١١ (٦٠)] .

وسنن الترمذي : (٢٦٣٧) ؛ أخرجه الحمدي (٦٩٨) ؛ وأبو داود (٤٦٨٧) .

(١٣٧) المستبان ما قالا : معناه ان إثم السباب الواقع من اثنين مختصر بالبادىء منهما كله ؛ إلا ان يتجاوز الثاني قدر الانتصار فيقول للبادىء أكثر ما قال له .

(١٣٨) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والأدب ـ باب ١٨ النهي عن السباب ٢٠٠٠/٤ ، رقم الحديث (٢٥٨٧) .

(١٤٩) مسند الإمام أحمد ٥٨/١١ ، رقم الحديث (٦٧٩٢) .

(١٤٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيتمي ٢٥/٨ ، مكتبة القدسي ، ط القاهرة ، ١٣٩٣هـ .

(١٤١) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة ـ باب ٤٧ ما جاء في الفحش والتفحش ٣٨٠/٤ ، رقم الحديث (١٩٧٥) ، وقال : حديث حسن وصحيح .

المطلب الثاني

اللعن

اللعن في اللغة : الطرد والإبعاد[١٤٢] .

وفي الاصطلاح : الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى ، والأولى ان لا يصدر اللعن عن المؤمن ، ألم تَـرَ ان الله تعالى لم يوجب علينا لعن أحد ولو إبليس ، ففي ذلك عبرة لمَنْ اعتبر[١٤٣] .

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم)[١٤٤] .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه : بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها ، فقال رسول الله ﷺ : (خذوا ما عليها وأعروها فانها ملعونة)[١٤٥] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ان اللعّانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة)[١٤٦] .

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (ليس على رجل نذر فيما لا يملك ، ولعن المؤمن كقتله ، ومَنْ قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة ، ومَنْ ادّعى دعوى كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة)[١٤٧] .

والصفات المقتضية للعن ثلاثة ، الكفر ، والبدعة ، والفسق ، و للعن في كل واحدة ثلاث مراتب :

---

(١٤٢) أنظر : القاموس المحيط ٤/٢٦٩ ، مادة (ل ع ن) .

(١٤٣) الطريقة المحمدية ١٣٥ .

(١٤٤) سنن أبي داود ٤/٣٨٢ ، رقم الحديث (٤٩٠٦) ، حديث حسن .

(١٤٥) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب - باب النهي عن لعن الدواب ٤/٢٠٠٠ - ٢٠٠٥ ، رقم الحديث [٨١ (٢٥٩٥)] .

(١٤٦) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب - باب النهي عن لعن الدواب ٤/٢٠٠٠ ، رقم الحديث [٨٦ (٢٥٩٨)] .

(١٤٧) صحيح مسلم : كتاب الإيمان - باب غلظ تحريم قتل الإنسان ... الخ ١/١٠٤ ، رقم الحديث [١٧٦ (١١٠)] .

الأولى : اللعن بالوصف الأعم ، كقولك : لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفَسَقَة .

الثانية : اللعن بأوصاف أخص منه ، كقولك : لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض ، أو على الزناة والظَلَمَة وآكلي الربا ، وفي لعن أوصاف المبتدعة خطر ، لأن معرفة البدعة غامضة ولم يرد لفظ مأثور ، وفتح باب اللعن في مثل ذلك للعوام إثارة للفتن وإشاعة للفساد .

الثالثة : اللعن للشخص المعيَّن ، كقولك : لعن الله أبا جهل ، وأبا لهب ، وفرعون قد ماتوا على الكفر ، أو لعن شخص معيَّن في زماننا كافر وفي ذلك خطر ، لأن هذا الفعل لا يتلائم مع الرحمة المنزلة في ديننا التي أشارت اليها نصوص القرآن الكريم ، فلعل هذا يسلم فيدخل في رحمة الله تعالى[١٤٨] .

---

(١٤٨) أنظر : إحياء علوم الدين ٢/١٣٢ ـ ١٣٣ .

المطلب الثالث

فضـــــول الـكـــــــلام

ويتناول الخوض فيما لا يعني ، والزيادة فيما يعني ، إذ الحاجة إن تأدت بكلمة ، فالثانية فضول . وإن تمادى في ذلك خاض في الباطل كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء وتجبّر الملوك ، فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه ، وهو حرام(١٤٩) .

وقد يجر الكلام من المطايبة المباحة الى السخرية والاستهزاء ، فيورث الضغينة ويسقط المهابة والوقار ، فمعنى السخرية ، الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه(١٥٠) .

قال تعالى : ﴿ لا خيرَ في كثيرٍ من نَجواهم إلا مَنْ أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو اصلاحٍ بين الناسِ ﴾(١٥١) .

وعن عائشة الصديقة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : (لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً)(١٥٢) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وان أبعد الناس من الله القلب القاسي)(١٥٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالاً يرفعه بها درجات ، وان العبد ليتكلم بالكلمة

---

(١٤٩) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/١٢٣ ، ١٢٥ .

(١٥٠) أنظر : المصدر السابق ٣/١٤٠ .

(١٥١) سورة النساء : من الآية (١١٤) .

(١٥٢) صحيح مسلم : كتاب الكسوف ـ باب صلاة الكسوف، ٢/٦١٨ ، رقم الحديث [١ (٩٠١)] وسنن الترمذي : كتاب الزهد ـ باب فضل البكاء ٤/٤٨١ ، رقم الحديث (٢٣١١) ، وقال حديث (صحيح) .

(١٥٣) سنن الترمذي : كتاب الزهد ـ باب النهي عن كثرة الكلام ٤/٥٢٥ ، رقم الحديث (٢٤١١) (حسن صحيح) .

من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم)[١٥٤] .

وقد روى رضي الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله ، انك تداعبنا ؟ قال : (اني لا أقول إلا حقاً)[١٥٥] .

وعن سيدنا علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ان في الجنة لغرفاً يُرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها ، فقام اليه أعرابي فقال : لمَنْ هي يا رسول الله ؟ قال : هي لمَنْ أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام . وصلّى لله بالليل والناس نيام)[١٥٦] .

---

(١٥٤) سنن الترمذي : كتاب الزهد - باب في أهمية الكلام ٤/٤٨٤ . رقم الحديث (٢٣١٩) (حسن صحيح) .
وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : الإمام أبي العلي محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ٦/٦٠٩ ، رقم الحديث (٢٤٢١) .

(١٥٥) سنن الترمذي : ٢٨ كتاب البر والصلة - باب ٥٧ ما جاء في المزاح ٤/٣١٤ ، رقم الحديث (١٩٩٠) ، وقال : حديث حسن صحيح .

(١٥٦) سنن الترمذي : كتاب صفة الجنة - باب ٣ ما جاء في صفة غرف الجنة ٤/٥٨١ ، رقم الحديث (٢٥٢٧) ، وهو حديث حسن صحيح .

المبحث السادس

الشعـــر والغنـــاء

ويشتمل على مطلبين ، وقدمت الشعر على الغناء تقدم الأخص على الأعم لزيادة الفائدة .

المطلب الأول

الشعــــــــــر

وهو في اللغة : الفطنة من شعر بالشيء يشعر شِعراً بالكسر : فطن له ومنه قولهم ليت شعري ، أي : ليتني علمت (157) ، [وغلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية وإن كان كل علم شعراً] (158) ، [وسمي الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته] (159) .

وهو في الاصطلاح : [كلام مقفى موزون على سبيل القصد ، والقيد الأخير يخرج نحو قوله تعالى : ﴿ الذي انقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك ﴾ (160) ، فانه كلام مقفى موزون ، لكن ليس بشعر ، لأن الإتيان به موزوناً ليس على سبيل القصد] (161) .

قال تعالى : [والشعراء يتبعهم الغاوون ألمْ تَـرَ أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ (162) .

---

(١٥٧) أنظر : مختار الصحاح للرازي ٣٣٩ ، مادة : (ش ع ر) .

(١٥٨) القاموس المحيط ٢/٦٠ .

(١٥٩) المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ٣٨٤ .

(١٦٠) سورة الانشراح : الآيتان [٣ ، ٤] .

(١٦١) التعريفات ٨٦ .

(١٦٢) سورة الشعراء : الآيات (٢٢٤ - ٢٢٧) .

فقد ذمّت الآية الشعراء وخصت منهم مَنْ وصفهم الله تعالى بالاوصاف المذمومة انهم في كل وادٍ يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون ، لذلك فاتباعهم غاوون .

واستثنت الآية الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فدلَّ ذلك على ان من الشعر ما هو محظور وحرام ، ومنه ما هو مباح ، وقد بينت السنة النبوية المطهرة ذلك في الوجهين :(١٦٣) .

فقد سمع رسول الله ﷺ شعر كعب حين قرأ عليه قصيدته التي مطلعها :

بـــانت سعـــاد فقلبي اليـــوم متبـــولُ
متيم إثـــرهـــا لم يفـــد مكبـــولُ

ومـــا سعـــاد غـــداة البين إذ رحلـــوا
إلا أغن غضيض الطـــــرف مكحـــولُ

تجلـــو عـــوارض ذي ظلم إذا ابتسمت
كـــأنـــه منهـــل بـــالـــراح معلـــول

فعفا عنه ﷺ وخلع عليه بردته(١٦٤) .

وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أصدق بيت قالته الشعراء :

ألا كل شيء مـا خـــلا اللّـه بـــاطـلُ
وكـــل نعيمٍ لا محـــالـــة زائـــلُ)(١٦٥)

وأنشد سيدنا أبو بكر رضي الله عنه في رثاء النبي ﷺ :

فقـــدنـــا الـــوحي إذ وليت عنـــا
وودعنـــــا من اللّـــــهِ الكـــــلام

ســـوى مـــا قـــد تـــركت لنـــا رهينـــاً
تـــــوارثـــــه القـــــراطيس الكـــــرام

---

(١٦٣) أنظر : هذا حلال وهذا حرام : عبدالقادر أحمد عطا ، ص ١٧ ، ط ٣ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

(١٦٤) جواهر الادب في أبيات وإنشاد لغة العرب : تاليف : السيد احمد الهاشمي ٢/ ١٣٤ ، ط مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٣١٥هـ .

(١٦٥) صحيح مسلم : كتاب الشعر ١٧٦٨/٤ ، رقم الحديث [٥ (٢٢٥٦)] .

فقـــد أورثتنـــا ميـــراث صـــدق
عليـــك بـــه التحيـــة الســـلام

فإذا كان رسول الله ﷺ يسمعه وسيدنا أبو بكر ينشده للتقليد والاقتداء موضع أرفع من هذا ؟! وما من أحد من كبار الصحابة وكبار التابعين وأهل العلم ممن يُقتدى بهم إلا وقد قال الشعر أو تمثل به أو سمعه فرضيه ما كان حكمة أو حثا على الجهاد أو من الكلام المباح ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى(١٦٦) .

وقد جاءت السنة النبوية الكريمة على ذكر ما حرّم من الشعر :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج(١٦٧) ، إذ عرض شاعر ينشد ، فقال رسول الله ﷺ : (خذوا الشيطان أو امسكوا الشيطان ، لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلىء شعرا)(١٦٨) .

فالشعر المذموم الذي لا يحل إنشاده ، ولا سماعه ما ذكر الباطل ومجده حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم ويبهتوا البرىء ويفسقوا التقي ، وان يفرطوا في القول بما لم يفعله المرء من القول الماجن وغيره رغبة في تسلية النفس(١٦٩) .

ويلحق بالمحظور من الشعر كل ما فيه تكسر وتخنث ، سواء كان شعرا أم نثرا ، وكل دعوة الى الفسق والفجور ، واستدعاء الشهوات الدنيئة ، وإيقاظ لما خمد منها ، ويلحق بذلك كل ما كتب من الشعر والنثر ما فيه دعوة الى هدم الفضائل وبث الرذائل(١٧٠) .

ويدخل في الشعر المباح ما استعمل منه على سبيل التشبيه والإستعارة ، وقد جاء ذلك في قصيدة كعب بن زهير الآنفة الذكر ورسول الله ﷺ يسمع ولا ينكر ما شبه ريقها بالراح وغير ذلك(١٧١) .

---

(١٦٦) أنظر : الجامع لاحكام القران للقرطبي ١٤٧/١٣ .
(١٦٧) العرج : قرية على بعد ثمانية وسبعين ميلا من المدينة .
(١٦٨) مسند الامام أحمد ٢٥٨/١٤ ، رقم الحديث (٧٨٦١) .
(١٦٩) أنظر : الجامع لاحكام القران للقرطبي ١٤٨/١٣ .
(١٧٠) أنظر : هذا حلال وهذا حرام ١٨ .
(١٧١) أنظر : الجامع لاحكام القران ١٤٧/١٣ .

المطلب الثاني

الـــغـــنـــــاء

وهو في اللغة : من الصوت ما طرب به ، وتغنى بالمرأة تغزل بها ، وبزيد : مدحه أو هجاه[١٧٢] .

وفي الاصطلاح : تمديد الصوت وتحسينه بالكلام الموزون ونحوه[١٧٣] .

وللفقهاء خلاف في الغناء مبناه على تنوع الغناء وأغراضه ، فمنه النياحة ، والغناء المهيج للأشواق مع الآلة ، ومنه الحداء وإنشاد المجاهدين ، فمن الفقهاء مَنْ ذهب الى إباحة الغناء والنوح ما لم يكن فيه منكر أو طعن ، منهم جماعة من الحنابلة ، واستدلوا بحديث السيدة عائشة[١٧٤] رضي الله عنها ، قالت : (دخل أبو بكر رضي الله عنه وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث ، قالت : وليستا بمغنيتين ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ ؟ وذلك في يوم عيد ، فقال رسول الله ﷺ : (يا أبا بكر ان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا)[١٧٥] .

وهو مذهب ابن حزم ، حيث قال : [الغناء واللعب والزفن[١٧٦] في أيام العيد حسن في المسجد وغيره][١٧٧] .

ومنهم مَنْ ذهب الى كراهته وهو قول الشافعي ، حيث قال : [ان الغناء لهو

---

(١٧٢) أنظر : القاموس المحيط ٤/ ٣٧٠، مادة : (غ ن ي) .

(١٧٣) أنظر : الشريعة الإسلامية والفنون : أحمد مصطفى علي القضاة ، ص ٣٠٥ ، ط دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

(١٧٤) أنظر : المغني ٦/ ١٧٥ .
ومختصر منهاج القاصدين ١٤٣ .
وجامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم : زين العابدين عبدالرحمن بن رجب الحنبلي ، ص ٣٩٠ ، ط دار المعرفة ، بيروت .

(١٧٥) صحيح مسلم : كتاب صلاة العيدين ـ باب الرخصة في اللعب ٢/ ٦٠٨ ، رقم الحديث (٨٩٢) .

(١٧٦) الزفن : الحمل . أنظر : القاموس المحيط ٤/ ٢٣٣ ، مادة : (ز ف ن) .

(١٧٧) المحلّى : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ٥/ ٩٢ ، ط مطبعة النهضة ، مصر ، ١٣٤٧هـ .

مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه تُرَد شهادته][178] .

وقال الرملي : [يُكره الغناء بلا آلة وسماعه يعني استماعه لا مجرد سماعه من غير قصد ، وما ذكر في موضع من حرمته محمول على ما لو كان من أمرد أو أجنبية وخاف من ذلك الفتنة ، ومتى اقترن بالغناء آلة محرمة فالقياس كما قاله الزركشي : تحريم الآلة فقط وبقاء الغناء على الكراهة][179] .

ووافق الشافعية في ذلك بعض الحنابلة ، وهو مذهب الإمام مالك[180] .

وذهب الحنفية الى تحريمه ، فقال السرخسي : [لا تقبل شهادة صاحب الغناء الذي يخادن عليه ويجمعهم لأنه مصرّ على نوع فسق ويستخف به عند الصلحاء من الناس ولا يمتنع من المحاذقة والإقدام على الكذب[181] .

وهذا الخلاف في الغناء فيما غلب عليه اسم الغناء الذي انتحله المغنون صنعة من رجل أو امرأة أو أمرد لرجال مع أمن الفتنة من غزل الشعر وتلحينه وتقطيعه على النغمات من غزل الشعر المباح بالوصف الذي قدمناه في المطلب السابق ، فعلى ما تقدم من الخلاف فالجمهور على تحريمه ، وكرهه الشافعي ومالك واشترط لإباحته أبو منصور ان يسلم من تضييع فرض أو حرمة مبيح ومن السماع على قارعة الطريق ولا يقترن به مكروه[182] .

---

(178) أنظر : تفسير القرطبي ١٤/٥٦ .

(179) أنظر : تحفة المحتاج لشرح المنهاج : شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ٤/٣١١ ، دار الطباعة ، مصر .

والمجموع شرح المهذب : أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ١٨/٤٦٥ ، ط مطبعة الإمام ، مصر .

ونهاية المحتاج الى شرح المنهاج : شمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي ٨/٢٨٠ ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(180) أنظر : المدونة الكبرى : الإمام مالك بن أنس الأصبحي رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن عبدالرحمن بن القاسم ٤/٤٢١ ، ط مطبعة السعادة ـ مصر ، ١٣٢٤هـ .

(181) المبسوط : شمس الدين السرخسي ١٦/١٣٢ ، ط ٣ ، دار إحياء المعرفة ، لبنان ، ١٩٧٨م .

(182) أنظر : كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع : أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي ، مطبوع من آخر كتاب الزواجر ٢/٢٧٧ ـ ٢٧٨ ، ط دار المعرفة ، بيروت .

←

وأباحه ابن حزم وجماعة من الحنابلة كما قدمنا ومَنْ غنّى لنفسه أو غيره إن أخذ عليه أجراً واشتهر به بين الناس وصار يُعرف بين الناس بأنه مغنٍ فهو سفيه مردود الشهادة ، وكذا مَنْ انقطع لسماعه بخلاف مَنْ يسمعه أحياناً ولو في الملأ[183] .

ويستحب الغناء الذي لا فحش فيه في الأعراس والأفراح ونحوهما . ويباح غناء النساء للنساء وغناء الرجال للرجال ، وغناء الجواري للرجال وغناء الصغيرات للرجال وكل ذلك ما لم يتفاحش أو يؤدي الى فتنة أو أشغل عن فرض أو واجب[184] .

وقد حذَّر رسول الله ﷺ من الانهماك في كل ما تميل اليه النفس ، عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال : (في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف ! فقال رجل من المسلمين : يا رسول الله ومتى ذلك ؟ قال : إذا ظهرت القينات والمعازف وشُربت الخمور)[185] .

وما اعتاد الناس استعماله لمزاولة أعمالهم وحرثهم وحمل ثقيل وقطع طريق طويل في السفر ترويحاً للنفوس وتنشيطاً لها كحداء الأعراب بإبلهم ، وغناء النساء لتسكين صغارهن ، ولعب البنات الصغار ، فهذا إذا سلم الغناء فيه من فحش وذكر محرم ، كوصف الخمور والقينات لا شك في جوازه ولا يختلف فيه ، بل يندب اليه إذا نشط الى فعل خير كالحداء في الحج والغزو ، وقد ثبت عن الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله تعالى عنهم في بناء المسجد وحفر الخندق وغيرهما كما هو مشهور .

عن جابر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : (أهديتم الجارية الى بيتها ؟ قالت : نعم ، قال : فهل بعثتم معها مَنْ يغنيها ، يقول : أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم فإن الأنصار قوم فيهم غزل)[186] .

وأما الأشعار المزهدة في الدنيا المرغبة في الآخرة ، فهي من أنفع الوعظ ويحصل بها أعظم الأجر[187] .

← والمدونة الكبرى ٤٢١/٤ ؛ والمحلّى ٩٢/٥ ؛ والمغني ١٧٥/٦ .

(١٨٣) أنظر : كف الرعاع ٢٧٩/٢ .

(١٨٤) أنظر : الشريعة الإسلامية والفنون ٣٠٦ .

(١٨٥) سنن الترمذي : ٣٤ كتاب الفتن ـ باب ٣٨ ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف ٤٢٩/٤ ، رقم الحديث (٢٢١٢) . (مرسل) غريب .

(١٨٦) السنن الكبرى ٢٨٩/٧ .

(١٨٧) أنظر : كف الرعاع ٢٧٧/٢ .

ولما دخل ذو النون البصري بغداد اجتمع عليه صوفيتها ومعهم منشد فاستأذنوه بأن ينشد بين يديه شيئاً فأذن لهم ، فأنشد يقول :

صغيــــــــر هـــــــواك عـــــــذبني
فكيف بـــــــــه إذا احتنكـــــــــــا

وقـــــــــــد جمعت في قلبي
هـــــوى قـــــد كـــــان مشتـــــركـــــا

أمـــــــــــا تـــــــــرى لمكتئبٍ
إذا ضحـــــــــــك الـخـلـيُّ بـكـى

فقام ذو النون وسقط على وجهه وصار الدم يقطر من جبينه ولا ينقط على الأرض منه شيء ، فقام رجل يتواجد فقال له ذو النون : هو الذي يراك حين تقوم[188] .

قال الجنيد : (إذا رأيت المريد يميل الى السماع فأعلم ان فيه بقية من البطالة)[189] .

(١٨٨) أنظر : الأنوار القدسية للشعراني ٢/١٨٢ .

(١٨٩) المصدر نفسه .

الفصل الثاني

امراض القلب وعلاجها

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول : الكبر والعجب ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الكبر

المطلب الثاني : العجب

المطلب الثالث : فضيلة التواضع

المبحث الثاني : الغضب ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الأسباب المهيجة للغضب وعلاجه

المطلب الثاني : فضيلة كظم الغيظ

المطلب الثالث : الحلم

المطلب الرابع : العفو

المبحث الثالث : الحقد والكراهية

المبحث الرابع : الحسد وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أسباب الحسد

المطلب الثاني : علاج الحسد

المبحث الخامس : الرياء ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : الرياء

المطلب الثاني : مظاهر الرياء

المطلب الثالث : مقاصد الرياء وأعراضه

المطلب الرابع : درجات الرياء

المطلب الخامس : علاج الرياء

تمهيد

إن أمراض القلب الباطنة أشد ضررا من أمراض البدن والقلب الظاهرة ، لأن الظاهرة تنغص عليه سعادة الدنيا ، وأمراض القلب الباطنة تفوت عليه سعادة الأبد ، فينبغي معرفة عللها ثم التشمير لمعالجتها[1] .

وتطهير باطن الأنسان الذي ينتج عنه عمل الظاهر أولى ، فإذا ما تم له ذلك التطهير صار جديرا بأن يقف بين يدي الله عز وجل تاليا لكتابه[2] .

وكل عضو خلق لفعل اختص به ، فعلامة مرضه ان يتعذر فيه ذلك الفعل ، فالعين خلقت للإبصار واليد للبطش والأذن للسمع ، فإن تعذر الفعل في هذه الأعضاء ، دل ذلك على مرضها ، وأما فعل القلب فهو العلم والمعرفة والحكمة والمحبة لله تعالى ورسوله ﷺ ، فإن تعذرت هذه الأفعال عليه دل ذلك على مرضه[3] .

ولو ان إنسانا عرف كل شيء ولم يعرف الله تعالى فكانه لم يعرف شيئا ، فمن عرف الله تعالى حصل على كل شيء ولو فاته كل شيء ، ومن فاته الله فاته كل شيء ولو حصل على كل شيء ، وعلامة المعرفة الحب ، فمن عرف الله تعالى أحبه ، وعلامة المحبة ان لا يؤثر على محبة الله تعالى شيئا من المحبوبات ، ومن آثر شيئا من ذلك على محبة الله تعالى فقلبه مريض[4] .

---

(١) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ١٤٨ .

(٢) أنظر : الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية : عبدالوهاب الشعراني ١/٦٩ ، مطبعة منير ، بغداد .

(٣) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ١٥٢ .

(٤) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ١٥٢ .

وصلاح القلب أهم من كل شيء ، إذ هو ملك مطاع نافذ الحكم ، والأعضاء رعية وخدم له ، ولذا قال ﷺ : (ألا وان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[5][6] .

ومرض القلب خفي وعلاجة عسير على مَنْ لم يصبر على مرارة دوائه ، لأن دواءه مخالفة الهوى ، ومَنْ كان فيه صبر ، ولكنه لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه استشرى به الداء وصار عضالاً ، ووجود مثل هذا الطبيب عزيز في كل عصر فهم العلماء الربانيون العارفون بربهم[7] .

فإذا تمكَن الداء من القلب لم يبق للدواء محل ، فلذلك أعضل أمره وتعذر برؤه ، لذا فان الشهوة المتمكنة من القلب لا يخرجها إلا وارد قوي غلاب ، وذلك إما خوف مزعج أو شوق مقلق ، وما عدا هذين الأمرين لا استقلال له بذلك[8] .

---

(٥) صحيح مسلم : كتاب المساقاة ـ باب ٢٠ ، أخذ الحلال وترك الشبهات ـ جزء من حديث الشبهات ٣/١٢١٩ ـ ١٢٢٠ ، رقم الحديث [١٠٧ (١٥٩٩)] .

(٦) أنظر : الطريقة المحمدية ٤٠ .

(٧) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ١٥٢ .

(٨) أنظر : غيث المواهب العلية ٢/٩٠ .

المبحث الأول

الكبــــر والعـجـب

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

الـــكــــبــــــر

الكِبر (بالكسر) في اللغة : العظمة[9] .

وفي الاصطلاح : هو الاستروواح والركون الى رؤية النفس فوق الغير[10] .

وقيل : هو اعتقاد المزية وإن كان في أدنى درجات الضعة ، والتواضع عكسه ، ولولا ذلك لما صح في العائل انه متكبر[11] .

قال رسول الله ﷺ : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر)[12] .

والكبرفي الإنسان ظاهر وباطن ، فالباطن : خلق في النفس ، والظاهر : هو أعمال تصدر عن الجوارح ، والكبر بالخلق الباطن أحق ، وهو يستدعي متكبراً عليه ومتكبراً به ، وبهذا ينفصل الكبر عن العجب ، فان العجب لا يستدعي غير المعجب حتى لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصور ان يكون معجباً ولا يتصور ان يكون متكبراً إلا ان يكون مع غيره[13] .

---

(9) مختار الصحاح ٥٦١ ، مادة :(ك ب ر) .

(١٠) أنظر : إحياء علوم الدين ٣٦٣/٣ .

(١١) أنظر : قواعد التصوف ٦٣ .

(١٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة .. الخ ١٠٢/١ ـ ١٠٣ ، رقم الحديث [١٧٢ (١٠٧)] .

(١٣) أنظر : إحياء علوم الدين ٣٦٣/٣ .

ويا للشريعة الإسلامية المباركة كم تحذر من الكبر في مصادرها الأصلية ، القرآن الكريم والسُنّة النبوية الشريفة .

ففي القرآن الكريم كما في قوله تعالى : ﴿ سأصرفُ عن آياتي الذينَ يتكبرون في الأرضِ بغير الحق ﴾[14] .

وقوله تعالى : ﴿ إنهُ لا يُحبُ المُستكبرين ﴾[15] .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تصعّر خدكَ للناسِ ولا تمشِ في الأرضِ مرحاً إنَّ اللّهَ لا يُحبُ كلَ مختالٍ فَخورٍ ﴾[16] .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تمشِ في الأرضِ مرحاً انك لن تَخرقَ الأرضَ ولن تبلغَ الجبالَ طولًا ﴾[17] .

وقوله تعالى : ﴿ واستفتحوا وخابَ كل جبارٍ عنيد ﴾[18] .

وقوله تعالى : ﴿ وكذلكَ يطبعُ اللّهُ على كلِّ قلبِ متكبر جبار ﴾[19] .

وغيرها في كتاب الله تعالى كثير .

وأما في السُنّة النبوية المطهرة ، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : (لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) ، قال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ؟ قال : (إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس)[20] .

عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ، كل عتل جواب مستكبر)[21] .

[فإذا نظر العبد الى النعمة وشغلته الملاهي عنها باتباع الهوى عن أداء

---

(١٤) سورة الأعراف : من الآية (١٤٦) .

(١٥) سورة النحل : من الآية (٢٣) .

(١٦) سورة لقمان : الآية (١٨) .

(١٧) سورة الإسراء : الآية (٣٧) .

(١٨) سورة ابراهيم : من الآية (١٥) .

(١٩) سورة غافر : من الآية (٣٥) .

(٢٠) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب تحريم الكبر ١/ ٩٣ ، رقم الحديث (٩١) .

(٢١) ضحيح البخاري : كتاب الأدب ـ باب الكبر ٨/ ٢٤ . ومعنى عتل : الفظ الغليظ ، الجموح المنوع . أنظر : تفسير ابن كثير ٤/ ٤٠٤ .

شكرها نسي الذكر واشتغل عن الشكر وحلَّ بالكبر وهذا الكبر الذي هو بطر الحق][22] .

[وأما الكبر الذي هو غمط الناس فانه ينظر الى نفسه بعظم القدر والى غيره بصغر القيمة ، والى نفسه بالاستغناء عنه والى غيره بالحاجة اليه فيستحسن من نفسه أسوأ ما كان منه ، ولا يستحسن أحسن ما كان من غيره][23] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (احتجت الجنة والنار فقالت النار : فيَّ الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة : فيَّ الضعفاء ومساكينهم ، فقضى الله بينهما ، انك الجنة رحمتي أرحم بك مَنْ أشاء ، وانك النار عذابي أعذب بك مَنْ أشاء ، ولكليكما علي ملؤها)[24] .

وقال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله ، قال : (كل بيمينك) ، قال : لا أستطيع ، قال : (لا استطعت ، ما منعه الا الكبر ، فما رفعها الى فيه)[25] .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان ، فيساقون الى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال)[26] .

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : ان رسول الله ﷺ قال : (لا ينظر الله الى مَنْ جر ثوبه خيلاء)[27] .

---

(٢٢) المسائل في أعمال القلوب والجوارح ، ص ٥٨ .

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) صحيح مسلم : كتاب الجنة ـ باب النار يدخلها الجبارون ٢١٨٧/٤ ، رقم الحديث [٣٦ (٢٨٤٧)] .

وسنن الترمذي : كتاب صفة الجنة ـ باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار ٥٩٩/٤ ، رقم الحديث (٢٥٦١) . وقال : حديث حسن صحيح .

(٢٥) صحيح مسلم : كتاب الأشربة ـ باب آداب الطعام ١٥٩٩/٣ ، رقم الحديث [١٠٧ (٢٠٢١)] .

(٢٦) سنن الترمذي : كتاب صفة القيامة ـ باب (٤٧) ٥٦٥/٤ ، رقم الحديث (٢٤٩٢) ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٢٧) صحيح البخاري : كتاب اللباس ـ باب قوله تعالى : ﴿ قل مَنْ حرم زينة الله التي أخرج ←

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : (العز إزاري والكبرياء ردائي ، فمَنْ ينازعني عذبته)[28] .

إن مَنْ عرف ربه كسرته معرفته ، وخشع قلبه ، واستكانت نفسه ، وكان لها بالمرصاد يحاسبها في كل وقت فإن غفل عنها جمحت عن الطريق أهلكته .

ومَنْ طلب العلم لا للمعرفة ولا للعمل ولكن للفخر والرياسة والبطر على المسلمين والتحامق عليهم وإزدرائهم ، فذلك أكبر الكبر ولا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من كبر[29] . كما تقدم .

وينبغي ان ننبه على دقيقة من الدقائق وهي ان مَنْ وجد من نفسه تعززاً وتكبراً حيث التجأ الى مخلوق مثله ، فذلك من شرف همته من حيث لا يشعر ، وشرف الهمة أحسن من دناءتها ، فان العبد يتعزز على عبد مثله كما ان فخره وشرفه في فقره الى سيده وسؤاله في دفع ضروراته وقضاء مهماته وملماته[30] .

الفرع الأول : أقسام الكبر ودركاته :

تتهاوى ظلمات الكبر بتفاوت المعرفة وتعزز النفس ، وأبينها فيما يأتي :

الضرب الأول : كفر التكبر :

وهي العظمة التي تصل بصاحبها الى الكفر ، ومن أمثلة ذلك : كفر إبليس ، إذ أبى واستكبر[31] . وهو على قسمين :

القسم الأول : التكبر على الله تعالى :

وهو أفحش أنواع الكبر ومثاره الجهل المحض والطغيان ، مثل ما كان من

لعبادة ٧/١٨٢ .

وصحيح مسلم : كتاب اللباس ـ باب تحريم جر الثوب خيلاء ٣/١٥١ . رقم الحديث (١٠٨٥) .

(٢٨) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة ـ باب تحريم الكبر ٤/٢٠٢٣ ، رقم الحديث (٢٦٢٠) .

(٢٩) أنظر : الكبائر : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، ص ٨٥ ـ ٨٦ ، أوفسيت وسام ، بغداد ، ١٣٨٤هـ .

(٣٠) أنظر : الوصايا لابن عربي ، ص ٦٠ .

(٣١) أنظر : مدارج السالكين ١/١٨٨ .

نمرود ، فقد حدَّث نفسه بأن يقاتل رب السماء ، ومثله تكبر فرعون في إدعاء الربوبية[32] .

القسم الثاني : التكبر على الرسل عليهم السلام :

التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر قبل سائر الناس بأن يصرف نفسه عن الفكر والاستبصار ليبقى في ظلمة الجهل وفي ظنه انه محق ، أو يمتنع عن التسليم والانقياد للحق مع معرفته بأنه حق[33] .

كما في قوله تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾[34] .

وأما الضرب الثاني :

فهو التكبر على العباد بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره ، وفي هذا ثلاث مراتب :

الأولى : ان يكون التكبر مستقراً في قلب الإنسان فهو يرى نفسه خيراً من غيره ، إلا انه يجتهد ويتواضع ، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة ، إلا انه قد قطع أغصانها[35] .

الثانية : أن يظهر التكبر بأفعاله ، مثل الترفع بالمجالس والتقدم على الأقران والإنكار على مَنْ يقصر في حقه ، فترى العالِم يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم ، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم ، ومَنْ يفعل ذلك فعليه أن ينظر الى خطاب الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ ، حيث قال : ﴿ واخفضْ جَناحِكَ لمَنْ اتبعكَ من المؤمنين ﴾[36][37] .

الثالثة : أن يظهر التكبر على اللسان ، كالدعاوى والمفاخر وتزكية النفس وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره ، وكذلك التكبر بالنسب ، فقد يتكبر صاحب النسب الشريف على مَنْ ليس له ذلك النسب ويستحقره ، وقد قال

---

(٣٢) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/ ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٣٣) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/ ٤٦٤ - ٣٦٥ .

(٣٤) سورة النمل : من الآية (١٤) .

(٣٥) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ٢٣١ .

(٣٦) سورة الشعراء : الاية (١٥) .

(٣٧) انظر : المصدر نفسه .

تعالى : ﴿ إنَّ أكرمَكم عِندَ اللّهِ أتقاكم ﴾[٣٨] .

وكذلك التكبر بالمال بين الأغنياء وبالجمال بين النساء فيقودهن ذلك الى الغيبة وذكر العيوب ، ومن التكبر : التكبر بالمكاثرة بالأتباع والأنصار وكثرة الجنود بين الملوك ، كل ذلك الباعث عليه رؤية المرء نعمة من نِعَم الله تعالى قد تكاملت فيه أو بخصلة من خصال الكمال ، وإن لم يكن فيه يتوهم الكمال من نفسه بصفة نقيصة أو رذيلة ، كافتخار الفَسَقَة بكثرة شرب الخمر والفجور لظنهم ان ذلك كمال[٣٩] .

الفرع الثاني : معالجة الكبر :

لما كان الكبر بالوصف القبيح الذي قدمته وقد يصل بصاحبه الى أسوأ المصارع وأخزى المهالك ، مع انه لا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه ، فإزالته فرض عين ، وهي لا تمكن بمجرد التمني ، بل بالمعالجة باستعمال أدويته النافعة في إزالته[٤٠] .

وتتم بأمرين :

الأول : إزالته من أصله بأن يعرف نفسه حق المعرفة بأن يتأمل بدايته من أسفل الأشياء وأحقرها وأقذرها وهو التراب ، ثم المني وتوسطه فيما أهلَّه الله تعالى لاكتساب العلوم والمعارف وحيازة المناصب والمراتب ، مع انه لا يقدر على جلب نفع إلا بتيسير الله تعالى ولا يقوى على دفع ضر إلا بمنّة من الله تعالى ، وعوده الى بدايته انتهاءاً تأكله الحشرات والديدان ، ثم عرضه في الموقف الأكبر ، ثم الى جنة أو نار[٤١] .

ثم بعد معرفته نفسه بهذا الوصف ينبغي له معرفة ربه بالكبرياء والعظمة ، وانهما لا يليقان إلا له تعالى ، ويعلم من ذلك انه لا يليق به الفرح لحظة

---

(٣٨) سورة الحجرات : من الاية (١٣) .

(٣٩) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ٢٣١ ـ ٢٣٢ .
والمسائل في أعمال القلوب والجوارح ، ص ٥٨ .

(٤٠) أنظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر : الإمام ابن حجر المكي ١/ ٨٠ ، ط المطبعة الوهبية ، ١٢٩٢هـ .

(٤١) أنظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ٨٠ . ومختصر منهاج القاصدين ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .
وإحياء علوم الدين ٣/ ٣٧٧ ـ ٣٨٠ .

واحدة ، فكيف البطر والخيلاء ، ولو ظهر لعبد من العباد صورة من صور عذاب أهل النار لصعق من قبحها ، ومات من نتنها ، وأي عبد لم يذنب ذنباً يستحق به عقوبة الله تعالى إلا ان يعفو عنه الكريم بفضله ، ومَنْ كانت هذه عاقبته إلا ان يعفو الله تعالى عنه وليس بيده شيء مما يجري بأمر الله تعالى من العفو أو المؤاخذة ، فكيف يتكبر ويرى نفسه شيئاً ، ومَنْ تأمل ذلك زال عنه النظر الى علمه وعمله ، ومنصبه وجاهه وماله ، وفرَّ الى الله تعالى من كل شيء ، وتواضع له[٤٢] .

الثاني : النظر في علة تكبره والباعث عليه ، فإن كان تكبره لنسب ، فليعلم ان أباه القريب النطفة ، والبعيد هو التراب ، ومَنْ اعتراه الكبر من الجمال ، فلينظر الى باطنه نظرة العقلاء ولا ينظر الى ظاهره نظر البهائم ، ومَنْ داخله الكبر من جهة القوة ، فلينظر لو ان عرقاً آلمه عاد أعجز من كل عاجز ، وإن أصابته الحمى يوماً تحلل من قوته وصار ينشد العافية ، ولو ان آفة لا تكاد تبصر دخلت جوفه ، لأهلكته أو أن بعوضة دخلت أذنه لأفزعته ، ومَنْ دهمه الكبر من الغنى ، فليتأمل كم من اليهود والفجار واللصوص والعاهرات مَنْ ملك أكثر مما ملكه ، فأفٍ لشرف يسبق فيه مثل هؤلاء ، وإن سرقه سارق في لحظة عاد صاحبه ذليلًا ، ومَنْ نفخ في قربة بدنه العلم فأصبح مغتراً به ، فان حجة الله عليه آكد من الجاهل ، وخطره أعظم من خطر غيره ، وكذلك كل سبب يعالجه بنقيضه ، ويستعمل التواضع ، فإن التكبر لا يليق إلا بالله سبحانه وتعالى ، ومَنْ تكبر صار ممقوتاً عند الله تعالى ، بغيضاً عنده[٤٣] .

وهذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان ، فطرفه في الإفراط : التكبر ، وطرفه في التفريط : الخسة والمهانة والذلة ، والوسط : التواضع وهو الفضيلة[٤٤] .

---

(٤٢) أنظر : المصادر السابقة نفسها (الزواجر ؛ مختصر منهاج القاصدين ؛ إحياء علوم الدين) .

(٤٣) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ٢٣٥ - ٢٣٦ .
وإحياء علوم الدين ٣/٣٨١ - ٣٨٥ .

(٤٤) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ٢٣٦ .

المطلب الثاني

العجب

العجب ـ بالصم ـ لغة : [الزهو][45] .

وفي الاصطلاح : [هو عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقاً لها][46] .

وهو مذموم في كتاب الله تعالى وسُنّة رسوله الكريم ﷺ ، فقد ذمَّ القرآن الكريم الكفار حيث نعتهم بقوله تعالى : ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ﴾[47] .

وأنكر على صحابة رسول الله ﷺ ورضوان الله تعالى عليهم اعجابهم بكثرتهم ، فقال تعالى : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾[48] .

ونعت اليهود بالعجب بحصونهم ، فقال تعالى : ﴿ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾[49] .

وأخبر عن قوم عاد قولهم : ﴿ مَنْ أشد منا قوة ﴾[50] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (بينما رجل يمشي قد أعجبته جبته وبرداه ، إذ خسف به الأرض ، فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة)[51] .

وعنه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم)[52] .

---

(٤٥) القاموس المحيط ١/١٠٥ ، مادة : (ع ج ب) .

(٤٦) التعريفات ٩٨ .

(٤٧) سورة الكهف : الآية (١٠٤) .

(٤٨) سورة التوبة : من الآية (٢٢٥) .

(٤٩) سورة الحشر : الآية (٢) .

(٥٠) سورة فصلت : من الآية (١٥) .

(٥١) صحيح مسلم : كتاب اللباس والزينة ـ باب تحريم التبختر ٣/١٦٥٣ ، رقم الحديث (٢٠٨٨) .

والجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين ؛ ويتجلجل : يغوص في الأرض .

(٥٢) صحيح مسلم ؛ كتاب الإيمان ـ باب تفاضل أهل الإيمان ١/٧٢ ، رقم الحديث (٥٢) .

والفدادين : أصحاب الأصوات الشديدة في إبلهم وخيلهم وحروثهم .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (احتجت النار والجنة ، فقالت هذه : يدخلني الجبارون والمتكبرون ، وقالت هذه : يدخلني الضعفاء والمساكين ، فقال الله عز وجل : لهذه : أنت عذابي أعذب بك مَنْ أشاء ، وقال لهذه : أنت رحمتي أرحم بك مَنْ أشاء ، ولكل واحدة منكما ملؤها)[٥٣] .

فالعجب يزين الخطأ والزلل ، ويعمي القلب حتى يرى المسيءنفسه محسناً ، ويرى نجاته وهو هالك ، ويرى اصابته وهو مخطىء ، فيركن الى العزة فيستصغر ذنوبه ويستكثر عمله ، فيقل خوفه وتشتد بالله عز وجل غرته ، وقد يصل المعجب الى رؤية الكذب على الله عز وجل صدقاً ، ورؤية هدايته فيما يكون فيه ضلالته[٥٤] .

وقد قيل : [ان الكاذب أبعد الناس من الفضل ، والمرائي أسوأ حالًا من الكاذب ، لأنه يكذب بقوله وفعله ، والمعجب أسوأ حالًا منهما فانهما يريان نقص أنفسهما ويريدان إخفاءه ، والمعجب أعمى عن مساوىء نفسه ، فيراها محاسن ويبديها][٥٥] .

الفرع الأول : أقسام العجب :

بناء أقسام العجب على ثلاث ركائز ، ثم تتفرع عنها الفروع :

١ ـ العجب بالبدن والهيئة والجسم والصحة والقوة والبطش ، وهي في حقيقتها نعمة أسبغها الله تعالى عليه مع العيوب التي فيه ، ومتى شاء الله تعالى سلبها منه بأدنى آفة يسلطها عليه[٥٦] .

٢ ـ العجب بالدين : وهي حمد النفس على ما علمت أو عملت ، وهو بوجوه أربعة :

أ ـ العلم : ما حفظ وفهم من الكتاب والسُنّة وأقوال علماء الأمة ، وقد يتعدى هذا المفهوم ليشمل كل العلوم الأخرى ، حتى علم الطب والكيمياء والفيزياء .

ب ـ العمل : بأن يستكثره ويستعظمه في عينه ومنه : الإدلال : وهو أن

---

(٥٣) صحيح مسلم : كتاب الجنة ـ باب النار يدخلها الجبارون ٤/٢١٨٦ ، رقم الحديث (٢٨٤٦) .

(٥٤) أنظر : الرعاية لحقوق الله : أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي ، تحقيق · عبدالقادر أحمد عطا ، ص ٨٩ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

(٥٥) الذريعة الى مكارم الشريعة ، ص ١١٤ .

(٥٦) إحياء علوم الدين ٣/٣٩٤ ـ ٣٩٥ .

يعجب بعلمه أو بعمله ، ويرى في نفسه ان قدراً عظيماً قد استحق به الثواب على عمله .

ج — الرأي الصواب : فيما استنبط قياساً على الكتاب والسُنّة والإجماع في تأصيل مسائل الفروع الفقهية ، وقد يتعدى ذلك ليشمل ما في العلوم الأخرى .

د — الرأي الخطأ : ما كان من غير استنباط لا من الكتاب ولا من السنة ولا من الإجماع . فإن استكثر العبد عمله أو علمه واستعظمه تعظيماً للنعمة ، والمنّة عليه به من الله تعالى أو رجاء ثوابه مع كونه لا يستحق الثواب لمعرفته بتقصيره فيه ويرجو من الله تعالى بفضله قبوله ، فذلك ليس بعجب[٥٧] .

٣ — العجب بالمال وكثرة الأولاد والعدد والعشيرة والأقارب والنسب والخدم والأنصار والأتباع ، فأما المال فلينظر في كثرة حقوقه وعظيم غوائله ، وأما كثرة العشيرة والولد والأنصار فلينظر هل سيكونون معه بعد موته ووقوفه بين يدي الله عز وجل ؟ فكيف يعجب بهم وهم سيفترقون عنه إذا مات ، فيُدفن في قبره ذليلًا يسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والديدان ، ولا يغنون عنه شيئاً وهو أحوج أوقاته اليهم[٥٨] .

وهذا ما يجري مثله من العجب على كثير من المسلمين ، وقد يرد على العصاة منهم الغرور بعفو الله تعالى فيهمل العمل ، فهم يتأملون ما أسبغ الله تعالى عليهم من النِعَم الدنيوية ويمنون أنفسهم بالآمال بقولهم : (ان الله غفور رحيم ، ونحن على كل حال موحدون) ، ونسوا قوله تعالى : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾[٥٩] .

وقوله تعالى : ﴿ جزاءاً بما كانوا يعملون ﴾[٦٠] .

وقوله تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾[٦١] .

---

(٥٧) أنظر : الرعاية لحقوق الله ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٥٨) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٣٩٧ .

(٥٩) سورة النجم : الآية (٣٩) .

(٦٠) سورة الأحقاف : من الآية (١٤) .

(٦١) سورة البقرة : الآية (٢١٨) .

وهل يصح الرجاء إلا إذا تقدمه عمل ، وإلا فهو غرور لا محالة[٦٢] .

وعلى هذه الركائز تنشأ كثير من هياكل جوفاء تريك العظمة الكاذبة ويتفرع عنها فروع كثيرة يطول الكلام في تفصيلاتها الجزئية ، ومرد ذلك كله الى هذا الكلام اليسير الذي قدمناه .

الفرع الثاني : علاج العجب :

إن علاج العجب في الغالب ونفيه يستلزمان شهود المنّة[٦٣] من الله تعالى ، فانها توجب الشكر . والتقصير في شكر النعمة ملازم لكل العباد على اختلاف أنواع النعم ، كما تقدم ذلك في الباب الأول جليا .

وعلاج كل علة بمقابلة سببها الباعث عليها بضده ، وعلة العجب الجهل المحض ، فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل ، فلو ترى الى العالم الفقير ربما راى الجاهل الغني أحسن منه حالا ، ولو قيل له : هل تؤثر جهله وغناه عن علمك وفقرك ؟ لامتنع عن ذلك ، وهذا دليل على ان نعمة الله تعالى عليه أكبر[٦٤] .

فتأمل ذلك في عجب الغني الجاهل مع عدم شهود منّة الله تعالى عليه ، وذلك يستلزم الغفلة عن شكر النعمة ، ثم تأمل عجب العالم الفقير بعلمه كيف ينكسر لشهوة المال ، مع ان نعمة العلم فيه أكبر ، وغفلته عن شكر نعمة العلم ، وعلى هذا المثال فقس باقي الشؤون .

قال تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ﴾[٦٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : (ما من أحد يدخله عمله الجنة) ، فقيل : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : (ولا أنا ، إلا ان يتغمدني ربي برحمته)[٦٦] .

وقد كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم من بعده يتمنون أن يكونوا ترابا ، أو

---

(٦٢) أنظر : الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين : الامام أبو حامد الغزالي . تحقيق : عبداللطيف عاشور . ص ٢٩ ـ ٣١ . ط مكتبة القران . القاهرة .

(٦٣) أنظر : قواعد التصوف . ص ٦١ . ص ٦٢ .

(٦٤) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٣٩١ ـ ٣٩٣ .

(٦٥) سورة النوبة : من الاية (٢٥) .

(٦٦) صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين ـ باب لمن يدخل أُحد الجنة ٤/٢١٦٩ . رقم الحديث (٢٨١٦) .

انهم لم يولدوا ـ وغير ذلك مما ورد عنهم من الآثار ـ مع انهم خير الناس في صفاء قلوبهم وأعمالهم ومعارفهم ، فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه[67] .

والعجب بالرأي الخطأ ليس بنعمة ، فيوصف بنسيان النعمة والغفلة عن شكرها ، ولكنه بلاء وخذلان ونقص حتى ولو ذكر النعمة عند ذلك لما انتفى العجب بذلك ، بل يستحكم فيغلب عليه . وليس له من دواء شافٍ إلا تهمة النفس وعدم رؤية ما يكون منها بالاستحسان إلا بدليل بيِّن من الكتاب والسُنَة[68] .

---

(٦٧) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/ ٣٩٤ .

(٦٨) أنظر : الرعاية لحقوق الله ٣٤٦ ـ ٣٥٥ .

المطلب الثالث

فضيلة التواضع

التواضع في اللغة : التذلل والتخاشع[٦٩] .

وفي الاصطلاح : له تعريفات ، منها : أن يخضع القلب لصولة الحق[٧٠] .

وقيل : هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم[٧١] .

والذي نراه مناسباً في تعريف هذه الفضيلة من فضائل الأخلاق ، هو أن التواضع : رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومنزلته . وفضيلته لا تكاد تظهر في أفناء الناس لاستواء درجاتهم فيما بينهم ، فلا يكاد التواضع يظهر فيهم ، وإنما يتبيَّن في أجلَّاء الناس وعلمائهم وأشرافهم[٧٢] . ولذلك للعظيم والكبير تواضع ، وللصغير أعرف قدرك ، رحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعد طوره .

والتواضع أعم من الخشوع ، لأنه يستعمل فيما بين العباد وفيما بينهم وبين الله عز وجل بخلاف الخشوع ، فانه لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى ، فلا يقال : خشع العبد لمثله ، ويقال : تواضع له[٧٣] .

وقد حث القرآن الكريم على التواضع حين مدح أهله في قوله تعالى : ﴿ وعبادُ الرحمنِ الذينَ يمشونَ على الأرضِ هَوناً ﴾[٧٤] .

وحث عليه مرة أخرى حين أمر الله سبحانه وتعالى خير خلقه بقوله تعالى : ﴿ واخفضْ جناحكَ لمَنْ اتبعكَ من المؤمنين ﴾[٧٥] .

---

(٦٩) انظر : القاموس المحيط ٣/٩٨ ، مادة : (و ض ع) .
ومختار الصحاح ٧٢ .

(٧٠) انظر : حياة القلوب في كيفية الوصول الى المحبوب ٢/٢٢٧ - ٢٢٨ .
ومدارج السالكين ٢/١٨٦ .

(٧١) الرسالة القشيرية ١١٥ - ١١٦ .

(٧٢) انظر : الذريعة الى مكارم الشريعة ١١١ .

(٧٣) انظر : شرح الرسالة القشيرية ٣/١١ .

(٧٤) سورة الفرقان : من الاية (٦٣) .

(٧٥) سورة الحجر : من الاية (٨٨) .

وحثت السُنّة النبوية المطهرة عليه ، حيث روى سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال : (ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)(٧٦) .

وإذا أطلق لفظ التواضع فهو يستحوذ على ذات الإنسان كلها ، فلا تقول : تواضعت عينه ، أو تواضع قدمه ، بخلاف الخشوع : فانه قد يوصف به بعض جوارح الأنسان لتشير الى خشوع باطنه ، قال تعالى : ﴿ خاشعة أبصارهم ﴾(٧٧) .

وقال تعالى : ﴿ وخشعت الأصوات للرحمن ﴾(٧٨) .

وكلاهما يشير الى الظاهر والباطن معاً .

والتواضع مع الخلق من باب التفضل عليهم لأنه ترك لهم بعض حقه(٧٩) .

والتواضع درجات يتفاوت فيها المؤمنون ، ونِعَم التفاضل فيما بينهم بذلك :

الدرجة الأولى : أن لا يعارض بمعقول منقولًا في الدين ، ولا يتهم على الدينِ دليلًا ، ولا يرى الى الخلاف سبيلًا .

الدرجة الثانية : رضا النفس بأخوة المؤمن الذي رضيه الله تعالى لنفسه عبداً ، ولا يهضم حقاً لأحد عنده ، ويقبل من المعتذر معاذيره .

الدرجة الثالثة : الذلة والانكسار للحق ، ولا يكون له رأي مع ترك عوائده في الخدمة ، ولا يرى لنفسه حقاً في الصحبة(٨٠) .

---

(٧٦) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والأدب ـ باب استحباب العفو والتواضع ٤/ ٢٠٠١ ، رقم الحديث [٦٩ (٢٥٨٨)]

(٧٧) سورة القلم : من الآية (٤٣) .

(٧٨) سورة طه : من الآية (١٠٨) .

(٧٩) أنظر : الذريعة الى مكارم الشريعة ١١١ ؛ وحياة القلوب ٢/ ٢٢٧ .

(٨٠) أنظر : المصدر نفسه ؛ ومدارج السالكين ٢/ ١٨٧ ؛ أنظر : منازل السائرين ، ص ٩٨، ٩٩ .

المبحث الثاني

الغضب

الغضب بإسكان الضاد لغة : [الثور والأسد ، كالغضوب الشديد الحمرة أو الأحمر الغليظ ، وصخرة صلبة كالغضبة ، والغضب بالتحريك ضد الرضا] (٨١) . والمعنى الأخير هو المعني .

وفي اصطلاح : غليان الدم لدفع المؤذيات قبل وقوعها ، ولطلب التشفي والانتقام بعد وصولها (٨٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رجلًا قال للنبي ﷺ : أوصني ، قال :(لا تغضب) (٨٣) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) (٨٤) .

وعن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال : استب رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه ، فنظر اليه النبي ﷺ فقال : (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب هذا عنه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) (٨٥) .

إن الإنسان ساعة غضبه ينزع فيه عرق الشيطان اللعين ، حيث قال : ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ (٨٦) .

---

(٨١) القاموس المحيط ١١٥/١ ، مادة : (غ ض ب) .

(٨٢) أنظر : الطريقة المحمدية ٨٧ .

(٨٣) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة ـ باب (٧٣) ، كثرة الغضب ٢٢٦/٤ ، رقم الحديث (٢٠٢٠) ، وقال حديث حسن صحيح .

(٨٤) صحيح البخاري : كتاب الأدب ـ باب الحذر من الغضب (٣٤/٨) .
وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة والأدب ـ باب فضل منْ يملك نفسه عند الغضب ٢٠١٤/٤ ، رقم الحديث [١٠٧(٢٦٠٩)] .

(٨٥) صحيح مسلم :كتاب البر والصلة ـ باب فضل منْ يملك نفسه عند الغضب ٢٠١٤/٤ ، رقم الحديث (٢٦١٠) .

(٨٦) سورة الأعراف : من الآية (١٢) .

فإن شأن الطين السكون والوقار ، وشأن النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب [87] .

ويسمى الغضب المقتضي للغيرة الحفيظة ، فقالوا : احفظني فلان ، أي : أغضبني الغضب الذي أثار مني قوة الحفظ ، والغيرة : ثوران الغضب حماية على إكرام الحرم ، وجعل الله سبحانه وتعالى هذه القوة في الإنسان سبباً لصيانة الماء وحفظ الأنساب ولذلك قيل : كل أمة تحققت الغيرة في رجالها حقت الصيانة لنسائها [88] .

وليست الغيرة مما ذمه الشرع في الغضب ، وإنما المذموم طرفاه ، تفريطه وضعفه المسمى بالجبن ، وذلك مذموم جداً لأنه ينتج عدم الغيرة أو قلة الحمية على الزوجة والأقرباء وخسة النفس واحتمال الذل والضيم في غير محله ، والحور والسكوت عند مشاهدة المنكرات ، قال تعالى : ﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ [89] .

وقال عز وجل : ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾ [90] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ أشداء على الكفار ﴾ [91] .

وينبغي معالجة النفس من ذلك بإيقاعها فيما تخاف وتفر منه بتكلف مرة بعد أخرى ، وإسماعها غوائل الجبن وفوائد الشجاعة وتذكيرها مراراً وتكراراً حتى يزول ويقوى غضبه [92] .

وإفراط الغضب وزيادته تسمى تهوراً ، وينتج عنه الحدة والعنف ، والتهور مرض عظيم ، فإذا ثارت نار الغضب ثوراناً يغلي به دم القلب فينتشر في العروق ويرتفع الى أعالي البدن كما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر ، وإنما ينبسط الدم إذا غضب على مَنْ دونه واستشعر القدرة عليه ، فإن كان الغضب صدر ممن فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولَّد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب فعاد حزيناً ، ولذلك يصفر اللون ، وإن غضب علىٰ نظير يشك في قدرته عليه ، تردد الدم بين الانقباض

---

(٨٧) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ١٧٦ .

(٨٨) أنظر : الذريعة الى مكارم الشريعة ١٣٤ .

(٨٩) سورة التوبة : (١٢٣) .

(٩٠) سورة النور : من الاية (٢) .

(٩١) سورة الفتح :من الاية (٢٩) .

(٩٢) أنظر : الطريقة المحمدية ٨٧ .

والانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب[٩٣] . ومَنْ أخذ في أسباب الغضب ضعف عنده كل وازع يبعث فيه نشوة الإيمان ولذة المناجاة[٩٤] .

وأثر الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق ، ولو رأى الغضبان ساعة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياءاً من قبح صورته واستحالة خلقته ، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن[٩٥] .

وأثر الغضب على اللسان بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ويستحي منه قائله عند فتور الغضب ، وأثره على الأعضاء بالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة ، فإن عجز عن الانتقام عاد الى نفسه يلطم وجهه ويمزق ثيابه ، وأما أثره على القلب فانه يورث الحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة بالمساءات[٩٦] .

ولبيان أسبابه وعلاجه وما يؤدي ذلك الى فضائل عظيمة النفع جعلته في مطلبين :

---

(٩٣) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ١٧٧ .

(٩٤) أنظر : البيان في تصحيح الإيمان : ابراهيم محمد عبدالباقي ، ص ٤١ ، ط ٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٦١م .

(٩٥) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/١٧٩ .

والفلسفة العربية والأخلاق : سلطان بك محمد ٢/٢٥ ٢٦ ، ط مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩٦١ .

(٩٦) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/١٧٩ .

المطلب الأول
الأسباب المهيجة للغضب وعلاجه

تكلمنا في العلل والآفات السابقة : ان علاج كل علة في إزالة أسبابها وحسم مادتها ، وأسباب الغضب : العجب والمزاح والمماراة والمضادة والهزل والهزء والغدر وشدة الحرص على المال والجاه ، وهذه أخلاق ردیئة مذمومة شرعاً ، فينبغي أن يقابل كل واحد منهما بما يضاده ليحسم مادة الغضب ويقطع أسبابه[٩٧] .

وعلاج الغضب عند هياجه بطريقين : بالعلم أولًا ، ثم العمل ، أما العلم فأدرجه فيما يأتي :

١ — أن يتفكر في الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم واحتمال الأذى فيرغب في ثوابه .

٢ — أن يخوف نفسه عقاب الله تعالى ، فيقول في نفسه : قدرة الله عليَّ أعظم من قدرتي على هذا الإنسان ، فلو أمضيت غضبي لم آمن أن يمضي الله تعالى غضبه في يوم القيامة وأنا عندها أحوج ما أكون الى العفو ، فيحتسب ذلك لله تعالى .

٣ — أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وكثرة الأعداء والشماتة في مصائبه ، وهذا تسليط شهوة على غضب وفائدته دفع الغضب ، لكنه لا ثواب فيه ، لأنه تقديم لبعض حظوظ النفس على بعض ، إلا ان يقصد بأن ذلك يعينه على أمر الآخرة ، فيكون الثواب في ذلك .

٤ — أن يشدد في الإنكار على نفسه في قبح صورته عند الغضب وانه أشبه ما يكون بحيوان هائج لا عقل له ، وهذا لم يكن من أخلاق الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين لتميل نفسه الى الاقتداء بهم .

٥ — أن يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ، كأن يكون سبب غضبه

---

(٩٧) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ١٧٨ . وإحياء علوم الدين ١٨٣/٣ . والفلسفة العربية الأخلاق ٢٧ .

وسوسة الشيطان له : ان عدم الرد على الإشاءة بمثلها يجعلك في ذلة ومهانة ، فتكون صغيراً لا قيمة لك في أعين الناس ،وفي حال كهذه يوبخ نفسه فيقول : تأنفين من احتمال الأذى في الدنيا ولا تحتسبيه لله تعالى ولا تطمعين فيما عند الله وخزي الآخرة أكبر من خزي الدنيا وتحذرين ان تكوني صغيرة في أعين الناس ولا تحذرين سخط الله تعالى والصغار عنده والافتضاح يوم العرض عليه ؟!

٦ — أن يجري على قلبه : ان غضبه من شيء جرى وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده ، فكيف يقدم ما أراده هو على ما أراده رب العزة جل جلاله ، فيوشك ان يكون غضب الله تعالى عليه أعظم من غضبه[٩٨] .

هذا كله من طريق العلم أو عمل القلب ، أما عمل الجوارح فينبغي له السكوت والاستعاذة . عن سليمان بن صرد قال : استب رجلان عند النبي ﷺ ، فجعل أحدهما تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه ، قال رسول الله ﷺ : (إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)[٩٩] .

وعليه ، إن كان في مجلسه ما يستشيط غضبه أن يغادره ويتوضأ . عن عطية السعدي قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)[١٠٠] .

ويستعين بالجلوس والاضطجاع ، والمتأمل لهذه الكيفية يمكنه أن يدرك ان الأمر بهما ليقرب من الأرض التي خلق من ترابها فيذكر أصله فيهون عليه ما هو فيه ، ويذل ويتواضع[١٠١] .

---

(٩٨) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ١٧٨ - ١٨٠ .
وإحياء علوم الدين ٣/١٨٤ - ١٨٥ .

(٩٩) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة - باب فضل منْ يملك نفسه عند الغضب ٤/٢٠١٤ ، رقم الحديث (٢٦١٠) .

(١٠٠) سنن أبي داود ٤/٣٤٥ ، رقم الحديث (٤٧٨٤) ، ط ٢ ، السعادة ، مصر ، ١٣٦٩هـ - ١٩٨٠م ، (حديث حسن) .

(١٠١) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ١٨٠ . وإحياء علوم الدين ٢/١٨٦ . والطريقة المحمدية ٨٩ .

المطلب الثاني

فضيلة كـظـم الـغـيـظ

كظم الغيظ لغة : رد الغضب وحبسه[١٠٢] .

وفي الاصطلاح : هو ضبط النفس عن الثوران بترو ، وتحمل للأذى لسعة إدراك العقل وهيمنته على النفس[١٠٣] . مع قدرته على الإيقاع بخصمه[١٠٤] .

وقد غلبت تسمية المكظوم من الغضب غيظاً ، وتسمية غير المكظوم غضباً ، لأن الغيظ لا يظهر على الجوارح بخلاف الغضب ، فانه يظهر في الجوارح مع فعل ما ، ولهذا جاء إسناد الغضب الى الله تعالى : وهو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم . والغيظ في الإنسان : عبارة عن هيجان الطبع عند رؤية ما ينكر[١٠٥] .

وقد ذكر رب العزة جل جلاله أوصاف المتقين في كتابه الكريم ، فقال : ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾[١٠٦] .

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (منْ كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء)[١٠٧] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من جرعة أحب

---

(١٠٢) أنظر : القاموس المحيط ١٧٤/٤ ، مادة : (ك ظ م) .

(١٠٣) أنظر : رسالة دستور الولاية ومراقي العناية [أو : مطلب السالك ونجاة الهالك] : تاليف : محمد هاشم البغدادي ٢٨٨/١ ، مطبعة أوفسيت النصر ، نابلس ، ١٤٠٥هـ ، القدس .

(١٠٤) أنظر : الجامع لاحكام القران : للقرطبي ٢٠٧/٤ .

(١٠٥) أنظر : المصدر نفسه . وروح المعاني ٥٨/٤ .

(١٠٦) سورة ال عمران : من الاية (١٣٤) .

(١٠٧) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة ـ باب كظم الغيظ ٣٢٦/٤ ، رقم الحديث (٢٠٢١) .

الى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد . ما كظم عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيماناً)[108] .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : ما رأيت عمر غضب قط فذكر الله عنده أو خوف أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن إلا وقف عما كان يريد . وقال بلال لأسلم : كيف تجدون عمر ؟ فقال : خير الناس إلا انه إذا غضب فهو أمر عظيم ، فقال بلال رضي الله عنه : لو كنت عنده إذا غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه[109] .

[وروي عن ميمون بن مهران ان جارية له جاءت بمرقة فعثرت فصبت المرقة عليه ، فأراد ميمون أن يضربها . فقالت الجارية : يا مولاي ، استعمل قول الله تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ . فقال : قد فعلت . فقالت : اعمل بما بعده ، ﴿ والعافين عن الناس ﴾ ، قال : قد عفوت ، فقالت : اعمل بما بعده : ﴿ والله يحب المحسنين ﴾[110] .

فقال ميمون : أحسنت اليك فأنت حرة لوجه الله][111] .

---

(١٠٨) الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني : تاليف أحمد عبدالرحمن البنا : كتاب الأخلاق الحسنة وما جاء فيها ـ باب الترغيب في كظم الغيظ وعدم الغضب ٧٨/١٩ . ط دار الحديث ، القاهرة .

(١٠٩) تاريخ الخلفاء : الإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، ص ١٣٠ ، ط ٣ ، مطبعة منير ، بغداد ، ١٩٨٧م .

(١١٠) سورة ال عمران : من الآية (١٣٤) .

(١١١) تنبيه الغافلين ٧٣ .

المطلب الثالث

الحلم

الحلم في اللغة : [الأناة][112] .

وفي الاصطلاح : هو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ، وابتداء الحلم بالتحلم ، أي بتكلف الحلم وكظم الغيظ حتى يصير ذلك أمراً هيناً على النفس فتنكسر قوة الغضب وتخضع للعقل[113] .

والحليم اسم لله تعالى وصفة له ، ومن كلام المشايخ فيه : [انه مَنْ كان صفاحاً عن الذنوب ستاراً للعيوب] .

وقيل : [هو الذي غفر بعدما ستر] .

وقيل : [هو الذي يحسن الود ويحفظ العهد وينجز الوعد] .

وقيل : [هو الذي لا يستخفه عصيان عاص ، ولا يستفزه طغيان طاغ ، ولا يعتريه غيظ ، ولا يحمله على المسارعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة ولا طيش][114] .

والحليم في الناس إنما يكون حليماً إذا كان عازماً على أن لا ينتقم البتة ، بشرط ان لا يظهر ذلك ، فإن أظهره كان ذلك عفواً ، وإن كان لم يعجل الانتقام على عزم أن ينتقم بعد ذلك ، فهذا يسمى حقوداً[115] .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال نبي الله ﷺ لأشج عبد القيس : (إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة)[116] .

---

(١١٢) مختار الصحاح ١٥٢ ، مادة : (ح ل م) .

(١١٣) أنظر : إحياء علوم الدين ١٨٨/٣ .

(١١٤) أنظر : لوامع البينات ١٨٩ .
والمقصد الأسنى شرح الأسماء الحسنى : الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، (ت ٥٠٥هـ) ، ص ٤٩ ، ط ٢ ، مطبع السعادة ، مصر ، ١٣٢٤هـ .

(١١٥) أنظر : لوامع البينات ١٨٧ .

(١١٦) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ٥٩/١ ، رقم الحديث (١٨) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رجلًا قال : يا رسول الله ، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، وأحسن اليهم ويسيئون إلي ، وأحلم منهم ويجهلون عليّ ، فقال ﷺ : (لئن كنت كما قلت ، فكأنما تسفهم المل ـ يعني الرماد ـ ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك)(١١٧) .

[وشتم رجل الشعبي فأفحش ، فقال له الشعبي : إن كنت صادقاً فغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك](١١٨) .

وسب رجل الإمام علياً زين العابدين رضي الله عنه فرمى اليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم ، فقيل : جمع له خمس خصال محمودة : الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعد من الله وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد النم ، اشترى ذلك بيسير من الدنيا(١١٩) .

---

(١١٧) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة ـ باب صلة الرحم ٤/ ١٩٨٢ . رقم الحديث (٢٥٥٨) .

(١١٨) آداب المريدين : أبو النجيب عبدالقاهر السهروردي (ت ٥٦٣هـ) . تحقيق : مناحم ميسلون ، ص ٣٨ ، ط المطبعة التجارية ، القدس .

(١١٩) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/ ١٩٠ .

المطلب الرابع

العـــفـــــو

العفو في اللغة : كلمة يدل أصل معناها على المحو ، يقال : عفت الريح الأثر إذا محته[120] .

فهو يدل على الصفح ومحو الإساءة وإمحائها وترك عقوبة المستحق[121] .

وفي الاصطلاح : [ترك المؤاخذة بالذنب][122] .

والعفو : هو الذي يعطي الكثير ويهب الفضل ولا يتعب المنعم عليه[123] .

قال تعالى : ﴿ وإن تعفوا أقرب للتقوى ﴾[124] .

وقال تعالى : ﴿ فمَنْ عفا وأصلح فأجره على ألله ﴾[125] .

وقال تعالى : ﴿ وليعفوا وليصفحوا ﴾[126] .

وقد عدَّ القرآن الكريم من أوصاف المتقين العفو في قوله تعالى : ﴿ والعافين عن النفس ﴾[127] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[128] .

قال القرطبي : [الانتصار من الكافر حتم ، ومن المسلم مباح ، والعفو مندوب][129] .

---

(١٢٠) أنظر : موسوعة أخلاق القرآن ١/ ٣٤ .

(١٢١) أنظر : القاموس المحيط ٤/ ٣٦٦ ، مادة : (ع ف و) .

(١٢٢) الذريعة الى مكارم الشريعة ١٣١ .

(١٢٣) لوامع البينات ٢٥٠ .

(١٢٤) سورة البقرة : من الآية (٢٣٧) .

(١٢٥) سورة الشورى : من الآية (٤٠) .

(١٢٦) سورة النور : من الآية (٢٢) .

(١٢٧) سورة آل عمران : من الآية (١٣٤) .

(١٢٨) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة ـ باب استحباب العفو والتواضع ٤/ ٢٠٠١ ، رقم الحديث (٢٥٨٨) .

وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في التواضع ٤/ ٣٣٠ ، رقم الحديث (٢٠٢٩) ، (حديث صحيح) .

(١٢٩) الجامع لأحكام القران للقرطبي ١٦/ ٤١ .

وأما في الحدود فما كان فيه شبهة فهي تدرأ الحد وإلا فلا يجوز العفو فيها ، ولا تهاون في حدود الله تعالى لقوله تعالى : ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾[١٣٠][١٣١] .

قال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى : لأن يخطىء الإمام في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة .

وقال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه : لئن أندم على العفو خير من أن أندم على العقوبة[١٣٢] .

وبينما كان مملوك لقيس بن عاصم يحمل بيده شيئاً مشوياً على سفود إذ تعثر فوقع على ولد صغير فمات ، فقال له قيس : اذهب فانت حر لوجه الله[١٣٣] .

وقال الفضيل : (ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إليَّ في المسجد ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه ، فجعل يبكي ، فقلت : أعلى الدنانير تبكي ؟! فقال : لا ، ولكن مثلتني وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عقلي على إدحاض حجته فبكائي رحمة له)[١٣٤] .

وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى : (أتينا منزل أمير البصرة ليلًا ، وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من بيعهم إياه وطرحهم له في الجب ، فقال : باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم ، وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ، ثم قال : أيها الأمير ، ماذا صنع الله به ؟ أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الأرض ، فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أمره : ﴿ قال لا تثريبَ عليكُم اليومَ يغفِر اللّهُ لكم وهو أرحمُ الراحمين ﴾ يعرض للأمير بالعفو عن أصحابه ، قال الأمير : فإن أقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لواريتكم تحته)[١٣٥] .

---

(١٣٠) سورة النور : من الآية (٢) .

(١٣١) أنظر : الذريعة الى أحكام الشريعة ١٣١ .

(١٣٢) بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس : الإمام أبو عمر بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي (٣٦٨هـ - ٤٦٣هـ) ، تحقيق : محمد مرسي الخولي ٣٧٠/١ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

(١٣٣) أنظر : لوامع البينات ، ص ٢٥ .

(١٣٤) إحياء علوم الدين ١٩٦/٣ .

(١٣٥) المصدر نفسه .

المبحث الثالث

الحقد

الحقد في اللغة : [الضغن][136] .

وفي الاصطلاح : [هو طلب الانتقام] .

وتحقيقه : ان الغضب إذا لزم العجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً[137] .

وإنما يصير الغيظ حقداً بشرط عجزه عن التشفي ، أما إذا كظم لسلامة الصدر والاحتساب لله تعالى فانه لا يصير حقداً ويقمع ما ينتج عن ذلك الغيظ كما تقدم ، وإن احتقن لعجز عنه فذلك هو الحقد ، وعلامته دوام الكره والبغض والمقت والاستثقال والنفور لمَنْ عجز عن الانتقام منه والتشفي فيه ، فالحقد نتيجة للغضب وهو باعث على الحسد[138] .

لذلك وقع في كثير من المصنفات الكلام على الغضب والحقد والحسد في مبحث واحد لأن بينها تلازماً وترتباً ، وعلل ذلك في الزواجر بقوله : [لأن ذم كل يستلزم ذم الآخر إذ ذم الفرع وفرعه يستلزم ذم الأصل وأصله وبالعكس][139] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، ـ وأشار الى صدره الشريف ـ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله)[140] .

---

(١٣٦) مختار الصحاح ١٤٦ ، مادة : (ح ق د) .

(١٣٧) التعريفات ٦٢ .

(١٣٨) أنظر :مختصر منهاج القاصدين ١٨٣ .

(١٣٩) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٥٦ .

(١٤٠) صحيح البخاري : كتاب الأدب ـ باب : ﴿ يا أيها الذين أمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ﴾ ←

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : (يا بني إن قدرت على أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فأفعل)[141] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : لما حلف أبو بكر رضي الله عنه ان لا ينفق على مسطح ـ وكان قريبه ـ لكونه تكلم في واقعة الإفك ، نزل قوله تعالى : ﴿ ولا يأتل أُولُو الفضل منكم ﴾ ، الى قوله تعالى : ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾[142] ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : نعم نحب ذلك وعاد الى الإنفاق عليه)[143] .

ومما يبغث على الحقد مهانة النفس مع شدة الحرص وقلة الرحمة واستبطان القسوة ولا يخرج العبد من ذلك كله حتى يخرج من ذل المعصية الى عز الطاعة ، فإذا ما تحصل له ذلك علم ان أصل ذلك المهانة مع ضعف الحيلة فيستبطن الرحمة ويلين جانبه ويستبدل الغش بالسلامة ويسلم قلبه لعامة الخلق[144] .

هذا كله في ماهية الحقد فيمَنْ وقع في قلبه منه شيء ، وأما الحقد باعتبار الطرف الآخر وهو المحقود عليه ، فإن له في الرد على ما أصابه من ذلك واحداً من ثلاثة أمور عند القدرة ، أدرجها فيما يأتي :

١ ـ أن يستوفي حقه كاملًا دون زيادة أو نقصان له أو عليه ، ومَنْ فعل ذلك أصاب العدل في فعله .

٢ ـ أن يتنازل عن حقه الذي يستحقه ، ثم يتبع ذلك بالعفو منه عن الإساءة

← ٨/٢٣ .

وصحيح مسلم : ٤٥ . كتاب البر والصلة والآداب ـ ٩ باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتفاحش ونحوها ٤/١٨٥ . رقم الحديث [٢٨ (٥٦٦٣)] .

والموطأ : للإمام مالك بن أنس رضي الله عنه : كتاب حسن الخلق ـ باب ما جاء في المهاجرة ٢/٩٠٧ ـ ٩٠٨ . رقم الحديث (١٥) .

(١٤١) سنن الترمذي : كتاب العلم ـ باب ما جاء في الأخذ بالسُنّة واجتناب البدع ٥/٤٥ . رقم الحديث (٢٦٧٨) . حسن غريب .

(١٤٢) سورة النور : من الآية (٢٢) .

(١٤٣) صحيح البخاري : كتاب الشهادات ـ باب تعديل النساء بعضهن بعضا ٣/٢١٨ .
وصحيح مسلم : كتاب التوبة ـ باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف ٤/٢١٢٩ . رقم الحديث (٢٧٧٠) .

(١٤٤) أنظر : المسائل في أعمال القلوب والجوارح ، ص ٦١ .

ويزيد على ذلك بالإحسان والإكرام والصلة ، ولا يفعل ذلك إلا أُولو الفضل الجزيل .

٣ — أن يطالب بما ليس له بحق ولا يعطي ما عليه ويزداد فيما له ، وذلك هو الجور والاختيار الأرذل[١٤٥] .

(١٤٥) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/١٩٣ .

المبحث الرابع

الحسد

الحسد في اللغة : تمني تحول نعمة الغير اليه أو زوالها[١٤٦] .

وفي الاصطلاح : هو تمني زوال نعمة مستحقة للغير ، سواء كان طالباً ذلك لنفسه أم لا ، حيث يرى ان النعمة عليه في زوال نعمة غيره[١٤٧] .

وعدَّ الله تعالى الحسد من شر ما خلقه ، حيث أمر بأن نستعيذ من شر ما خلق في سورة الفلق وختمها : ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد ﴾[١٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾[١٤٩] .

وقال تعالى : ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ﴾[١٥٠] .

وفي السُـنّة النبوية الشريفة حديث سيدنا أنس رضي الله عنه الذي تقدم في مبحث الحقد ، حيث يقول عن النبي ﷺ قال : (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً)[١٥١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال : (إياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب)[١٥٢] .

---

(١٤٦) أنظر : القاموس المحيط ٢٩٨/١ ، ومختار الصحاح ١٣٥ ، مادة : (ح س د) .

(١٤٧) أنظر : الذريعة الى مكارم الشريعة ١٣٥ .

(١٤٨) سورة الفلق : الآية (٥) .

(١٤٩) سورة النساء : من الآية (٥٤) .

(١٥٠) سورة النساء : من الآية (٣٢) .

(١٥١) صحيح البخاري : كتاب الأدب ـ باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ٢٣/٨ ، ٢٥ .
وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تحريم ظلم المسلم واحتقاره ١٩٨٦/٤ ، رقم الحديث [٣٢ (٢٥٦٤)] .

(١٥٢) تاريخ الكبير للبخاري ٢٧٣/١ ، وسنن أبي داود : باب الأدب ٥١ .

وعن الزبير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (دبَّ اليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين ، والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم)[١٥٣] .

قال محمد بن سيرين رحمه الله : [وما حسدت أحداً على شيء من الدنيا ، فإن كان من أهل الجنة فكيف أحسده وهو صائر الى الجنة ، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده وهو صائر الى النار][١٥٤] .

وقال الأحنف بن قيس : [خمس هن كما أقول : لا راحة لحسود ، ولا مروءة لكذوب ، ولا وفاء لملوك ، ولا حيلة لبخيل ، ولا سؤدد لسيء الخلق][١٥٥] .

والحسد نوعان ، محمود : وهو ان تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة مع عدم زوال ذلك ويسمى الغبطة ، وهي في الحديث الصحيح الذي يرويه سيدنا عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ، قال : (لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار)[١٥٦] .

ويجوز ان يسمى ذلك منافسة[١٥٧] .

والحسد بهذا المعنى ينقسم الى مندوب ومكروه ومباح ، فإنه إن تمنى مثل نعمة غيره ، من حيث كونها تقربه الى الله تعالى فهو مندوب ، وإن تمنى مثل نعمة غيره ، من حيث كونها تأتيه بما يحبه ويطلبه حال كون الشرع كارهاً له فهو مكروه أو مبيحاً

---

(١٥٣) مسند الإمام أحمد ١/١٦٥ - ١٦٧ (حديث حسن صحيح) .
سنن الكبرى للبيهقي ١٠/٢٣٢ .

(١٥٤) تنبيه الغافلين ٦٥ .

(١٥٥) مختصر شعب الإيمان : الإمام أبو جعفر عمر القزويني (ت ٦٩٩هـ) ، تحقيق : محمد منير الدمشقي ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، ط المطبعة المنيرية ، ١٣٥٥هـ .

(١٥٦) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين - باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلّمه ١/٥٥٨ ، رقم الحديث (٢٢٦) .
سنن الترمذي : كتاب البر والصلة - باب ما جاء في الحسد ٤/٢٩١ ، رقم الحديث (١٩٣٦) .

(١٥٧) أنظر : الجامع لأحكام القرآن ٢/٧١ .

له فهو مباح[١٥٨] .

ومذموم : وهو ان تتمنى زوال نعمة الله عن الغير ، سواء تمنيت معها أن تعود إليك أم لا[١٥٩] . وهو بهذا المعنى حرام عظيم إثمه لما تقدم من النصوص .

والحاسد بارز ربه محاربة في خمسة أمور أبينها فيما يأتي :

١ ـ انه يبغض نعمة الله التي أنعم بها على غيره ويتمنى زوالها .

٢ ـ انه سخط على قسمة ربه ولسان حاله يقول : لِمَ قسمت هذه القسمة ؟

٣ ـ انه ضد فضل الله تعالى ، فالله تعالى يؤتي فضله مَنْ يشاء من عباده وهو يضن به ويبخل وان حصل تمنى زواله .

٤ ـ انه عادى من والى الله تعالى وأراد خذلانهم ، حيث تمنى زوال النعمة عنهم .

٥ ـ انه ناصر عدو الله إبليس وشاركه في فعله ، حيث تمنى زوال نعمة أخيه كما تمنى إبليس ذلك لآدم عليه السلام[١٦٠] .

يقول الله تعالى في بعض الكتب : الحسود عدوُ نعمتي متسخط لقضائي غير راضٍ بقسمتي[١٦١] .

والحسد على نعمة قسمها الله تعالى في قوله: ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾[١٦٢] ، ظلم صريح ، فان رجلًا يتقلب في نعمة مولاه التي تفضل بها عليه وخصه بها فلم تكن لغيره بحق ، إلا بما أمر الله تعالى ، ثم ان الحسد منك إن كان على مال وثراء ، فالأرض التي هي معدن الكنوز والذخائر من الذهب والجواهر أولى من حسدك لأخيك ، سواء كان صالحاً أم غير ذلك[١٦٣] .

والحسد أول ذنب يعصى الله تعالى به في السماء ، حيث حسد إبليس لعنه الله آدم عليه السلام وتمنى زوال ما أنعم الله به عليه ، وهو أول ذنب يعصى الله به في الأرض ، حيث حسد ابن آدم أخاه حتى قتله[١٦٤] .

---

(١٥٨) أنظر : نتائج الأفكار القدسية ٣/٣١ .

(١٥٩) أنظر : الجامع لأحكام القران ٢/٧١ .

(١٦٠) أنظر : الجامع لأحكام القران ٢٠/٢٦٠ .

(١٦١) أنظر : المصدر نفسه ٢٠/٢٥١ .

(١٦٢) سورة الزخرف : من الآية (٣٢) .

(١٦٣) أنظر : فتوح الغيب : سيدي الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، ص ٩٢ ـ ٩٣ ، ط ٢ ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ،١٣٩٢هـ ، ١٩٧٣م .

(١٦٤) أنظر : أدب الدنيا والدين : للماوردي ٢٦١ .

وللحسد آثار مدمرة على الحاسد أولًا قبل المحسود أذكر منها ما يأتي :

١ — سقم الجسد وحسرة دائمة لا نهاية لها مع قلق وانشغال عن طاعة الله .
٢ — انحطاط القدر في أعين الناس ونفورهم منه ، إذ هو عدو ما أنعم الله به عليهم .
٣ — سخط الله تعالى عليه لأنه بارزه محاربة كما قدمنا .
٤ — معاداة الناس له ، ولا يكون منهم مَنْ يصافيه الود(١٦٥) .

وفوق كل ذلك ، فالحاسد أبخل من البخيل ، إذ البخيل يبخل بمال نفسه ، والحاسد يبخل بمال الله تعالى ، كما انه قد بلغ مبلغاً في الحماقة لا يبلغه غيره ، إذ الحاسد إنما يحسد ذويه وأقاربه وكان الأولى أن يسر به ، فان اصابتهم بتلك النعم خير له من أن تصيب هذه النعم الأباعد(١٦٦) .

وبين مَنْ تزيّا بزي العلم ربما يحسد أحدهم غيره من أهل العلم ويحب أن يخطىء في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح ، ويحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم ، أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم ، وأي إثم يزيد على هذا ؟ وأشنع مرضاً في القلب منه ماذا ؟(١٦٧)

وهناك تفاوت في دركات الحسد ، وأُجمِلُها في أربع مراتب فيما يأتي :

١ — أن يحب زوال النعمة عن الغير ، وإن كان ذلك لا ينتقل اليه ، وهذا غاية الخبث وهو حرام وأذم أنواع الحسد .

٢ — أن يتمنى زوال نعمة الغير وحصولها لديه ، لكن لرغبته في حصول النعمة عنده أعظم من زوالها عن المحسود .

٣ — أن يتمنى حصول مثل النعمة التي عند الغير لا عينها ، فإن لم يتم له ذلك تمنى زوال النعمة عن ذلك الغير كيلا يظهر التفاوت بينهما ، وهذان النوعان مذمومان ، وهما أخف ضرراً من الأول ، والثاني أخف ضرراً من الثالث .

٤ — أن يشتهي لنفسه مثل نعمة الغير ، فإن تحصل لديه هذه النعمة فلا يحب زوالها عن ذلك الغير ، وهو معفو عنه إن كانت النعمة حظاً من حظوظ الدنيا ،

---

(١٦٥) أنظر : أدب الدنيا والدين ٢٦٥ .

(١٦٦) أنظر : الذريعة الى مكارم الشريعة ١٣٥ .

(١٦٧) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٢١٠ .

ومندوب إن كان في الدين[١٦٨] ، لقوله تعالى : ﴿ لمثلِ هذا فليعملِ العاملون ﴾[١٦٩]

وقوله تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾[١٧٠] .

---

(١٦٨) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٢٠٤ .

(١٦٩) سورة الصافات : من الآية (٦١) .

(١٧٠) سورة المطففين : من الآية (٢٦) .

المطلب الأول

أســـباب الحســـد

الحسد نتيجة لبواعث ودواع إن لم يحسن معالجة جذورها استلزمت وجوه فيعظم الخطر ويكبر الضرر، وأبينها فيما يأتي:

١ – الحقد والبغضاء تغلي في الصدر حتى تستلزم العداوة، فلا يحب أن ينال مَنْ يبغضه ويحقد عليه نعمة، ولا أن تدفع عنه نقمة، ولا أن يذكر بين الناس بخير، وهذا هو أشد أسباب الحسد ودواعيه، ومع هذا فانه محدود إذ لا يمكن بغض كل الناس[١٧١].

٢ – التعزز: فلا يرضى رفعة أحد عليه بظهور فضل يعجز عنه فيأسى لتقدمه عليه، فإذا زاد جاه أحد عليه أو ثراؤه خشيَ ان يكون ذلك داعياً لاستعظامه واستكباره عليه فيتمنى زوال نعمته وثرائه وجاهه، وهذا من الحسد المتوسط، إذ لا يحسد الأكفاء مثل هذا الحسد مَنْ هو أدنى منهم[١٧٢].

٣ – أصل الحقد والحسد شدة الحرص وحب الدنيا والباعث على ذلك هو الطمع، ولكن الحسد يكون مع حصول النعمة للغير، والحقد تتلظى ناره مع البلاء وحصول النعمة لغيره[١٧٣].

وقد تبلغ النفس بالحرص ان تبخل بنِعَمِ الله تعالى على عباده فتسخط على الله تعالى في قضائه ومنحه واعطائه، وذلك من خبث النفس وشحها بالخير، فقد يحسد الناس مَنْ هو وضيع لا ينافس أحداً إلا انه يغتم إذا

---

(١٧١) أنظر: الفلسفة العربية والأخلاق، ص ٣٤.
وإحياء علوم الدين ٣/ ٢٠٥.
ومختصر منهاج القاصدين ١٨٥، وأدب الدنيا والدين ٢٦٢.

(١٧٢) أنظر: المصادر نفسها.

(١٧٣) أنظر: المسائل في أعمال القلوب والجوارح ٥٩.

أصاب أحداً نعمة لخبث سريرته وشحها بالخيرات ، وهذا أعم أنواع الجسد[١٧٤] .

فليس لصاحبه راحة ، فإن اقترن بشر صار انتقاماً ، وإن ساوره العجز أجهد صاحبه وأسقمه .

٤ — شدة الجهل ، إذ لو يعلم ان ما قسم له لا يمكن ان يكون لغيره ، وما قسمه الله لغيره لا ينازعه أحد في أخذه ، إذ خصه الله تعالى بذلك ، فالاستياء من ذلك إنما هو في الحقيقة استياء من قسمة الله تعالى[١٧٥] .

٥ — الكبر : حيث تأبى نفسه أن يدانيه أو يفوقه أحد في شيء من وسائل العظمة والتكبر فيصبح تكبره غير مقبول عند مَنْ يتكبر عليهم لتقدم غيره في أسباب التكبر عليه فيحسده على ذلك[١٧٦] .

٦ — العجب : فلا يرى صاحب العجب أحداً جدير بالنعمة غيره ، فإذا وصلت النعمة الى غيره وليس في ذلك الغير على ما يظنه ما يستدعي حصول مثل تلك النعمة ، وانه أحق بها منه ، تمنى زوال تلك النعمة عنه ، إذ شاركه فيما ليس له بحق ، بل تفرّد فيما لا ينبغي له لشدة اعجابه بنفسه[١٧٧] .

٧ — قلة اليقين : فمَنْ كان موقناً بأن الله تعالى بيده مقادير كل شيء واليه ترجع الأمور ، لا يزعجه شيء من خطوب الدهر ، فضلًا عن نعمة تصيب أخاه[١٧٨] .

٨ — حب الزعامة : فإن غالب الناس يريد أن يكون عديم النظير في شأنه علماً أو صنعة أو غير ذلك ، فإن ظهر مَنْ ينازعه ذلك ، تمنى زوال نعمته[١٧٩] .

---

(١٧٤) أنظر : أدب الدنيا والدين ٢٦٣ ، والفلسفة العربية والأخلاق ٣٤ .
ومختصر منهاج القاصدين ١٨٦ ، وإحياء علوم الدين ٣/٢٠٦ .

(١٧٥) أنظر : نتائج الأفكار القدسية ٣/٣١ .

(١٧٦) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٢٠٥ ، ومختصر منهاج القاصدين ١٨٥ ، والفلسفة العربية والأخلاق ٣٤ .

(١٧٧) أنظر : المصادر نفسها .

(١٧٨) أنظر : نتائج الأفكار القدسية ٣/٣١ .

(١٧٩) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٢٠٥ . ومختصر منهاج القاصدين ١٨٥ . ←

٩ — الخوف من فوات مقاصده : وذلك مخصوص بأُناس تزاحموا على شأن واحد ، وأمثال ذلك كثير كتحاسد تلميذين لأستاذ واحد على نيل المحبة والقبول من قلب الأستاذ ، وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل الى الوجاهة أو غير ذلك[١٨٠] .

١٠ — دناءة الطبع وسوء الأدب وعدم القناعة ، إذ انَّ مَنْ وثق بمولاه وقسمته وقف عند الأدب معه . ومَنْ تجاوز الأدب عدمت قناعته بالمقسوم له وأصبح وضيعاً شرهاً دنيء الهمة متردي العزيمة يأخذ به طمعه الى حيث البُعد عن الهداية[١٨١] .

→ والفلسفة العربية والأخلاق ، ص ٣٤ .

(١٨٠) أنظر : المصادر نفسها .

(١٨١) أنظر : نتائج الأفكار القدسية ٣/ ٣٨ .

والمسائل في أعمال القلوب والجوارح ٥٩ .

المطلب الثاني

علاج الحسد

قد تبين في المطلب السابق بواعث الحسد ودواعيه ، وينبغي إن توخينا الدقة في معالجة الحسد أن نعالج بواعثه ودواعيه ، كيما نصل الى الثمرة المنشودة من وراء ذلك ، وقد تقدم علاج بعض من دواعي الحسد ، كالكبر والعجب والغضب وغير ذلك ، وسأبين شيئاً مهماً من علاجه في هذا المطلب ، وما يتعلق بحب الدنيا من الحرص والطمع والبخل ، فسأبينه في الفصل المقبل إن شاء الله تعالى .

وأول ما نقدمه في علاج الحسد ان نعرف على سبيل التحقق ان الحسد لا ضرر فيه على المحسود في الدين ولا في الدنيا قياساً مع ما يكون هو فيه من الضرر ، بل ينتفع به فيهما من حيث انك أسخطت الله تعالى لأنك سخطت بالحسد على قضائه ثم كرهت نعمته التي قسمها بين عباده فاستنكرت ذلك وهذه جناية على صدق التوحيد وقذى في عين الإيمان ، فضلًا عن الإساءة التي جرت منك لمسلم مؤمن موحد قريب لك غير بعيد واتصفت بصفات إبليس والكفار في محبتهم إيذاء المسلمين ، وفارقت فعل الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين في محبتهم الخير لكل الناس خصوصاً لعباد الله المؤمنين[١٨٢] .

ثم ان الحسد على النِعَمِ الدائمة التي لا تزول في الدارين أولى مثل : الإيمان واليقين والأعمال الصالحة ، فما كثرة الطعام والشراب واللباس والقصر المنيف والمركب الفاره إلا آيلة الى زوال ، ولو تعلم ما سيلقى صاحب هذه النِعَم من الحساب وطوله يوم القيامة ، إن لم يكن أطاع الله بها وأدى حقه منها وأطاع أمره وانتهى عما نهاه ، واستعان بها على عبادته وطاعته ، لتمنى انه لم يعط من ذلك ذرة ولا رأى نعيماً قط[١٨٣] .

وكان الأجدر بالحاسد بدل أن ينظر بعين الحسد الى النعمة ، أن ينظر الى

---

(١٨٢) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٢٠٨ .

(١٨٣) أنظر : فتوح الغيب ، ص ٩٤ .

واهبها ومعطيها ، ويعرف كم هو مفتقر اليه فيضطر الى بابه ويستمطر رحمة مولاه ببيان شدة حاجته اليه[184] .

فهذا يأخذ بيده الى سعادة الدارين ، وذلك يأخذ بها الى الشقاء فيهما والخذلان .

ليس هذا فحسب ، بل فاتك ثواب الحب لله تعالى ، فإن الحقد والحسد والضغينة لأخيك لا تجلب لك إلا الشر ، ويفوتك من الحب الخير الكثير والأجر الكبير .

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال أعرابي للنبي ﷺ : يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ، فقال النبي ﷺ : (المرء مع مَنْ أحب)[185] .

وقوله ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[186] .

فانظر كيف جعلك عدو الله إبليس عليه لعنة الله تترك الحب ويبعد عنك أجره بوساوسه اليك ، ثم حبب اليك بغض أخيك فوقعت في إثمه حتى زاد ذلك ان جعلك تحسده على ما آتاه الله تعالى من نعمة ، فناصرت عدو الله إبليس وواليته ، وعاديت أخاك في دين الله تعالى وهو منك أولى بالموالاة له عنك بالمعاداة[187] .

وأما في الدنيا ، فان الحاسد يتألم بحسده في الدنيا ومحسوده يتقلب في النعم ، إذ لا يخلو عدوه من نعمة يسبغها الله تعالى عليه أيام حياته أو نقمة يدفعها الله تعالى عنه فيبقى مغموماً محزوناً مشتت الفكر ضيق الصدر ، فانظر لحالك كيف نزل بك ما تشتهيه لعدوك ، بل ما يشتهيه أعداؤك لك ، وتكون بذلك قد تعرضت لسخط الله تعالى من أجل فعل لا ينالك منه إلا الهم والغم وضيق الصدر وشماتة عدوك فيك ! فهل رأيت أحداً أشد حماقة ممن يفعل هذا[188] .

ولا زالت الخيرات منك الى المحسود تترى ، فانك بالحسد ستخرج الى الغيبة

---

(١٨٤) أنظر : المسائل في أعمال القلوب والجوارح ٥٩ .

(١٨٥) صحيح البخاري : كتاب الأدب ـ باب حب الله عز وجل ٨/٤٩ (المرء مع منْ أحب) .
وصحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب ١٧ من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ... الخ ١/٦٧ ، رقم الحديث [٧١ (٤٥)] .

(١٨٦) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ـ باب المرء مع منْ أحب ٤/٢٠٣٤ . رقم الحديث [١٦٥ (٢٦٤٠)] .

(١٨٧) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٢١٠ .

(١٨٨) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٢٠٩ .

وذكر مساوئه وكشف ستره والقدح فيه ، وكل ذلك تهدي به أفضل أعمالك من الحسنات اليه يوم القيامة ، وبذلك تكون قد زدته نعمة الى نعمة بحسدك ، وتزداد به شقاوة الى شقاوتك[189] .

فانظر بعقلك الى قبح ما يكون من الحسد ، واستنكف من مساوئه ، وتوق من عواقبه وأضراره ليطيب عيشك وتصفو أيامك وتهنأ بالراحة ، وخالط الناس وآخيهم وتودد اليهم ، وتآلف معهم ، وانزل عند رغباتهم ، واترك معارضتهم ، ولا تخالفهم فيما تقع فيه العداوة ، ولا تتبعهم فيما تقع فيه الملامة[190] .

وإذا أردت بسبب الحسد قدح امرىء فتكلف بلسانك مدحه أو دعاك ذلك الحسد الى ان تتكبر على أحد الزم نفسك التواضع ، وإن بعثك الحسد على كف الأنعام عمن كنت تحسن اليه فزد في إنعامك واحسانك اليه ، فان ذلك يبعث على الموافقة مع مَنْ تعاشر وقلة المخالفة وذلك قطع لمادة الحسد[191] .

ثم ينبغي القناعة فيما قسم الله تعالى لك ، وإن دعت النفس الى التطلع الى علو أو مَنْ هو أعلى في المنزلة والجاه والمال ، فخذ بها والزمها النظر لمَنْ هو دونك في ذلك ليكون في ذلك العبرة والعظة ، فقد قال رسول الله ﷺ : (إذا نظر أحدكم الى مَنْ فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى مَنْ هو أسفل منه ممن فضل عليه)[192][193] .

---

(189) أنظر : المصدر نفسه .

(190) أنظر : أدب الدنيا والدين ٢٦٣ - ٢٦٥ .

(191) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٢١١ .

(192) صحيح مسلم : كتاب الزهد ٤/٢٢٧٥ . رقم الحديث [٨ (٢٩٦٣)] .

(193) أنظر : روح الدين الإسلامي ٢٣٢ .

المبحث الخامس

الـــــريـــــاء

الرياء في اللغة ياتي من باب المفاعلة تقول : رأيته مراءآة ورئاء : وهو بمعنى أريته خلاف ما أنا عليه[١٩٤] .

وهو في الاصطلاح : [ترك الاخلاص في العمل بملاحظة غير الله فيه][١٩٥] .

وقد نم القرآن الكريم أهله كما في قوله تعالى : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون ﴾[١٩٦] .

ووصف المنافقين به في قوله تعالى : ﴿ وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا ﴾[١٩٧] .

ووصف الرياء بانه محبط للعمل بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذينَ آمَنوا لا تبطلوا صَدقاتكم بالمَنِ والأذى كالذي يُنفقُ مَالهُ رئاءَ الناسِ ﴾[١٩٨] .

وأما في السنة النبوية الشريفة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء فقد قيل : ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلَّمت العلم وعلَّمته وقرأت فيك القرآن ، قال :

---

(١٩٤) أنظر : القاموس المحيط ٤/٣٣٣ ، مادة : (ر أ ي) .

(١٩٥) التعريفات ٧٧ .

(١٩٦) سورة الماعون : الآيات (٤ - ٧) .

(١٩٧) سورة النساء : الآية (١٤٢) .

(١٩٨) سورة البقرة : من الآية (٢٦٤) .

كذبت ، ولكنك تعلّمت العلم ليقال هو قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتي به فعرفه نعمة فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، وكذلك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ، ثم ألقي في النار)[١٩٩] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ سمّع سمّع الله به ، ومَنْ راءى راءى الله به)[٢٠٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، مَنْ عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[٢٠١] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قيل لرسول الله ﷺ : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ؟ قال : (تلك عاجل بشرى المؤمن)[٢٠٢] .

قال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله : [لا يبلغ العبد حقيقة من هذا الأمر حتى تسقط نفسه او يسقط الخلق من عينه فلا يبالي بأي حال ، فلذلك ينتفى عنه كل شيء من ذلك ، وإلا دخل الرياء عليه من حيث لا ينظر الخلق اليه باستشرافه لعلم الخلق بخصوصيته][٢٠٣] .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : [ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك ، والاخلاص ان يعافيك الله منهما][٢٠٤] .

وكان أبو بكر الشبلي رحمه الله إذا رأى مَنْ يدعي التصوف يقول : [ويلكم

---

(١٩٩) صحيح مسلم : كتاب الامارة ـ باب مَنْ قاتل للرياء والسمعة واستحق النار ٣/١٥١٣ ـ ١٥١٤ ، رقم الحديث (١٩٠٥) .

(٢٠٠) صحيح مسلم : كتاب الزهد ـ باب مَنْ أشرك بعمله غير الله ٤/٢٢٨٩ ، رقم الحديث (٢٩٨٦) .

(٢٠١) صحيح مسلم : كتاب الزهد ـ باب مَنْ أشرك بعمله غير الله ٤/٢٢٨٩ ، رقم الحديث (٢٩٨٥) .

(٢٠٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ـ باب إذا أثنى على الصالح فهي بشرى ٤/٢٠٣٤ ، رقم الحديث (٢٦٤٢) .

(٢٠٣) قواعد التصوف ، ص ٦٢ .

(٢٠٤) الكبائر للذهبي ١٥٦ .

لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب مَنْ افترى][205] .

وقال ثابت البناني : دخلت على داود الطائي ، فقال لي : [ما حاجتك ؟ قلت : زيارتك ، قال : ومَنْ أنا حتى أُزار؟ لست من العبّاد أنا لا والله ، ولا من الزهّاد لا والله ، ثم ضرب بيده على لحيته وأقبل على نفسه يوبخها ، وقال : كنت في زمن الشباب فاسقاً ثم تبت فصرت مرائياً ، والله ان المرائي لشر من الفاسق][206] .

وقال الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله : [مَنْ أراد الظهور فهو عبد الظهور ، ومَنْ أراد الخفاء فهو عبد الخفاء ، وعبدالله سواء عليه أظهره أو أخفاه][207] .

---

(٢٠٥) غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة : الشيخ أبو اسحق برهان الدين ابراهيم بن يحيى بن علي الكتبي المعروف بالوطواط ، ص ٢٨ ، ط المطبعة الأدبية المصرية ، مصر ، ١٣٨١هـ .

(٢٠٦) المصدر نفسه .

(٢٠٧) قواعد التصوف ٦٢ .

المطلب الأول

أســــبــــاب الـــريـــــاء

هناك عوامل تدفع بالنفس الى مراءاة الناس تكمن في سريرة الإنسان ومبناها على ثلاثة عقود :

١ ـ حب المحمدة ...

وينشأ من معرفة النفس بلذة ما ينالها من الحمد ، وما يدخل عليها من ضرر الذم وغمه ، وكلما توسع في معرفة ذلك إزداد رياؤه إن لم يحركه وازع الاخلاص على خلاف ذلك ، فيبتدئه الناس بالسلام ، والبشر ، والإعظام ، والهيبة ، والتوسعة له في المجلس ، وتكريمه ، وتشريفه ، وقبول قوله ، وتصديقه ، ووجاهته في الوساطة ، وحسن الظن به ، بل وإنفاق المال عليه ، وإهداء الهدايا اليه ، وغير ذلك .

٢ ـ خوف المذمة والضعة في الدنيا ...

وينشأ ذلك من معرفة الإنسان بأن مذمة الناس لعبد تدعو الى تكذيب حديثه وإساءة الظن به في الخير ، فما بالك بالشر؟ وتجنب صحبته ويترك مجلسه ، ويعرض عنه ولا تقضى له حاجة ، ويستحيا من معاشرته .

٣ ـ الطمـــع ...

وأصل ذلك حب الدنيا وهو يبعث على الرياء من حيث معرفة الإنسان ان رؤية الناس له بلباس طاعة الله عز وجل والقرب من الله تعالى يجعل الناس تتمنى القرب منه والوصل به ، فيسارعون في خدمته وقضاء حوائجه ويصلونه بالأموال والهدايا وكل ذلك يدعو الى مراءاة الناس[٢٠٨] .

---

(٢٠٨) أنظر : الرعاية لحقوق الله ١٦٧ ـ ١٧٣ . وأستاذ السائرين ١٦٣ .

المطلب الثاني

مظـــاهـــر الـــريـــاء

حقيقة الرياء ودوافعه قلبية ، تكمن في سريرة الإنسان ، ولكنها قد تظهر بادية للعين في صور شتى ، أبين شيئاً منها ما يأتي :

١ — في البدن : فمن الناس مَنْ يظهر النحول ليدل على صيامه وقيامه واجتهاده في العبادة واطلاق اللحية وقص الشارب ، ليدل على التزامه بالشرع ، ورياء أهل الدنيا بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن .

٢ — الزي : كتشمير الثياب الى نصف الساق ، للدلالة على انه متبع السُنّة أو لبس الخشن من الثياب وترقيقها إظهاراً للزهد ولتنصرف الأعين اليه لتميزه أو ليدل على استغراق الهم بالدين وعدم تفرغه للخياطة والغسل أو على التواضع وكسر النفس والزهد ، ولو كلفوه لبس ثوب وسط نظيف لكان عنده أمر عسير لا يطيقه خوفاً من قول الناس انه رغب في الدنيا ورجع عن الزهد ، ومنهم مَنْ يريد القبول عند أهل الدنيا من الملوك والأغنياء وعند أهل الصلاح ، ومثل هؤلاء إذا لبس الثياب الخلقة الوسخة إزدراه أهل الدنيا ، ولو لبس الفاخرة إزدراه أهل الدين ، ولا يبين زهده وصلاحه فيطلبون الأصواف الرقيقة مما قيمتها قيمة ثياب الأغنياء وهيأتها هيأة ثياب الصلحاء ، فيلتمسون القبول عند الفريقين ، ثم لو كُلفوا لبس الخشن والوسخ ، لكان ذلك ثقيلًا عليهم ولا يطيقونه خوفاً من السقوط من أعين أهل الدنيا أصحاب المناصب والأغنياء ، ولو كُلفوا لبس ما يلبسه الأغنياء لعظم عليهم خوفاً من أن يقال : رغبوا في الدنيا فلا يعلم انه من أهل الدين والصلاح والزهد ، ولو سلم كل ذلك من رؤية الناس فيه لم يكن رياءاً ، ورياء أهل الدنيا بالثياب النفيسة والمراكب الحديثة والمساكن الواسعة .

٣ — القول : كالوعظ والكلام بالأخبار والآثار إظهاراً لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف ، وكتحريك الشفتين بالذكر والأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر أمام أعين الناس وإظهار الغضب على المنكرات وإظهار الأسف على مقارفة الناس المعاصي وترقيق الصوت بقراءة القرآن ، ليدل ذلك على الخشوع والحزن والخوف وإدعاء حفظ القرآن والحديث وصحبة المشايخ ، وذكر ما يفعله من الطاعات ، والرد على مَنْ يروي الحديث ببيان خلل في نقله والمجادلة على قصد إفحام الخصم ونحو ذلك ، ورياء أهل الدنيا بالأشعار والأمثال والبلاغة والفصاحة .

٤ ـــ العمل : كتطويل صلاته بالقيام والركوع والسجود وتعديل الأركان وإطراق الرأس وترك الالتفات وإظهار الهدوء والسكون وتسوية أقدامه وبدنه في محضر الناس دون الخلوة ، وعلى ذلك قس سائر العبادات ، ورياء أهل الدنيا بالتبختر والاختيال وغير ذلك .

٥ ـــ كثرة الأصحاب والزوار ، والفرح بذلك ، ومشيهم خلفه ويباهي بهم ليقال انه مرشد كامل كثير الأتباع ، ورياء أهل الدنيا ليقال انه ذو قوة وقدرة وثروة وخدم وحشم وأنصار وغير ذلك[٢٠٩] .

---

(٢٠٩) أنظر : الرعاية لحقوق الله ١٧٩ ـ ١٨٢ . وإحياء علوم الدين ٣١٤ ـ ٣١٦ . والطريقة المحمدية ٤٩/٥٠ . وسراج الطالبين ١/٥٩ .

المطلب الثالث

مقاصـــد الريـــاء وأغراضـــه

قد يقدم المرء على فعله لكنه غير مخلص النية فيه ، من حيث صدقه فيما يتوخاه من ذلك العمل فيجعل للنية أطرافاً أخرى تشوب اخلاصه ، بل وتحبط عمله ، وهي كما يأتي :

١ — إظهارالتقوى وإرادة المعصية : كمَنْ يظهر التقوى والورع عن أكل الشبهات وكثرة ادائه للنوافل ، حتى إذا ما عرف بالأمانة فيسلمه الناس الزكاة لإيصالها الى الفقراء والأيتام ، فإذا ما صارت بين يديه استأثر بها وبانَ انه ما كان يفعل الصالحات إلا لأجل الحصول على أموال الناس بالباطل ، وهذا عظيم الإثم ، حيث أظهر الصلاح والطاعة والعبادة والتقوى لأجل فعل معصية يندى لها الجبين ، فأي دناءة تنزل عن ذلك ؟!

٢ — إظهار العلم والصلاح لنيل مباح من حظوظ الدنيا : كالذي يظهر الخشوع والبكاء ويشتغل بالوعظ وغير ذلك ، لتبذل له الأموال ويرغب في نكاحه النساء أو امرأة بعينها أو التزوج من بنت عالِم ، فيظهر طلب العلم وحسن العبادة ، هذا وإن كان يطلب مباحا إلا ان فعله حرام ؛ حيث طلب بطاعة الله تعالى حظاً من حظوظ الدنيا .

٣ — أن لا يطلب بفعله شيئاً ولكن يعمل الصالحات كي لا يُنظر اليه بعين النقص أو لا ينتقص من شأنه بين الناس ، ولو خلا مع نفسه ما فعل شيئا من ذلك أبدا[٢١٠] .

---

(٢١٠) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٣٢١ .

المطلب الرابع

درجـــــات الـــريـــــاء

تتفاوت مهاوي الرياء من هوة الى أسحق منها ، وأجمل ذلك في التقسيم الآتي :

١ - رياء محض :

هو ان يريد بعمل الآخرة نفع الدنيا ، من حيث لا نية له في طلب ثواب الآخرة[٢١١] .

وهذا الرياء قليله شرك ، فمن الناس مَنْ يظهر انه يعبد اللّه تعالى ، وهو في ذاته لا يرغب في ثواب اللّه ولا يخاف عقابه ، ويسر في نفسه العبادة لغير اللّه[٢١٢] .

ولو خلا لا يفعل تلك الطاعة أبداً ، وهذا هو الممقوت عند اللّه تعالى بسوء ما أضمر في نفسه ويتدرج هذا الرياء في دركين :

أ — الرياء بأصل الإيمان ... وهو ان يظهر إيماناً وإسلاماً ، ويبطن كفراً وتكذيباً لدين المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وهذا هو النفاق الذي ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول اللّه واللّه يعلم إنك لرسوله واللّه يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾[٢١٣] .
وقوله تعالى : ﴿ ومن الناس مَنْ يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد اللّه على ما في قلبه وهو ألد الخصام ﴾[٢١٤] .
وقوله تعالى : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾[٢١٥] .

---

(٢١١) أنظر : سراج القلوب في علاج الذنوب : أبو علي زين الدين المعبري ١٦٩/١ . مطبوع بهامش قوت القلوب . ط الميمنية . مصر . ١٣٠٦هـ .

(٢١٢) أنظر : المسائل في أعمال القلوب والجوارح ٦٤ .

(٢١٣) سورة المنافقون : من الآية (١) .

(٢١٤) سورة البقرة : الآية (٢٠٤) .

(٢١٥) سورة النساء : من الآية (٤٥) .

ب — الرياء بأصل العبادة مع صدق العقيدة ... وهذا عظيم الإثم وإن كان أخف ضرراً من الذي قبله ، كوضع الرجل ماله عند وكيل له فيأمره باخراج الزكاة لذلك المال خشية ذم الناس له ، ولو كان المال في يده لما أخرجها ، أو يكون في جمع من الناس فيقوم معهم لصلاة الجماعة ، ولو كان وحده ما صلاها أصلًا ، وقس على ذلك سائر العبادة[٢١٦] .

٢ ـ رياء تخليط :

وهو ان يريد بعمل الآخرة نفع الدنيا والآخرة[٢١٧] .

وهذا الرياء جاء من حاجة الناس بعضهم لبعض ، فأهل الدنيا بالدنيا يراؤون ، وأهل اللهو باللهو يراؤون ، وأهل الدين بالدين يراؤون ، ويتضح هذا الرياء فيمَنْ يظهر الخير لا لرغبة في ثواب الآخرة غير انهم رغبوا فيما في أيدي غيرهم ونظروا الى الناس يعظم بعضهم بعضاً ويثيبون على التقوى فأظهروا ما يرجون عليه من الناس والثواب[٢١٨] .

وفي هذا الرياء يظهر التفاوت واضحاً فيما يأتي :

آ — أن يكون للمرء قصد في الثواب ، ولكنه ضعيف جداً بحيث لو خلا مع نفسه لا يفعل تلك الطاعة ، ومع ذلك فان هذا القصد لضعفه لا يدفع عنه المقت والإثم .

ب — أن يكون له قصد في ثواب الآخرة وقصد يساويه في ثواب الدنيا رياءاً ، بحيث لو كان كل واحد خالياً عن الآخر لم يبعثه على العمل ، أو كان كل واحد منهما لو انفرد لكان باعثاً له على العمل ، فهذا أفسد مثلما أصلح ، فعسى أن يسلم رأساً برأس لا له ولا عليه .

ج — أن يكون له قصد في الرياء لكنه إذا خلا فعل الطاعة ولكن اطلاع الناس منشط له على عبادته ، فهذا ينقص من أجر فعله مقدار ما شاب ذلك العمل من قصد اطلاع الناس عليه ، ويثاب على مقدار ما قصد من ثواب الله تعالى ، وغالب هذا الرياء يكون في النوافل والسنن بين الناس فترى أحدهم حريصاً على فعلها حيث يكون الناس مطلعين عليه ، ولو كان في خلوته فهو

---

(٢١٦) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٣١٩ ـ ٣٢٠ .

(٢١٧) أنظر : سراج القلوب في علاج الذنوب ١/١٦٩ .

(٢١٨) أنظر : المسائل في أعمال القلوب والجوارح ٦٤ .

فاتر الهمة ويؤثر الكسل عليه كحضور الجماعة وغسل الميت واتباع الجنازة وصيام الأيام الفاضلة وإطالة الصلاة وإظهار الخشوع وغير ذلك[٢١٩].

(٢١٩) أنظر: إحياءعلوم الدين ٢١٨/٣ - ٢٢١ .

المطلب الخامس

عـــــلاج الـــــريـــــاء

إن مَنْ أراد قطع شأفة الرياء وإزالة أصله يحتاج الى طبيب حاذق بأمراض القلوب ، فان أصل الرياء متأصل في الذات الإنسانية ترضعه مع اللبن في صغرها وينشأ معها صباً وشباباً وكهولة .

فالصبي في أول خلقه ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم ، فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ، ويرسخ في نفسه ، وقلع ذلك من النفس شاق ، ولا بد في إزالته أولًا من إستشعار خطورته والحذر من هلكته ثم يتكلف إزالته بتجرع علاجه[220] .

ورغبة الإنسان في شيء من الأشياء لا بد ان تكون لمنفعته ولذته العاجلة أو الآجلة ، فإن بانَ له ان ذلك الشيءعاجله لذيذ وآجله سقم وعذاب أعرض عنه كمَنْ رأى عسلًا فأراد أكله ولما علم انه مسموم تركه . وذلك حال الرياء فيعمل على إخفاء العبادات واغلاق الأبواب دونها حتى يقنع القلب بعلم الله واطلاعه على عبادته ، ولا تنازعه نفسه الى طلب اطلاع غير الله عليه[221] .

ومن ثم أوصانا رسول الله ﷺ بقوله : (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم فإن الله جاعل منها في بيوتكم بركة ولا تتخذوها قبوراً)[222] .

والرياء يقع بالترك كما يقع بالفعل ، فاشتقاق الرياء من الرؤية ، أي رؤية المرائي الخلق لا رؤيتهم له ، وإلا لما صح أن يقال : فلان في قلبه رؤية الخلق حتى في خلوته[223] .

ومَنْ قطع من نفسه الرياء بالقناعة واستسلمت نفسه فاستحقرت مدح المادحين وقدح القادحينَ عارضه الشيطان بثلاثة خواطر ، ربما تخطر دفعة واحدة ،

---

(٢٢٠) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

(٢٢١) أنظر : إحياء علوم الدين ٣٢٩ .

(٢٢٢) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين ـ باب استحباب صلاة النافلة في بيته ١/٥٣٨ ، رقم الحديث (٧٧٧) .

(٢٢٣) أنظر : قواعد التصوف ، ص ٦٢ .

كالخاطر الواحد ، وقد تترادف تدريجاً ، فأول خاطر يذكره بعلم الخلق به واطلاعهم على حاله ورجاء مدحهم له على فعله أو ثواب ذلك الفعل عند علمهم من نيل المنزلة عندهم وما شابه ذلك ، ثم يتلوه هيجان رغبة النفس في حمدهم وطلب المنزلة عندهم والحذر من ذمهم ، ثم يتلوه قبول النفس دعوة الرغبة في حمدهم والخشية من مذمتهم والركون اليه وعقد الضمير بالعزم على تحقيقه ، وتنطوي هذه الخواطر الثلاث في ثلاث كلمات معرفة وشهوة وعزم[٢٢٤] .

وأسلم شيء في علاج ذلك دفع الخاطر الأول ، فيقول : مالك وللخلق علموا أو لم يعلموا والله أعلم بحالك فأي فائدة ترجو من علم غير الله ؟![٢٢٥] .

ثم ينظر فيما يرجوه من مدح الخلق وما يخشاه من مذمتهم مع عاقبة ذلك عند الله تعالى وجسامة خطر ذلك من عذاب الأبد وإحباط العمل وخيبة الأمل ومقت الله له وفوات أعماله في وقت هو فيه أحوج ما يكون الى ما ينفعه عند الله ، أضف الى ذلك ما يدخل في قلب العبد من الظلمة وخبث النفس وسوء الطبع وغش السريرة وتشتت الهموم فإن إرضاء الناس غاية لا تُدرك لتفرق أذواقهم واختلاف طباعهم ، فقد يسر أحدهم ما يسخط الآخر في حال كونهم غير قادرين على اصابته بالخير إلا بما كتب الله له ، وليس لهم دفع المحن عنه إلا بما قدره الله له[٢٢٦] .

فهذه المعرفة تقابل تلك الشهوة وكما تدعوه الشهوة الى القبول تدعوه هذه المعرفة الى كراهة ذلك والإباء عنه والنفس لا محالة تطيع الأقوى منهما والأغلب[٢٢٧] .

ومَنْ امتنع عن الرياء وصرف نفسه عنه عظم ذلك العمل في عينه فأثار في نفسه آفة أخرى تفسد العمل وتتلفه وهي العجب ، وقد تقدم علاج ذلك وأنفع العلاج فيه ذكر منّة الله تعالى عليه ، وبالاخلاص يزول الرياء[٢٢٨] .

وقد أفردت للاخلاص فصلًا في الباب المقبل لاتساع موضوعه ورفعة شأنه وفضيلته .

ومَنْ امتلأ قلبه من شهوة حمد الناس وخوف مذمتهم ، غاب عن فكره خطر الرياء

---

(٢٢٤) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/ ٣٢٠ ، والرعاية لحقوق الله ١٨٤ .

(٢٢٥) أنظر : إحياء علوم الدين ٣٢٠ .

(٢٢٦) أنظر : الرعاية لحقوق الله ١٧٣ - ١٨٧ ، وأستاذ السائرين ١٣٧ - ١٣٨ .

(٢٢٧) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/ ٣٢٠ .

(٢٢٨) أنظر : سراج الطالبين ١/ ٥٩ .

وكراهته ، فلا يأبى الخاطر الذي يدعوه الى حمد الناس بل يقبله ويسير على مقتضاه لغلبة شهوته في ذلك ، فتكون الحجة عليه أوكد ، حيث قبل داعي الرياء مع علمه انه مذموم عند الله ، فان معرفة كوارث خطر الرياء إن لم تبعث على كراهته لا تجدي نفعاً ، بل ربما تكون له كراهة إلا انها ضعيفة لا تقوى على مقاومة شهوته ، فيقبل الرياء ولا خير في هذه الكراهة إن لم تصرفه عن فعل ما يكره(٢٢٩) .

ومَنْ شمر عن ساق الجد وعالج ذلك كان واحداً من أربعة تدافعوا وساوس الشيطان في الترغيب بخواطر السوء في حمد الناس وخشية مذمتهم :

الأول : يرد الخاطر على الشيطان ويكذبه ويشتغل بمجادلته فيشغله عن مناجاة ربه .

الثاني : يقتصر على تكذيب الشيطان ودفعه وعدم الاشتغال بمجادلته .

الثالث : لا يشتغل بالتكذيب بل يستمر على ما كان عليه مستصحباً لكراهة الرياء غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة .

الرابع : يعزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالطاعة واخفاء الصدقة والعبادة غيظاً للشيطان ، وذلك هو الذي يغيظه ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع(٢٣٠) .

والعلاج الأجدى والدواء الأشفى لنزغات الشيطان هو الرابع ، قال سفيان الثوري : إذا جاء الشيطان في الصلاة فقال : انك مراء فزده طولًا ويقال : الشيطان كالكلب إذا اشتغلت بمقاومته مزق الاهاب وقطع الثياب ، وإن رجعت الى ربه صرفه عنك برفق(٢٣١) .

والذي أوردته من القسمة فيمَنْ أراد التخلص من نزغ الشيطان لا يخص الرياء فقط ، بل يعم الرياء وغيره مما يدعوه اليه الشيطان من الشهوات والضلالات والأهواء والبدع ، بل انه في بعض الأحيان ينفث سمه عله يرجع بالعابد من الأفضل الى الفاضل ، ومن الأحسن الى الحسن ، فنزغاته لا تقف عند حد ولا ينجو الإنسان منها إلا بخروج روحه من جسده .

---

(٢٢٩) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/ ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٢٣٠) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/ ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٢٣١) قواعد التصوف ، ص ٦٢ .

الفصل الثالث

حب الـــدنيـــا

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول : الحرص والطمع والبخل ، وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : الحرص

المطلب الثاني : الطمع

المطلب الثالث : علاج الحرص والطمع

المطلب الرابع : فضيلة القناعة

المطلب الخامس : البخل

المطلب السادس : علاج البخل

المطلب السابع : السخاء

المطلب الثامن : الإيثار

المبحث الثاني : حب الجاه والشهرة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حب الجاه

المطلب الثاني : الشهرة

المبحث الثالث : حب الهوى والشهوات



تمهيد

بعد ان تكلمت في أمراض القلب ، بقيَ من ذلك الكلام في أمراض القلب ما له تعلق بالدنيا وينطوي تحت هذا العنوان أمراض أخرى ، لذلك إرتأيت ان أفرد له فصلا مستقلًا لسعته ، ويتبيَّن في النصوص التالية خطورة هذه الأمراض على عمومها .

قال تعالى : ﴿ إنما مثل هذه الحياة كماء أنزلناه من السماء فآختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلًا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكرون ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فآختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا * المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملًا ﴾[2] .

قال تعالى : ﴿ اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾[3] .

والآيات في القرآن الكريم كثيرة فيما يخص حب الدنيا وما يتعلق بذلك ، وسيأتي منها في المباحث الآتية كل فيما جاءت الدلالة عليه .

وفي السُنَّة النبوية الشريفة وردت أحاديث كثيرة جدا اخترت منها ما يأتي :

---

(١) سورة يونس : الآية (٢٤) .

(٢) سورة الكهف : الآيتان (٤٥ ، ٤٦) .

(٣) سورة الحديد : الآية (٢٠) .

قدم أبو عبيدة رضي الله عنه من البحرين بمال الجزية ، فسمعت الأنصار بقدومه ، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ ، فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال : (أظنكم سمعتم ان أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين ؟ فقالوا : أجل يا رسول الله ، فقال : أبشروا ، وأمّلوا ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على مَنْ كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم)[4] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جلس رسول الله ﷺ على المنبر ، وجلسنا حوله ، فقال : (إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها)[5] .

وعنه رضي الله ، أن رسول الله ﷺ قال : (ان الدنيا حلوة خضرة ، وان الله تعالى مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)[6] .

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (يتبع الميت ثلاثة ، أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله)[7] .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ[8] في النار صبغة ، ثم يقال : يا ابن آدم ، هل رأيت خيراً قط ؟ هل مرّ بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ويؤتى بأشد الناس بؤساً[9] في الدنيا من أهل الجنة ، فيصبغ صبغة في الجنة ، فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مرّ بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ما مرّ بي بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط)[10] .

---

(٤) صحيح البخاري : كتاب الدعوات ـ باب ما جاء في الرقاق وما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ٨/١١٢ .

وصحيح مسلم : كتاب الزهد والرقاق ٤/٢٢٧٤ ، برقم [٦-(٢٩٦١)] .

(٥) صحيح البخاري : كتاب الدعوات ـ باب ما يحذر من زهرة الدنيا ٨/١١٣ .

(٦) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء ـ باب الرقاق ٤/٢٠٩٨ ، برقم (٢٧٤٢) .

(٧) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقاق ٤/٢٢٧٣ ، برقم (٢٩٦٠) .

(٨) يصبغ في النار : أي يغمس غمسة .

(٩) بأساً : هو الشدة .

(١٠) صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ـ باب صبغ أنعم أهل الدنيا ٤/٢١٦٢ ، برقم (٢٨٠٧) .

وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ؟!)[11] .

وعن جابر رضي الله عنه : ان رسول الله ﷺ مرَّ بالسوق داخلا مع بعض العالية والناس كنفته[12] ، فمرَّ بجدي أسك ميت[13] ، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال : (أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟) ، فقالوا : ما نحب انه لنا بشيء ، وما نصنع به ؟! قال : (أتحبون أنه لكم ؟) ، قالوا : والله لو كان حياً كان عيباً لأنه أسك ، فكيف وهو ميت ؟! فقال : (فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم)[14] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)[15] .

وعنه رضي الله عنه ، قال : النبي ﷺ قال : (تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعطَ لم يرضَ)[16] .

وعنه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (لوكان لي مثل أحد ذهباً لسرني أن لا تمر عليّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين)[17] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول : ألستم في طعام وشراب ما شئتم ؟ لقد رأيت نبيكم وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه[18] .

وعن سهل بن سعد الساعدي ، قال : قال رسول الله ﷺ : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)[19] .

---

(١١) صحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة أهلها ـ باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٤/٢١٩٣ ، برقم (٢٨٥٨) .

(١٢) كنفته : جانبه .

(١٣) أسك : أي صغير الأذنين .

(١٤) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقاق ٤/٢٢٧٢ ، برقم [٢ـ(٢٩٥٧)] .

(١٥) صحيح مسلم : كتاب الزهد ٤/٢٢٧٢ ، برقم [١ـ(٦٩٥٦)] .

(١٦) صحيح البخاري : كتاب الرقاق ـ باب ما يتقى من فتنة الدجال ٨/١١٥ .

(١٧) صحيح البخاري : كتاب الرقاق ـ باب ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً ٨/١١٧ .

(١٨) تحفة الأحوذي : للإمام الحافظ أبي يعلى محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم الماركفوري ، ٧/٤٠ ، برقم (٢٤٧٧) ، ط مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ ـ (حديث حسن صحيح) .

(١٩) سنن ابن ماجة ٤١١٠ .

وعن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه انه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ : ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ ، قال : (يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت)[٢٠] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : (ما شبع رسول الله ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض)[٢١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (ما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثاً تباعاً من خبز البُر حتى فارق الدنيا)[٢٢] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : توفي رسول الله ﷺ وما ترك ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ، ولا أوصى بشيء)[٢٣] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي طاوياً وأهله لا يجدون عشاء . وكان أكثر خبزهم خبز الشعير)[٢٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ألا ان الدنيا ملعونة ، وملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلماً)[٢٥] .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : نام رسول الله ﷺ على حصير ، فقام وقد أثر في جنبه ، قلنا : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءاً ، فقال : (ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)[٢٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يدخل الفقراء الجنة

---

(٢٠) تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي ٦/٧ ، برقم (٢٤٤٥) .
وكشف الخفاء للعجلوني ٢/٢٩٣ ، رقم الحديث (٢٢٣١) .

(٢١) تحفة الاحوذي ٢٣/٧ ، رقم الحديث (٢٤٦٢) .

(٢٢) تحفة الاحوذي ٢٢/٧ ، رقم الحديث (٢٤٦٣) . (حسن صحيح) .

(٢٣) سنن النسائي : بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي ٥/ ٢٤٠ ، المطبعة المصرية بالأزهر .

(٢٤) تحفة الاحوذي ٢٥/٧ ، رقم الحديث (٢٤٦٥) . (حديث حسن صحيح) .

(٢٥) سنن الترمذي : كتاب الزهد ـ باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ٤/ ٤٨٦ ، رقم الحديث (٢٣٢٢) . (حديث حسن غريب) .

(٢٦) سنن الترمذي : كتاب الدعوات ـ باب ما جاء في فضل الذكر ٤٢٨/٥ ، رقم الحديث (٢٣٧٧) . قال : حديث مرسل .

قبل الأغنياء بخمسمائة عام)[٢٧] .

وكل ما ورد من النصوص في التحذير من حب الدنيا من المال وغيره فيما لو تعلق القلب بها وشغفه الحب لها ، أما ان صارت في يده يمضي بها في طاعة الله تعالى ومرضاته سبحانه فلا ضير عليه .

---

(٢٧) تحفة الاحوذي : باب ما جاء في فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ٢١/٧ ، رقم الحديث (٢٤٥٨) . (حديث حسن صحيح) .

المبحث الأول

حب المـــــال

وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول

الحـــــــرص

الحرص في اللغة : [الجشع][28] .

وفي الاصلاح : [طلب شيء باجتهاد في اصابته][29] .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومَنْ يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾[30] .

وقال تعالى : ﴿ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾[31] .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يهرم ابن آدم ويشيب منه أثنان : الحرص على المال ، والحرص على العمر)[32] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنين : في حب الدنيا وطول الأمل)[33] .

---

(٢٨) القاموس المحيط ٣٠٩/٢ ، مادة (ح ر ص) .

(٢٩) التعريفات ٥٩ .

(٣٠) سورة المنافقون : (٨) .

(٣١) سورة المؤمنون : الآيتان (٥٤ ، ٥٥) .

(٣٢) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ـ باب كراهة الحرص ٤٦٠/١ ، رقم الحديث [(١١٥ ـ ١٠٤٧)] .

(٣٣) صحيح البخاري ١١١/٨ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (لو كان لابن ادم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على مَنْ تاب)[٣٤] .

وأكثر قوم مَنْ ذم الدنيا عند رابعة فقالت : [مَنْ أحب شيئا أكثر من ذكره][٣٥] .

وقال سفيان الثوري :[مَنْ أحب الدنيا وسرته نزع خوف الآخرة من قلبه][٣٦] .

قال سيدنا الشيخ عبدالقادر الكيلاني : [اجعل آخرتك رأس مالك ، ودنياك ربحه ، واصرف زمانك أولا في تحصيل آخرتك ، ثم ان فضل من زمانك شيء اصرفه في دنياك وطلب معاشك][٣٧] .

قال بهلول رحمه الله تعالى :

دع الحــــرص على الــــــدنيـــــا
وفي العيش فـــــــلا تطمــــــــع
ولا تجمـــــــــع من المـــــــال
فمـــــا تـــــدري لمَنْ تجمــــــعُ
فــــإن الـــــرزق مقســــــوم
وســــــــوء الـــظــن لا يـنـفـع
فقيـــــــر كـــــل ذي حـــــرص
غني كـــــــل مَنْ يقنـــــــــعُ[٣٨]

---

(٣٤) صحيح البخاري ٨/١١٥ .
وصحيح مسلم : كتاب الزكاة ـ باب لو ان لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً ٢/٧٢٥ ، رقم الحديث (١٠٤٨) .

(٣٥) بهجة المجالس وأنس المجالس ٣/٢٨١ .

(٣٦) المصدر نفسه .

(٣٧) فتوح الغيب ٨٧ .

(٣٨) الطبقات الكبرى : لواقح الانوار في طبقات الاخيار : أبو المواهب عبدالوهاب بن أحمد بن علي الانصاري المعروف بالشعراني ١/٦٨ ، ط ١ دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

المطلب الثاني

الطمع

الطمع في اللغة : ضد اليأس ، وطَمِعَ حرص عليه ورجاه[39] .

وفي الاصطلاح : جشع النفس الى التكثر من الدنيا ، مع عدم القناعة .

وقد ذكر القران الكريم ان الله تعالى آتى الوليد بن المغيرة من كل النعم ، فقال : ﴿ ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا ﴾[40] .

و (ثم) أفادت معنى التعجب ، وفيها معنى الاستنكار والاستبعاد لطمعه وحرصه ، إما لأنه لا مزيد على ما أوتيه سعة وكثرة ، لأنه أوتي غاية ما يؤتى مثله عادة ، أو لأن طمعه مناف لما هو عليه من كفران النعمة ، ومعاندة المنعم في قوله تعالى : ﴿ ثم يطمع ان أزيد ﴾[41] . فجاء الزجر والردع بعدها بقوله تعالى : ﴿ كلا ﴾[42] .

وللطمع وافته مقدمات ، فإذا ما تدرج المرء في حبائل الشيطان وقع في هذه الرذيلة ، وهي تؤدي به الى أفضع منها ، وإذا ما انقاد القلب للطمع انقادت له الجوارح ، لأنه ملك عليها ، ومالك لزمامها ، فقد أمر الله أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، فقال : ﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ ، ثم ذكر بديلا عن الخضوع بالقول ، فقال : ﴿ وقلن قولا معروفا ﴾[43] ، من ذكر الله تعالى ، وما تحتجن اليه من الكلام عند الحاجة المأمور بها لا غير[44] .

---

(٣٩) أنظر : لسان العرب ٢/٦١٤ (ط. م. ع.) .

(٤٠) سورة المدثر : الآية (١٤) .

(٤١) سورة المدثر : الآية (١٥) .

(٤٢) أنظر : روح البيان ١٠/٢٢٨ .

(٤٣) سورة الأحزاب : الآية (٣٢) .

(٤٤) أنظر : التفسير الكبير ٢٥/٢٠٨،٢٠٩ .

وفي السنة النبوية المباركة أحاديث تزجر وتحذر من الطمع ، وغوائله ، ورذائله .

عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قال : (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم)[٤٥] .

وعن عياض بن حمار ان رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : (وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له[٤٦] الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلًا ولا مالًا ، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ... وذكر البخل أو الكذب والشنظير[٤٧] الفحاش)[٤٨] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل منه أو ليستكثر)[٤٩] .

ودخل الحسن البصري مكة ، فرأى غلاماً من أولاد سيدنا علي رضي الله عنه قد أسند ظهره الى الكعبة يعظ الناس ، فوثب عليه الحسن وقال له : ما ملاك الدين ؟ فقال الورع ، وقال : فما آفة الدين ؟ قال : الطمع[٥٠] .

وفي حكم ابن عطاء الله السكندري : [ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع] .

والمقصود مَنْ ثبت طمعه طال ذله ، فاستعار البذر للطمع ، لأنه أصل الذل ، والذل غصنه ، لأنه فرعه ، إذ الطمع يقترن به التملق واستشعار الخيبة ، وسلطنة المعطي عند المساعدة وبذل ماء الوجه عند المواجهة[٥١] .

---

(٤٥) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ـ باب كراهة المسألة للناس ٢/ ٧٣٠ ، رقم الحديث (١٠٤٠) .

(٤٦) لا زبر له : لا عقل له يمنعه مما ينبغي . أنظر : تحقيق صحيح مسلم .

(٤٧) الشنظير : السيء الخلق . أنظر : تحقيق صحيح مسلم ٤/١١٩٨ .

(٤٨) صحيح مسلم : كتاب الجنة ـ باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار ٤/٢١٩٧ ـ ٢١٩٨ ، رقم الحديث (٢٨٦٥) .

(٤٩) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ـ باب كراهة المسألة للناس ٢/ ٧٢٠ ، رقم الحديث [١٠٥-(١٠٤١)] .

(٥٠) الرسالة القشيرية ، ص ٩٢ .

(٥١) أنظر : حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق ، تحقيق د. عبدالحليم محمود ود. محمود بن الشريف ، ص ١٦٣ ، ط الشعب ، مصر .

وقال في الحكم أيضاً : [أنت حر مما أنت عنه آيس ، وعبد لما أنت له طامع] .

فالذي أنت طامع له آخذ بقلبك ، فأنت له بكلك ، وما أنت عنه آيس فأنت معرض عنه بقلبك ، فليس له شيء منك ، قال بنان الحمال :

العبـــــد حُـــــر مـــــا قنـــــع
والحُـــــر عبـــــد مـــــا طمـــــع[٥٢]

والطمع رذيلة وخيمة المهالك إن تعلق بالدنيا وما يلحق بها من المال والولد والجاه والشهوات ، وأما الطمع الذي هو بمعنى رجاء ثواب الآخرة أو مغفرة الذنوب فانه فضيلة لا تخفى مزيتها ، وقد قرنها القرآن الكريم في أكثر من موضع بالخوف ليتوازن حال المؤمن فلا يذهب به الخوف الى اليأس ، ولا الطمع والرجاء الى الإساءة ، وفيما امتدح به القرآن الكريم القسيسين والرهبان قولهم : ﴿ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾[٥٣] .

و (نطمع) حال من (لا نؤمن) على انهم أنكروا على أنفسهم انهم لا يوحدون الله ، ويطمعون مع ذلك ان يصبحوا من الصالحين ، ويمكن أن يكون معطوفاً على قوله (لا نؤمن) على معنى : وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين[٥٤] .

وفي قول الخليل عليه السلام : ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾[٥٥] .

فانه طمع كان بمعنى الرجاء ، وانظر الى لفظة (لي) في الآية ، فقد ذكرها الخليل عليه السلام لمولاه ، فان الأب والزوج والأمير يعفو ويلحقه من عفوه شيء يعود له بالفضل ، ولكن الخليل عليه السلام أراد أن الله تعالى إذا غفر كان غفرانه لي ولأجلي ، لا لأجل أمر عائد اليه البتة ، ولاستغراق الخليل في عبوديته طمع ان تكون المغفرة بدون شفاعة شافع[٥٦] .

---

(٥٢) أنظر : المصدر نفسه ، ص ١٦٥ .

(٥٣) سورة المائدة : الآية (٨٤) .

(٥٤) أنظر : التفسير الكبير للرازي ١٢/٦٨ - ٦٩ .

(٥٥) سورة الشعراء : الآية (٨٢) .

(٥٦) أنظر : التفسير الكبير للرازي ٢٤/٦٤ .

المطلب الثالث

عــلاج الحــرص والـطـمــع

ينبغي لمَنْ أراد سبيل معالجة نفسه من آفتي الحرص والطمع ، أن يسير بنفسه مستطيباً ذلك لها فيما سأورده ، وأما مَنْ استلذت نفسه حرصها وطمعها ، فلا ينفع معه علاج إلا أن يُزجر ويُردع بما يفزعه ويرده عن أضرارهما ، فيفيق على حاله ويعود الى صوابه ، ثم يشرع في معالجة نفسه حسب ما يأتي :

١ ــ الاقتصاد في المعيشة والرفق في الإنفاق ، فيرد مصارفه الى ما لا بد منه ، فيقنع بأي طعام وثوب يستره ويوطن نفسه على ذلك ، وإن كان له عيال فيرد كل واحد منهم الى ذلك ، وبذا تتيسر مؤونته بأدنى جهد ويغلق باب الإسراف ، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (إن الله يحب الرفق في الأمر كله)[٥٧] .

وعن أبي عبدالله بن سرجس عن النبي ﷺ قال : (الاقتصاد وحسن السمت والتؤدة جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة)[٥٨] .

٢ ــ إذا تيسر له ما يكفيه في الحال فلا يضطرب لآجل أمره ومستقبله ، لأن المؤمل غيب ويعينه على ذلك قصر الأمل ، والإيمان الكامل بقوله تعالى : ﴿ ما مِن دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾[٥٩] .

والشيطان قد وعده عكس ذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾[٦٠] .

فعليه بتقوى الله بها تحل مغاليق الأمور ، لقوله تعالى : ﴿ ومَنْ يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾[٦١] .

---

(٥٧) صحيح مسلم : كتاب السلام ـ باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليه ١٧٠٦/٤ ، رقم الحديث (٢١٦٥) .

(٥٨) فتح الباري : ابن حجر العسقلاني ٥٠٩/١٠ .

(٥٩) سورة هود : من الآية (٦) .

(٦٠) سورة البقرة : من الآية (٢٦٨) .

(٦١) سورة الطلاق : من الآيتين (٢ ، ٣) .

٣ — أن يعرف ما في القناعة من عز أوجده الاستغناء عن الناس ، ويعرف ما في الحرص والطمع من الذل لكثرة حاجة الحريص الى الناس حتى تلزمه حاجته مداهنتهم ، والحرص لا يخلو من تعب ، والطمع لا يخلو من ذل ، وليس في القناعة إلا ترك فضول الشهوات ، ومَنْ لا يؤثر عز نفسه على شهوة بطنه فهو ضعيف العقل ناقص الإيمان ، قال رسول الله ﷺ : (عز المؤمن استغناؤه عن الناس)[٦٢] .

هذا مع ما ادخره الله تعالى في الآخرة للمؤمنين من قرة العيون فيحتسب صبره عن شهوته لله تعالى .

٤ — أن يحسن التأمل في تنعم عبّاد الأوثان واليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى ومَنْ لا دين لهم ولا عقل ويقارن ذلك مع أحوال الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين والأولياء والصالحين ، ويخير عقله ليختار مَنْ يتشبه به من هذين الطرفين المتناقضين ، ومَنْ منهما أَولى بالتأسي والاقتداء ، فيصبر على الضنك ويرضى باليسير .

٥ — والتأمل في ذات المال وخطره وفتنته وخوف ضياعه وسرقته وذهاب الراحة وطول العناء ، وكلما بعثه باعث التنافس في المال تدبر وصية رسول الله ﷺ فيما يرويه عنه سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا نظر أحدكم الى مَنْ فضل عليه في المال والخلق ، فلينظر الى مَنْ هو أسفل منه ممن فضل عليه)[٦٣] .

وعند ترك المال لورثته ، فإن كانوا عصاة أضاعوه في المعاصي ، أو طائعين أشغلوه في طاعة الله عز وجل ، أما صاحب المال فقد تركه وآل الى حساب الله تعالى ، وما يفضي اليه ذلك الحساب ، فالله تعالى أعلم ؟ حتى يستقر في دار الخلود حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا مَنْ أتى الله بقلب سليم ، فهو إما في نعيم أبدي لا شقاء فيه ، وإما في عذاب أبدي لا راحة فيه[٦٤] .

---

(٦٢) كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ٢/٥٩ ، رقم الحديث (١٧٣١) .

(٦٣) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقاق ٤/٢٢٧٥ ، رقم الحديث (٢٩٦٣) .

(٦٤) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٢٥٥ ـ ٢٥٨ .
ومختصر منهاج القاصدين ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .
والطريقة المحمدية ، ص ٩٩ .

المطلب الرابع

فضيلة القناعة

القناعة في اللغة : [الرضا بالقسم][65] .

وفي الاصطلاح : [السكون عند عدم المألوفات][66] .

قال تعالى : ﴿ مَنْ عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾[67] .

قال مجاهد : [بالقناعة] ، لأن المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً ، أما كونه موسراً فظاهر أو معسراً فإن له ما يطيب به عيشه من القناعة والرضا بقسمة الله تعالى ، والفاجر على خلاف ذلك ، فلا هناء لعيشه موسراً كان أو معسراً ، أما كونه معسراً فظاهر أو موسراً فلأنه يحرص ويطمع ويبخل ويكون من ذلك ما يكدر عيشه ويذهب صفو باله[68] .

وأشار القرآن الكريم الى معنى القناعة في قوله تعالى حكاية عن طالوت : ﴿ إن الله مبتليكم بنهر فمَنْ شرب منه فليس مني ومَنْ لم يطعمه فإنه مني إلا مَنْ اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلًا منهم ﴾[69][70] .

وفي السُنَّة النبوية المطهرة عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (قد أفلح مَنْ أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه)[71] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (ليس الغنى عن كثرة

---

(٦٥) مختار الصحاح ٥٥٣ .

والقاموس المحيط ٨٧/٣ ، مادة : (ق ن ع) .

(٦٦) التعريفات ، ص ١٢٠ .

(٦٧) سورة النحل : من الآية (٩٧) .

(٦٨) أنظر : منهاج اليقين ٣٨٧ .

(٦٩) سورة البقرة : من الآية (٢٤٩) .

(٧٠) أنظر : الذريعة الى مكارم الشريعة ١٢١ .

(٧١) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ـ باب في الكفاف والقناعة ٧٣٠/٢ ، رقم الحديث (١٠٥٤) .

العرض إنما الغنى غنى النفس)[٧٢] .

وأشد الناس قناعة أقلّهم حاجة الى غيره ، والناس كلهم محتاجون ، فمَنْ أراد سد حاجته بما يستهويه من الدنيا فتح على نفسه باب الحرص والطمع وصار كمَنْ يرقع الخرق بالخرق ، ومَنْ سد ذلك بالاستغناء عنها قدر وسعه والاقتصار على ضرورياته فهو المقرب الى الله تعالى[٧٣] . والقناعة المطلوبة من العبد فيما يخص أمور الدنيا ، كيلا يشتغل بتكثيرها عن آخرته لأنه مجبول على الحرص على الدنيا ولا يكاد ينفق ما في يده في أعمال البر إلا مَنْ حباه الله بفضله ، أما القناعة عن الاستزادة من عمل الطاعات والمعارف والعلوم وأعمال الخير فهي مذمومة[٧٤] .

قال تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾[٧٥] .

وقال تعالى : ﴿ وقُل ربي زدني علماً ﴾[٧٦] .

---

(٧٢) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ـ باب ليس الغنى عن كثرة العرض ٢/٧٢٦ ، رقم الحديث [١٢٠ ـ (١٠٥١)] .

(٧٣) أنظر : الذريعة الى أحكام الشريعة ١٢١ .

(٧٤) أنظر : كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان : أبو المواهب عبدالوهاب الشعراني ، ص ١٠٨ ، ط مطبعة حجازي ـ القاهرة ، ١٣٤٧هـ .

(٧٥) سورة المطففين : من الآية (٢٦) .

(٧٦) سورة طه : من الآية (١١٤) .

المطلب الخامس

البخل

البخل في اللغة : [ضد الكرم][77] .

وفي الاصطلاح : [هو المنع من مال نفسه ، والشح : هو بخل الرجل من مال غيره][78] .

قال الرازي : [البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع][79] .

قال تعالى : [ومَنْ يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[80] .

والبخل رذيلة وخيبة بها طاعة النفس والهوى والشيطان ، لأنها مؤدية الى منع الزكاة ، وقطع الأرحام ، والإساءة الى الجيران ، ويدخل فيها الحرص والطمع والأنانية والطغيان ومخالفة لما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ[81] .

قال تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بلْ هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾[82] .

وقال تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾[83] .

وخص هذه الأعضاء بالكي لأن السائل إذا سأل البخيل زوى عنه وجهه فإن ألحَّ عليه ازور عنه بشق جنبه الذي يليه ، فإن ألْحَفَ ولّاه ظهره[84] .

---

(٧٧) القاموس المحيط : مادة (ب خ ل) ٣/٣٤٣ .

(٧٨) التعريفات ، ص ٢٩ .

(٧٩) التفسير الكبير للرازي ٢٩/٢٨٦ .

(٨٠) سورة الحشر : من الآية (٩) .

(٨١) الفتوحات الربانية بالخطب والمواعظ القرآنية : محمد بن سالم اليجاني ، ص ١١٣ ، ط دار الندوة ، بيروت .

(٨٢) سورة آل عمران : من الآية (١٨٠) .

(٨٣) سورة التوبة : الآيتان (٣٤ ، ٣٥) .

(٨٤) أنظر : غرر الخصائص الواضحة ١٧٨ .

وبين ذلك تقطيب الحاجب ، وتصعير الخد ، وتجاهل السائل ، وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك مَنْ كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)[٨٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول : (مثل البخيل والمتصدق مثل رجلين عليهما جنتان من حديد ، إذا هَـمَّ المتصدق بصدقة اتسعت عليه ، حتى تعفى أثره ، وإذا هَـمَّ البخيل بصدقة تقلصت عليه ، وانضمت يداه الى تراقيه ، وانقبضت كل حلقة الى صاحبتها) ، قال : فسمعت رسول الله ﷺ : (فيجتهد ان يوسعها فلا يستطيع)[٨٦] .

ومَنْ التزم هدي كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ لا يطلب أحد منه شيئاً ويمنعه منه إلا لعذر شرعي ، فلا يبخل بما آتاه الله من فضله ، لأن البخل من ثمرة السكون والركون الى محبة المال في القلب[٨٧] .

وكل ممسك فهو لربه متهم وعلى ديناره ودرهمه معتمد ، فان البخيل جبان يأتيه الشيطان فيمدْ أمله ويطيل عمره ، ويقول له : إن أنفقت مالك هلكت وبقيت مثلة بين أقرانك وأصحابك بلا شيء فأمسك عليك واستعد لنوائب الزمان ولا تغتر بهذا الرخاء الذي أنت فيه ، فما تدري ماذا يحدث الله تعالى ، وإن كان وقت عسر وضيق فيوسوس له ويقول : امسك عليك فانك لا تدري متى تنقضي هذه الشدة ولعل هذا الأمر لا يزداد إلا سوءاً ولا أحد ينفعك إذا لم يبق معك شيء ، وتتأخر وتثقل على الخلق ويذهب ماء وجهك ، حتى تذهب ثقته بالله ، في حين يكون وقت الضيق فرصة للمتصدقين ربما لا تسنح لهم بعدها .

قال تعالى : ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾[٨٨][٨٩] .

---

(٨٥) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة ـ باب تحريم الظلم ١٩٩٦/٤ ، رقم الحديث (٢٥٧٨) .

(٨٦) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ـ باب مثل المنفق والبخيل ٧٠٩/٢ ، رقم الحديث [٧٧-(١٠٢١)] .

(٨٧) أنظر : لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بالنعمة على الاطلاق المعروف بالمنن الكبرى : عبدالوهاب الشعراني ، ص ٢١٤ ، ط ٢ ، مكتبة عالم الفكر ، القاهرة .

(٨٨) سورة سبأ : من الآية (٣٩) .

(٨٩) أنظر : كتاب الكنه فيما لا بد للمريد منه : محيي الدين بن عربي ، ص ١٠ ـ ١١ ، ط ١ ، محمد علي صبيح وأولاده ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

ولقد أوعد رب العزة جل جلاله البخيل في كتابه الكريم ووعد المنفق خيراً في قوله تعالى : ﴿ فأما مَنْ أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما مَنْ بخل وكذب بالحسنى فسنيسره وما يغني عنه ماله إذا تردى ﴾[٩٠] .

ومن الناس مَنْ يبخل بجاهه ولو أخرج منه زكاته وحقه من إعانة المظلوم أو شفاعة حسنة لمستحقها أو نحو ذلك لكان أولى به وأحصن لوجاهته[٩١] .

ومن الناس مَنْ يبخل ويشتغل بالعبادة التي ليس فيها إنفاق ، كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن، وفي الحقيقة حاجته الى قمع البخل باخراج المال أشد من حاجته الى تلك العبادات ومثله في هذا كمثل مَنْ دخلت في ثوبه حيَّة وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول عنها بأخذ علاج الصداع أو الإسهال مع ان حاجته الى ذلك متأخرة جداً عن الخطر الذي هو فيه ، قيل لبشر الحافي : ان فلاناً كثير الصوم والصلاة ، فقال : المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره[٩٢] .

ومن الناس مَنْ غلب عليه البخل فلا تسمح نفسه بانفاق شيءمن ماله ، وإذا أراد أن يخرج زكاة ماله تخير الخبيث من ماله والرديء الذي يرغب عنه[٩٣] .

وهو بهذا يرى نفسه قد أدى ما وجب عليه في ماله واكتفى بذلك وصار ماله أعز عليه حتى من آخرته ، ولو أنفق وأخلفه الله في ماله خيراً لحصل بذلك على سعادة الدارين ، وقد تعوذ رسول الله ﷺ في دعائه من البخل ، فكان يقول : (اللَّهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر ...)[٩٤] .

---

(٩٠) سورة الليل : من الآيات (٥ ـ ١١) .

(٩١) أنظر : سوء الخلق مظاهره وأسبابه وعلاجه :محمد بن ابراهيم ، ٣٩ .

(٩٢) أنظر : الكشف والتبيين ٦٣ ـ ٦٤ .

(٩٣) أنظر : المصادر نفسها .

(٩٤) صحيح البخاري : كتاب الدعوات ـ باب التعوذ من البخل ٩٨/٨ .
وصحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب التعوذ من شر ما عمل ٢٠٨٨/٤ ، رقم (٢٧٢٢) .

المطلب السادس

عـــــلاج الــبـخـــــــل

إن الإنسان مدني بطبعه ، لا يمكنه الانفراد عن الجماعة في معيشته ، والناس يفتقر بعضهم الى بعض في مصالح الدين والدنيا ، ولو ترى الى حاجات الناس في أبسط صورها ، كلقمة طعام مثلًا ، لوجدت ان عدداً منهم تظافر عليها من الزراع والطحان والخباز اضافة الى ما استعمل في ذلك من آلات(٩٥) .

فلو ان كل واحد منهم بخل بما عنده لما تم له ما يريد ، ولتنغص عيشه أبداً ، لذا فان هذه الآفة قليلة بالنسبة الى عموم المجتمع في كل عصر ويتشخص أفرادها ، بل غالباً ما يكون فعلهم سخرية لأهل عصرهم ، في حين يذيع صيت السخي بسخائه حتى عوائلهم وأفرادها تنتسب الى بيت الكرم والسخاء ، فيقال : فلان من عائلة كريمة ، ولو لم يكن من مذمة البخل إلا هذا لكفى به واعظاً .

وحقيقة الأمر ان غوائل البخل أفدح من ذلك بكثير ، لأن البخل في حقيقته محبة المال بالقلب وما ذلك إلا لتعلق البخيل بالحياة الدنيا الفانية الزائلة ، ولو تأمل انه لا بد له من مغادرة ما جمع في يوم من الأيام ، فيكون بجمعه هذا قد أفسد آخرته ودنياه ، ذلك لأن البخيل غابت عنه آخرته في كل سعيه فتعلق قلبه بحبال الدنيا ، وأما المنفق والمتصدق والسخي ، فقد جعل آخرته نصب عينيه ، فعمل لآخرته وهو بذلك قد حظي بسعادة الدارين .

فأول ما يعالج به نفسه ذكر الموت(٩٦) ، لأنه ما اتسع أمله إلا ضيقه الموت عليه ، وما ضاق صدره إلا يسر أمره عليه .

وقد تقدم ان البخيل متهم لربه معتمد على ما حوته يداه من حطام الدنيا ، لذا فهو بعيد عن ربه أيّما بُعد ، وبعيد عن المصطفى ﷺ ، فان مما يروى عنه : (انه كان

---

(٩٥) أنظر : الذريعة الى مكارم الشريعة ١٤٧ .

(٩٦) أنظر : الطريقة المحمدية ، ص ٩٩ .

يعطي عطاء مَنْ لا يخشى الفاقة)[٩٧] .

وبعيد عن حال أبي بكر رضي الله عنه ، حيث يقول سيدنا عمر رضي الله عنه : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك مالاً عندي ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً ، قال : فجئت بنصف مالي ، قال : فقال لي رسول الله ﷺ : (ما أبقيت لأهلك ؟) ، قال : فقلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول الله ﷺ : (ما أبقيت لأهلك ؟) ، قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسابقك الى شيء أبداً ، وفي رواية ، فقال ﷺ : (يا عمر وترت قوسك بغير وتر ، ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما)[٩٨] .

وهو بعيد عن أحوال السلف وعن سيرة الأولياء والصالحين في هذه الأمة ، ولو يعلم ان الله تعالى موف ما وعده شاء أم أبى وشاء العالم كله أم أبى[٩٩] .

والبخيل يتلذذ بوجود المال بين يديه وبرؤيته وقدرته عليه فلا تسمح نفسه ان يتنعم به من أكل ولباس وصدقة وسخاء ، ومثل هذا المرض عسير لا سيما عند تقدم السن فيُذكّر بسوء حال البخلاء وما جرى على ألسنة الناس عنهم ممن عاصره ، وما يمدح به الأسخياء من أهل عصره حتى يتكلف الإنفاق والسخاء ابتداءاً لنفور طبعه عن سوء حال البخلاء حتى يصير السخاء طبعاً فيه[١٠٠] .

---

(٩٧) صحيح مسلم : كتاب الفضائل ـ باب ما سئل رسول الله ﷺ ١٨٠٦/٤ ، رقم الحديث (١٣١٢) .

(٩٨) حلية الاولياء ٣٢/١ .

(٩٩) أنظر : كتاب الكنه ، ص ١١ .

(١٠٠) الطريقة المحمدية ٩٩ .

المطلب السابع

السـخـاء

السخاء في اللغة : [الجود][101] .

وفي الاصطلاح : مَلَـكَة للنفس داعية الى البذل ، سواء حصل البذل منها أم لم يحصل[102] .

وقد تقدم إيضاح ذلك في تعريف الأخلاق ، وعرجت على معرفة السخاء إيضاحاً لغوائل البخل وانحطاطه ، وإتماماً لعلاجه ، وتحصيل الفضيلة من علاجه [إذ الشيء إنما يتم انكشافه بمعرفة ضده][103] .

[والكرم والجود والسخاء والسماحة معانيها متقاربة ، وفرَّق بعضهم بينها بفروق :

فجعل الكرم : الإنفاق بطيب نفس فيما يعظم خطرة ونفعه ، وسموه أيضاً : حرية ، وهو ضد النذالة .

والسماحة : التجافي عما يستحق المرء عند غيره بطيب نفس ، وهو ضد الشكاية .

والسخاء : سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد ، وهو الجود ، وهو ضد التقتير][104] .

ولكون السخاء صفة غريزية لم يوصف به الله تعالى ، وما يوصف به الله تعالى توقيفي ولم يرد نص بذلك[105] .

---

(١٠١) مختار الصحاح ٢٩١ ، مادة : (س خ و) .

(١٠٢) أنظر : الذريعة الى مكارم الشريعة ١٦٣ .

(١٠٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/١٩٢ .

(١٠٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : محمد بن علان الصديقي (ت ١٠٥٧هـ) ٤/٢٧٠ ـ ٢٧١ ، ط مطبعة حجازي ـ القاهرة .

(١٠٥) أنظر : نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية : أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي ، تحقيق : ابراهيم عطوة ، ص ٢٢٩ ، ط البابي الحلبي ، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م . وكشف المحجوب : للهجوري ، ترجمة : د. اسعاد عبدالهادي ، مراجعة : د. أمين عبدالمجيد بدوي ٢/ ٥٦٠ ، ط الأهرام ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

ونصوص السخاء في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمَنْ يشاء والله واسع عليم ﴾[١٠٦] .

وقال تعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[١٠٧] .

والآيات في فضل السخاء أكثر من أن تُحصى .

وفي السُنَّة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، قال : فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع الى قومه فقال : يا قوم أسلموا ، فان محمداً يعطي عطاء مَنْ لا يخشى الفاقة)[١٠٨] .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : (ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال : لا)[١٠٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما مِن يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللَّهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللَّهم أعط ممسكاً تلفاً)[١١٠] .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يا ابن آدم انك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمَنْ تعول ، واليد العليا خير من السفلى)[١١١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (قال الله تبارك وتعالى :

---

(١٠٦) سورة البقرة : الآية (٢٦١) .

(١٠٧) سورة البقرة : الآية (٢٧٤) .

(١٠٨) صحيح مسلم : كتاب الفضائل ـ باب ما سئل رسول الله ﷺ ١٨٠٦/٤ ، رقم الحديث (٢٣١٢) .

(١٠٩) صحيح مسلم : كتاب الفضائل ـ باب ما سئل رسول الله ﷺ ١٨٠٥/٤ ، رقم الحديث (٢٣١١) .

(١١٠) صحيح البخاري : كتاب وجوب الزكاة ـ باب قول الله تعالى : ﴿ فاما مَنْ أعطى واتقى وصدق بالحسنى ﴾ ١٣٦/٢ .
وصحيح مسلم : كتاب الزكاة ـ باب في المنفق والممسك ٧٠٠/٢ ، رقم الحديث (١٠١٠) .

(١١١) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ـ باب بيان ان أفضل الصدقة الصحيح الشحيح ٧١٨/٢ ، رقم الحديث [٩٧ ـ (١٠٣٦)] .

يا آبن آدم ، أنفق أنفق عليك)[112] .

ويقول سيدنا عبدالله بن المبارك رحمه الله : [سخاء النفس عما في أيدي الناس أعظم من سخاء النفس بالبذل][113] .

وقال الإمام الشافعي :

وإن كثـــرت عيـــوبـــك في البـــرايـــا
وســـرك أن يكـــون لهـــا غطـــاء
تستـــر بـــالسخـــاء فكـــل عيبٍ
يغطيـــه كمـــا قيـــل السخـــاء[114]

والسخاء يبسط من النفس وينتهي في الطبع الى ان يجعل النفس لينة ، فلا تزال تمتد وتسبغ حتى تصل الى تطبعها به فتصبح كريمة ، فمَنْ ألزم نفسه الجود والإنفاق راضها رياضة عملية كرياضة العضل بأثقال الحديد ، أما الشح فلا يناقض تلك الطبيعة ولكنه يدعها جامدة مستعصية لا تلين لداعي السخاء ، ولا تتيسر سماحتها ، ولا تستجيب لدواعي الكرم[115] .

وما زالت قصص كرماء العرب (قبل الإسلام) تذكر بين الناس أمثال : كعب بن أمامة الأيادي ، وهرم بن سنان النمري ، وحاتم الطائي ، وأول مَنْ هشم الثريد وجمع قومه عليه فسمي هاشماً عمر بن عبد مناف[116] .

فهؤلاء خلد ذكرهم السخاء مع انهم لم يدركوا الإسلام ، فأي فضيلة تخلد أصحابها قروناً !! وأي مزية من مزيتها ؟!

وأما حكايات الكرم وآثاره ، والأسخياء وأخبارهم في الإسلام ، فقد أفردت لها المصنفات العديدة ، وما زالت هذه الخصلة العظيمة تنتقل بين الكرام من أكابر هذه الأمة العظيمة بما حبا الله هذه الأمة من فضل ، وبما خص به المصطفى عليه الصلاة والسلام من الفضل والخلق الرفيع فانه ﷺ معدنه .

---

(١١٢) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ـ باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف ٢/ ٦٩٠ - ٦٩١ ، رقم الحديث [٣٦ - (٩٩٣)] .

(١١٣) ربيع الابرار ٣/ ٦٦١ .

(١١٤) ديوان الشافعي ٢٣ .

(١١٥) أنظر : وحي القلم : مصطفى صادق الرافعي ٣/ ١٤ - ١٥ ، ضبطه : محمد سعيد العريان ، ط ٣ مطبعة الاستقامة ، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .

(١١٦) أنظر : غرر الخصائص الواضحة ١٥٤ .

ويتدرج السخاء حسب ما يبذل ، وذروته الجود بالنفس ، ثم الجود بالمنصب ، ثم الجود بالراحة والرفاهية إسعاداً لغيره ، ثم الجود بالعلم ، يليه الجود بالمال[117] .

وفي الأخيرين تفاوت كبير بين الناس .

---

(117) أنظر : مدارج السالكين ٢/١٤٦ .

المطلب الثامن

الإيـــــثـــــار

الإيثار في اللغة : التفضيل والتقديم ، قال تعالى على لسان أخوة يوسف : ﴿ تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ﴾[118][119] .

ويستعار الأثر للفضل ، والإيثار للتفضيل ، ومن هذا آثرته ، ومنه الآية السابقة ، وقوله تعالى : ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا ﴾[120][121] .

وفي الاصطلاح : هو الجود والبذل مع شدة الحاجة ، وهو أرفع درجات السخاء : وأشد درجات البخل أن يبخل المرء على نفسه ، فأنظر الى البُعد بين مَنْ يبخل على نفسه وبين مَنْ يؤثر على نفسه[122] .

قال تعالى : ﴿ والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون مَنْ هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومَنْ يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[123] .

وفي سبب نزول هذه الآية تروى كثير من الروايات ، وكلها قد أجمعت على انها نزلت في الأنصار ، وحكت إيثار الأنصار ، منها ما رواه سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : (جاء رجل الى النبي ﷺ ، فقال : اني مجهود ، فأرسل الى بعض نسائه ، فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ، ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ، فقال النبي ﷺ : مَنْ يضيف هذه الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار ، فقال : أنا يا رسول الله ، فانطلق به الى رحله ، فقال لامرأته : هل عندك شيء ؟ قالت : لا ، إلا قوت صبياني ،

---

(١١٨) سورة يوسف : الآية (٩) .

(١١٩) أنظر : موسوعة أخلاق القرآن ١/٥٢ .

(١٢٠) سورة الأعلى : الآية (١٦) .

(١٢١) أنظر : المفردات في غريب القرآن ٩ ، مادة : (أ ث ر) .

(١٢٢) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٢٧٢ .
ومختصر منهاج القاصدين ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

(١٢٣) سورة الحشر : الآية (٩) .

قال : فعلليهم بشيء ، فإذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج وأريه انّا نأكل ، فإذا أهوى ليأكل فقومي الى السراج حتى تطفئيه ، قال : فقعدوا وأكل الضيف ، فلما أصبح غدا الى النبي ﷺ فقال : قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة)[١٢٤] .
فنزلت هذه الآية[١٢٥] .

ومنها أيضاً ، ما يرويه سيدنا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : ان رسول الله ﷺ قال : (إن أحببتم قسمت ما أفاء الله عليّ من بني النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دياركم) ، فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ : بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ، ونادت الأنصار قائلة : رضينا وسلمنا يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : (اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار) ، وأعطى المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا اثنين أو ثلاثة كان بهم فقر وحاجة ، ونزلت الآية[١٢٦] .

ومنها ما رواه سيدنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة ، فقال : إن أخي فلاناً وعياله أحوج الى هذا منا ، فبعث به إليه ، فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت الى أولئك فنزلت الآية[١٢٧] .

وعلى كل ، فان الآية ذكرت الأنصار وخصتهم بهذا الوصف فهنيئاً للأنصار ، وبورك لهم . ولما كان الإيثار بذلًا وتخصيصاً لمَنْ تؤثره على نفسك ، فانه لا يكون إلا اختياراً ، بخلاف الأثرة ، فانها استئثار صاحب الشيء به عليك واستحواذه عليه لنفسه دونك ، وهي قد تكون اختياراً برضا مَنْ كانت الأثرة عليه ، وقد تكون كرهاً لا برضاه ، والأثرة لا تحمد إلا إذا كانت طوعاً من المستأثر عليه ، وتصح إن كانت منه بنية حمل النفس على الأيثار تهذيباً لها ، وتحسن إن كان فعلها اختياراً[١٢٨] .

---

(١٢٤) صحيح مسلم : كتاب الأشربة ـ باب إكرام الضيف وإيثاره ٣/١٦٢٤ ، رقم الحديث [١٧٤ - (٢٠٥٤)] .

(١٢٥) لباب النقول في أسباب النزول : قدم له : عبدالقادر الأرناؤوط ، ص ٦٢٧ ، مطبوع بهامش تفسير الجلالين ، ط ٢ ، دار ابن كثير ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

(١٢٦) موسوعة أخلاق القرآن ١/٥٣ .
والتفسير الكبير للرازي ٢٩/٢٨٧ . وروح البيان ٩/٤٢٣ .

(١٢٧) لباب النقول ، ص ٦٢٧ .

(١٢٨) أنظر : مدارج السالكين ٢/١٦٦ .
وشرح منازل السائرين ، ص ٩٢ .

ومن خاصية العقل إيثار أعلى المحبوبين على أدناهما ، وأيسر المكروهين على أقواهما ، ويأتي ذلك من كمال قوة الحب والبغض ، ولا يتم ذلك إلا بقوة الإدراك وشجاعة القلب ، فإن ترك الإيثار على خلاف مقتضاه يكون إما من ضعف إدراك مراتب الحب والبغض على ما هي عليه فيتخلف الإيثار بناءاً على ذلك ، وإما لضعف في النفس وعجز في القلب بحيث لا يطاوعه على إيثار الأصلح ، أما مَنْ كان له قوة الإدراك وشجاعة القلب فقد وفق لأسباب السعادة(١٢٩) .

والإيثار على ثلاث درجات :

الأولى : أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم ولا يحرم عليك ديناً ، ولا يقطع عليك طريقاً ، ولا يفسد عليك وقتاً ، ويستطاع هذا بثلاثة أشياء : بتعظيم الحقوق ، ومقت الشح ، والرغبة في مكارم الأخلاق .

الثانية : إيثار رضا الله على رضا غيره ، وإن عظمت فيه المحن ، وثقلت فيه المؤن ، وضعف عنه البدن ، ويستطاع هذا بطيب الرجوع الى الله ، واخراج حب الدنيا من القلب ، وعدم الغرور بثناء الناس ، وقوة الصبر .

الثالثة : إيثار الله مع ترك شهود رؤية الإيثار ثم الغيبة عن هذا الترك(١٣٠) .

والأيثار على نوعين : إيثار في الصحبة ، وفيه مشقة وكلفة وهو ان يرى الصاحب حق صاحبه في صحبته ويتجاوز عن حق نفسه في ذلك ؛ وإيثار في المحبة ، وكله روح وراحة(١٣١) ، لاضمحلال مرارة العناء في عسل الحب .

وسيرة الإيثار في هذه الأمة يعجب منه العجب ، فقد نام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراش النبي ﷺ ليلة هاجر وآثره بالحياة(١٣٢) .

---

(١٢٩) أنظر : الداء والدواء أو الجواب الكافي لمَنْ سأل عن الدواء الشافي : الحافظ أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بأبن قيم الجوزية (٦٩١هـ - ٧٥٣هـ) ، تحقيق : د. محمد جميل غازي ، ص ٢٨٩ ، ط مطبعة المدني ، القاهرة .

(١٣٠) أنظر : روضة التعريف بالحب الشريف : لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ، ص ٤٨٢ ، ط دار الفكر العربي ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .
ومدارج السالكين ٢/١٦٦ - ١٦٩ ؛ وشرح منازل السائرين ٩٢ - ٩٥ ؛ والتمكين ١٣٧ - ١٤٠ .

(١٣١) أنظر : كشف المحجوب ، ص ٤٢٠ .

(١٣٢) أنظر : سيرة ابن هشام : لأبي محمد عبدالملك بن هشام ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ٢/٩٥ ، ط ١ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر لصاحبها مصطفى محمد ، مطبعة حجازي ، القاهرة ١٩٣٧م .

وذاد عن النبي ﷺ في الهجرة سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وأنفق ماله حتى لم يبق شيئاً إيثاراً لرضاء الله ورسوله[١٣٣] .

وباع صهيب الرومي رضي الله عنه ماله بمكة للكفار مقابل تركه ليلحق برسول الله ﷺ في المدينة[١٣٤] .

وانظر الى الأخوة في دين الله ، فقد أراد عبدالله وعبيدالله ابنا العباس رضي الله عنهم أن يقتسما ميراثيهما من أبيهما بمكة ، فدعي القاسم ليقسم ، فلما مد الحبل قال له عبدالله : أقم المِطَر - يعني الحبل الذي يمد - فقال له عبيدالله : يا أخي الدار دارك لا يمد والله فيها اليوم مطر[١٣٥] .

وقد وشى بعض الناس عند بعض الخلفاء بجماعة من أعلام التصوف فأمر الخليفة بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النوري ، فبادر الى السياف ليكون أول مَنْ يُقتل ، فقيل له في ذلك ، فقال : أحببت أن أوثر اخوتي بالحياة في هذه اللحظة ، فكان ذلك سبب نجاتهم جميعاً لنبل أخلاقهم ، وارتفاع هممهم ، وسمو إيثارهم[١٣٦] .

والإيثار أصل عظيم تميز به أكابر مشايخ التصوف ، يقول حذيفة المرعشي : [دخلنا مكة مع ابراهيم بن أدهم فإذا شقيق البلخي قد حج في تلك السنة ، فاجتمعنا في شق الطواف ، فقال ابراهيم لشقيق : على أي شيء أصّلتم أصلكم ؟ قال : أصّلنا أصلنا على أنّا إذا رزقنا أكلنا وإذا منعنا صبرنا ، فقال ابراهيم : هكذا تفعل كلاب بلخ ، قال له شقيق : فعلى ماذا أصلتم أصلكم ؟ قال أصّلنا على أنّا إذا رزقنا آثرنا وإذا منعنا شكرنا وحمدنا ، فقام شقيق فجلس بين يدي ابراهيم فقال : يا أستاذ أنت أستاذنا][١٣٧] .

---

(١٣٣) أنظر المصدر نفسه ٢/٩٨ - ٩٩ .
والسيرة الحلبية : برهان الدين الحلبي ٢/٤٥ ، ط ٢ ، المطبعة الأزهرية ، مصر ١٣٢٩هـ .

(١٣٤) أنظر : السيرة النبوية لابن كثير : للإمام أبي الفداء اسماعيل بن كثير (٧٠١هـ - ٧٧٤هـ) ، تحقيق : مصطفى عبدالواحد ٢/٢٢٣ ، ط دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

(١٣٥) عيون الأخبار : ابن قتيبة ٣/١٣٢ ، ط دار الفكر ، بيروت ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .

(١٣٦) أنظر : إحياء علوم الدين ٢/١٨٩ ، وآداب الصحبة والمعاشرة ٢٢٦ - ٢٢٧ ، وكشف المحجوب ٤٢١ .

(١٣٧) حلية الأولياء ٨/٣٧ - ٣٨ .

المبحث الثاني

حب الجاه والشهـــرة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول

حـــب الجــــــاه

الجاه في اللغة : [القدرة والمنزلة][138] .

واصطلاحاً : هو قيام المنزلة في قلوب الناس واعتقادهم نعتاً من نعوت الكمال في شخصٍ ما من علم أو نسب أو منصب أو عبادة أو قوة أو حسن ، فبقدر ما يعتقدون له من ذلك تذعن قلوبهم لطاعته ومدحه وخدمته وتوقيره ، والجاه محبوب بالطبع ، وهو أبلغ من المال ، فمعنى المال : ملك الأعيان ، ومعنى الجاه : ملك القلوب المراد منها التعظيم والطاعة والتصرف فيها[139] .

قال تعالى : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾[140] .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾[141] .

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يا أبا ذر ، اني أراك ضعيفاً ، واني أحب لك ما أحب لنفسي ، لا تأمرن على اثنين ، ولا تولين مال

---

(١٣٨) مختار الصحاح ١١٨ ، مادة : (ج هـ و) .

(١٣٩) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ٢١٠ - ٢١١ .
وإحياء علوم الدين ٣/٢٩٥ .

(١٤٠) سورة القصص : الآية (٨٣) .

(١٤١) سورة هود : الآيتان (١٥ ، ١٦) .

يتيم)[١٤٢] .

وعن أبي يعلى معقل بن يسار رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما مِن عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)[١٤٣] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي ، فقال أحدهما : يا رسول الله : أمرنا على بعض ما ولّاك الله عز وجل ، وقال الآخر : مثل ذلك ، فقال ﷺ : (إنّا والله لا نولي هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه)[١٤٤] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : (اللّهم مَنْ وليَّ من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومَنْ ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به)[١٤٥] .

ومن الجاه ما يمدح وما يذم ، إذ لا بد للإنسان من مال لضرورة المأكل والملبس والمعاش ، كذلك لا بد له من جاه فانه لايبخلو أحد من الحاجة الى مَنْ يعينه ويحرسه ويخدمه ، فحبه ذلك ليس مذموماً ، لأن الجاه وسيلة للأغراض ، كالمال لجلب المنافع ودفع المضار ، وأما حب المال للاكتناز ، أو حب الجاه للاستحواذ على الأراضي واستعباد عدد أكبر من الخلق ، فذلك هو المذموم[١٤٦] .

والمحظور من الجاه في الشرع ، هو طلب المنزلة في قلوب الخلق باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها ، مثل العلم والورع والنسب ، فهذا حرام لأنه كذب وتلبيس ، أما بالقول أو بالمعاملة .

---

(١٤٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ـ باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ١٤٥٨/٣ ، رقم الحديث (١٨٢٦) .

(١٤٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار ١٢٥/١ ، رقم الحديث (١٤٢) .

(١٤٤) صحيح مسلم : كتاب الأمارة ـ باب النهي عن طلب الأمارة والحرص عليها ١٤٥٦/٣ ، رقم الحديث (١٧٣٣) .

(١٤٥) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ـ باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ١٤٥٨/٣ ، رقم الحديث (١٨٢٧) .

(١٤٦) أنظر : إحياء علوم الدين ٢٦٩/٣ .
ومختصر منهاج القاصدين ٢١١ .

ويباح طلب المنزلة بصفة هو متصف بها ، كقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام : ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾[١٤٧] .

وكان صادقاً فيما ادعى ، ويباح إخفاء العيب والمعصية حتى لا تزول منزلته من قلوب الخلق ، لأنه حفظ الستر ، ولا يجوز هتك الستر وإظهار القبيح ، وليس في ذلك تلبيس ، بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به ، كشرب الخمر مثلًا أو غير ذلك[١٤٨] .

وعند أكابر أهل التصوف الواجب على المريد ترك الجاه ، ومَنْ ابتلى منهم بشيء منه أوى الى شيخ يدله على الخلاص منه ، فإن لم يجد حلّ له السفر والتحول عن ذلك الموضع لئلا يشوش على نفسه ، هذا إن لم يكن ذلك الجاه ضرورياً ، لأنه إن كان ضرورياً فانه يدفع الأذى ويقوي على الطاعة[١٤٩] .

الفرع الأول : علاج حب الجاه :

إن انشغال القلب بحب الجاه قد يؤدي بالعبد الى آفات أخطر وعواقب أدهى وأمرّ، أبينها إن شاء الله في الفرع القادم .

ومَنْ غلب على قلبه حب الجاه ، اشتغل فكره بما يثبت هذه المنزلة في قلوب الخلق ، ولا يكاد يصدر عنه قول أو فعل إلا وهو داخل فيما يرفع قدره بينهم ، وهذا بذر الرياء والنفاق وأصل لكل فساد[١٥٠] ، من حيث كونه قاطعاً لنية الاخلاص في العمل لله تعالى .

ولعل مَنْ أطلق عنان فكره فيمَنْ يتنازع على الجاه من النظراء والأنداد والأضداد وما تنطوي عليه نفوسهم من الضعف والخسة ، ولعلهم ممن يستحيي من التشبه بهم لفرط بُعدهم عن مكارم الأخلاق ، ثم ماذا ما يبتغي مَنْ أحب الجاه وإزداد طمعه فيه وتنافى ، فهل رأيت أحداً ملك الأرض كلها والأفلاك والسموات[١٥١] إلا الله فاخضع له بالعبودية ، وليكن جاهك به عريضاً وبتقواه عظيماً .

---

(١٤٧) سورة يوسف : الآية (٥٥) .

(١٤٨) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٣٠٢ .

(١٤٩) أنظر : شرح الرسالة القشيرية للأنصاري ٤/٢٢٣ .

(١٥٠) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٣٠٤ .
ومختصر منهاج القاصدين ٢١٢ .

(١٥١) أنظر : الأخلاق والسير ، ص ٦٧ .

وقد عرّف الشيخ محيي الدين بن عربي الجاه بأنه إمضاء الكلمة ، وقال : [ولا أمضى كلمة من قوله تعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كُن فيكون ﴾[١٥٢] ، فأعظم الجاه مَنْ كان جاهه بالله][١٥٣] .

فكان سمعه بالله ، وبصره بالله وقوته بالله وبطشه بالله تعالى ، لا يقوم إلا لله ، ولا يقعد ولا يسكن ولا يتحرك إلا لله تعالى ، فكساه الله تعالى كسوتي الجلالة والبهاء ليعظمه العباد فيقفوا على حدود الأدب معه[١٥٤] .

قال ابن السماك للرشيد ، حين دعا بحضرته بقدح فيه ماء ليشربه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ لو منعت هذه الشربة بكم كنت ترضى أن تبتاعها ؟ قال له الرشيد : بملكي كله ، قال : يا أمير المؤمنين : فلو منعت خروجها منك ، بكم كنت ترضى أن تفتدى من ذلك ؟ قال : بملكي كله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتغتبط بملك لا يساوي بولة ولا شربة ماء !![١٥٥] .

وينبغي لمَنْ أحب الجاه أن يتفكر في المهالك التي يتعرض اليها أصحاب الجاه في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فهم أول مَنْ يتوجه اليهم الحسد ، ويقصد بالأذى في كل عصر ، فلزم من ذلك دوام خوفهم على الجاه من الزوال ، والاحتراز من شرور الأعداء مع دوام القلق من تغير المنزلة في القلوب ، في حين كون القلوب بطبيعتها متقلبة متغيرة ، والاشتغال بذلك كله يكدر صفو العيش في الدنيا فضلًا عما يفوته من الخير في الآخرة[١٥٦] .

ولقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يجتهدون في إسقاط الجاه من قلوب مَنْ يجعلهم مشتغلين بابقاء المنزلة عندهم ، من ذلك ان بعض الملوك قصد زاهداً من الزهاد بالزيارة ، فلما قرب الملك استدعى الرجل الزاهد مَنْ يحضر له طعاماً وبقلًا ولبناً ، وجعل يأكل بشره ويعظم اللقمة ، فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف عنه ، فقال الزاهد : الحمد لله الذي صرفك عني[١٥٧] .

---

(١٥٢) سورة يس : الآية (٨٢) .

(١٥٣) الوصايا لابن العربي ٢٩ .

(١٥٤) لطائف المنن ، ص ٦٤ .

(١٥٥) الأخلاق والسير ٦٧ .

(١٥٦) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ٢١٢ .
وإحياء علوم الدين ٣/ ٣٠٤ .

(١٥٧) أنظر : المصدرين نفسهما .

ولما طلب ابراهيم النخعي رحمه الله على القضاء لبس قميصاً أحمر وقعد في السوق[158] .

والذي حلّ في الزهد ان خاف في انقطاعه عن الناس من تعظيم الناس له وحصول المنزلة عندهم خالطهم وحمل حاجته من السوق ، فقد كان بشر الحافي رحمه الله يجلس الى عطار ، فهل يبلغ أحد زهد بشر الحافي ؟![159] .

ثم مَنْ كان له جاه ، فعليه ببذل جاهه والمساعدة بنفسه في كل نائبة تصيب الناس ، فانها تبعث عليه حب الخير للناس ، وإيثار الصلاح لهم ، وليس في هذه الأمور سرف ولا لغايتها حد ينتهي فيه[160] .

وليس للعبد أن يتطلع الى الزعامة والرياسة بمخالفة أوامر الله ورسوله ﷺ وأُولي الأمر ، فطاعتهم طاعة الله ومخالفتهم مخالفة لما أمر الله به ورسوله ﷺ ما أقاموا دين الله ، قال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم ﴾[161] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ أطاعني فقد أطاع الله ، ومَنْ يعصني فقد عصى الله ، ومَنْ يطع الأمير فقد أطاعني ، ومَنْ يعص الأمير فقد عصاني)[162] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال : (مَنْ كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فانه ليس أحد من الناس خرج على السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية)[163] .

وعن أبي هنيدة وائل بن حجر رضي الله عنه قال : سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ : فقال : يا نبي الله ، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه ، ثم سأله في الثانية ، وفي الثالثة ، فجذبه

---

(١٥٨) أنظر :المصدرين نفسهما .

(١٥٩) المصدر نفسهما .

(١٦٠) أنظر : منهاج اليقين بشرح أدب الدنيا والدين ٣٥٢ .

(١٦١) سورة النساء : من الآية (٥٩) .

(١٦٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٤٦٦/٣ ، رقم الحديث [٣٢ (١٨٣٥)] .

(١٦٣) صحيح البخاري : كتاب الفتن ـ باب قول النبي ﷺ : (سترون بعدي أموراً ...) ٥٩/٨ .
صحيح مسلم : كتاب الفتن ـ باب قول النبي ﷺ : (ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن) ١٤٧٨/٣ ، رقم الحديث [٥٦ ـ (١٨٤٩)] .

الأشعث بن قيس وقال رسول الله : (اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم)[١٦٤] .

الفرع الثاني : الظلم :

الظلم في اللغة : [وضع الشيء في غير موضعه][١٦٥] .

وفي الاصطلاح : عبارة عن التعدي من الحق الى الباطل وهو الجور ، وقيل : هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد[١٦٦] .

قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الله غافلًا عما يفعل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء * وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أوَلَـمْ تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبيَّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال)[١٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ وسيعلم الذي ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾[١٦٨] .

وقال تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾[١٦٩] .

وقال تعالى : ﴿ والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ﴾[١٧٠] .

وعن أبي حميد الساعدي قال : استعمل رسول الله ﷺ رجلًا من الأزد على صدقات بني سليم يدعى ابن الأتبية ، فلما جاء حاسبه ، قال : هذا مالكم وهذا هدية ، فقال رسول الله ﷺ : (فهلًا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً) ، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : (أما بعد فاني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولّاني الله ، فيأتي فيقول : هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ، والله ، لا يأخذ أحد منكم منها شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة فلأعرفن أحداً

---

(١٦٤) صحيح مسلم : كتاب الفتن ـ باب في طاعة الأمراء ٣/١٤٧٤ ـ ١٤٧٥ ، رقم الحديث [٤٩ - (١٨٤٦)] .

(١٦٥) مختار الصحاح : ٤٠٥ ؛ والقاموس المحيط ١٤٧/٤ ، مادة : (ظ ل م) .

(١٦٦) التعريفات ، ص ٩٦ ، باب الظاء .

(١٦٧) سورة ابراهيم : الآيات (٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥) .

(١٦٨) سورة الشعراء : الآية (١٦٧) .

(١٦٩) سورة غافر : الآية (١٨) .

(١٧٠) سورة الشورى : الآية (٨) .

منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر) . ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه ، ثم قال : (اللّهم هل بلغت !) بصر عيني وسمع أذني[171] .

وعن عدي بن عجرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (مَنْ استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطاً فما فوقه ، كان غلولًا يأتي به يوم القيامة) ، قال : فقام اليه رجل أسود من الأنصار ـ كأني أنظر اليه ـ فقال : يا رسول الله اقبل عني عملك ، قال : (وما لك ؟) ، قال : سمعتك تقول : كذا وكذا ، قال : (وأنا أقوله الآن ، مَنْ استعملناه منكم على عمل فليجيء بقليله وكثيره فما أوتي منه أخذ وما نهي عنه انتهى)[172] .

وعن خولة بنت قيس الأنصارية ، وهي امرأة حمزة رضي الله عنهما قالت ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ان رجالًا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة)[173] .

وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال : (مَنْ اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة) ، فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ فقال : (وإن كان قضيباً من أراك)[174] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (ان الله عزوجل يملي للظالم ، فإذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾[175][176] .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه رسول الله ﷺ الى اليمن ، قال :

---

(١٧١) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ـ باب تحريم هدايا العمال ٣/١٤٦٣ ـ ١٤٦٤ ، رقم الحديث [٢٧ ـ (١٨٣٢)] .

(١٧٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ـ باب تحريم هدايا العمال ٣/١٤٦٥ ، رقم الحديث [٣٠ ـ (١٨٣٣)] .

(١٧٣) صحيح البخاري ٤/١٠٤ ؛ مسند الإمام أحمد ٦/٤١٠ .

(١٧٤) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب وعيد مَنْ اقتطع حق مسلم بعين فاجرة بالنار ١/١٢٢ ، رقم الحديث [٢١٨ ـ ١٣٧)] .

(١٧٥) سورة هود : الآية (١٠٢) .

(١٧٦) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تحريم الظلم ٤/١٩٩٧ ـ ١٩٩٨ ، رقم الحديث [٦١ (٢٥٨٣)] .

(اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب)[١٧٧] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مما ذكره من خطبة حجة الوداع ، قوله ﷺ : (ألا ان الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد (ثلاثاً) ويلكم أو ويحكم انظروا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[١٧٨] .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال : (اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة)[١٧٩] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ان رسول الله ﷺ قال : (مَنْ ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين)[١٨٠] .

وعن أبي ذر في حديث طويل عن النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى ، انه قال : (يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم حراماً فلا تظالموا)[١٨١] .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : اقتتل غلامان ، غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار ، فنادى المهاجر : يال المهاجرون ، ونادى الأنصاري : يال الأنصار ، فخرج رسول الله ﷺ ، فقال : (ما هذا دعوى أهل الجاهلية ؟!) ، قالوا : لا يا رسول الله ، إلا ان غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر ، قال : (فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً ، إن كان ظالماً فلينهه ، فانه له نصر ، وإن كان مظلوماً فلينصره)[١٨٢] .

---

(١٧٧) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب الدعاء الى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/ ٥٠ ، رقم الحديث [٢٩ - (١٩)] .

(١٧٨) صحيح البخاري : باب حجة الوداع ٥/٢٢٣ .

(١٧٩) **صحيح البخاري** : كتاب المظالم ـ باب الظلم ظلمات يوم القيامة ٣/ ١٦٠ .
وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تحريم الظلم ٤/١٩٩٦ ، رقم الحديث [٥٦ - (٢٥٧٨)] .

(١٨٠) صحيح البخاري : كتاب المظالم ـ باب إثم مَنْ ظلم شيئاً من الأرض ٣/ ١٦١ .
صحيح مسلم : كتاب المساقاة ـ باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها ٣/١٢٣١ ـ ١٢٣٢ ، رقم الحديث [١٤٢ - (١٦١٢)] .

(١٨١) صحيح مسلم : كتاب البر ـ باب تحريم الظلم ٤/١٩٩٤ ـ ١٩٩٥ ، رقم الحديث [٥٥ - ٢٥٧٧)] .

(١٨٢) صحيح مسلم : كتاب البر ـ باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ٤/١٩٩٨ ، رقم الحديث [٦٢ - (٢٥٨٤)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال :(مطل الغني ظلم)[183] .

والظلم قسمان ، ظلم العبد نفسه ، وظلمه لغيره ، فأما ظلم العبد نفسه ، بأن لا ينصفها فتدخل النار سواء كان ذلك بالكفر ، قال تعالى : ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾[184] .

أو بالشرك ، قال تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾[185] .

أو بفعل الكبائر من الآثام والفواحش ، قال تعالى : ﴿ وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾[186] .

وأما ظلمه لغيره من خلق الله في أعراضهم وأبدانهم وأموالهم ؛ قال رسول الله ﷺ : (مَنْ كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ له من سيئات صاحبه فحمل عليه)[187][188] .

قال ميمون بن مهران : [ان الرجل إذا ظلم إنساناً فأراد أن يتحلل منه ففاته ولم يقدر عليه فاستغفر الله تعالى له دبر صلاته خرج من مظلمته][189] .

ولما حبس يحيى بن خالد بن برمك وولده ، قال له ولده : ياأبتي بعد العز صرنا في القيد والحبس ، فقال : يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها[190] .

ولما حضرت الشبلي الوفاة ، قال : عليّ درهم مظلمة تصدقت عنه بألوف فما عليَّ شيء أعظم منه[191] .

---

(١٨٣) صحيح مسلم : كتاب المساقاة ـ باب تحريم مطل الغني ١٩٧/٣ ، رقم الحديث (٣٣ ـ (١٥٦٤)] .

(١٨٤) سورة البقرة : من الآية (٢٥٤) .

(١٨٥) سورة لقمان : من الآية (١٣) .

(١٨٦) سورة البقرة : من الآية (٥٧) .

(١٨٧) صحيح البخاري : كتاب المظالم ـ باب مَنْ كانت له مظلمة ١٦١/٣ .

(١٨٨) أنظر : منهاج المسلم ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(١٨٩) تهذيب تنبيه الغافلين ٢٥٦ .

(١٩٠) الكبائر للذهبي ١١٦ .

(١٩١) إرشاد العباد الى سبل الرشاد : زين الدين بن عبدالعزيز بن زين الدين المليبهباري ، ص ٧٩ ، ط الميمنية ، مصر ، ١٣٢٧هـ .

المطلب الثاني

الشــــــهــــــــرة

الشهرة في اللغة : [وضوح الأمر][192] .

أو : [ظهور الشيء في حالة شنعة][193] .

وفي الاصطلاح : فعل أو زي يبين به فاعله أو صاحبه عن العوام في فعلهم أو زيهم[194] .

قال تعالى : ﴿ فخرج على قومه في زينة قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أُوتيَ قارون إنه لذو حظ عظيم ﴾[195] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله لا ينظر الى صوركم ولا أموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم)[196] .

وعن جندب العلقي رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ سمّع يسمّع[197] الله به)[198] .

قال ابراهيم بن أدهم : [ما صدق الله عبد أحب الشهرة][199] .

---

(192) مختار الصحاح 349 ، مادة : (ش هـ ر) .

(193) القاموس المحيط 2/67 ؛ والشنعة : من التشنيع .

(194) أنظر : المسائل في أعمال القلوب والجوارح 103 .

(195) سورة القصص : الآية (79) .

(196) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم ظلم المسلم 4/1986 - 1987 ، رقم الحديث [34 - (2564)] .

(197) يسمع سمع الله به : أي يرائي فيسمعه الناس يفضحه الله يوم القيامة ؛ أو مَنْ سمع بعيوب الناس أذاعها وأظهر الله عيوبه أو أسمعه المكروه .

(198) صحيح مسلم : كتاب الزهد - باب الصدقة في المساكين 4/2289 ، رقم الحديث [48 - (2987)] .

(199) الآداب الشرعية والمنح المرعية : شمس الدين أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي ، تصحيح وتعليق : محمد رشيد رضا 2/255 ، ط مطبعة المنار ، مصر .

وقال أيوب السختياني : [والله ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه][200] .

وكان خالد بن معدان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة[201] .

وليس على المؤمن أن يتتبع ما يستحسن الناس وما يستنكرونه ، ولكن يلزمه اتباع القرآن الكريم والسُنَّة النبوية المطهرة ، ويتتبع ما هو أصلح لقلبه وأرفق به في عيشه ودينه وعاقبة أمره ، ويلهو عن الناس بما يتقرب به الى الله عز وجل[202] .

وأصل الجاه هو انتشار الصيت ، والشهرة مذمومة ، والمحمود هو الخمول إلا مَنْ أظهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف أو طلب[203] .

ومن الناس مَنْ إذا ذاع صيته وامتدت شهرته وانتشر لقبه بين الناس بعلم أو مال أو منصب أو جاه أو نحو ذلك ، تغيرت أحواله وتبدلت طباعه وتحولت سجاياه ، فترفَّع عمَّن حوله ، وازدرى عشرتهم ، وتنكَّر لمَنْ كان معه .

وكـــذا اللئيم إذا أصـــاب كـــرامـــة
عـــادى الصديق ومـــال بـــالإخـــوانِ[204]

واختلف فيما نهي عنه في الشهرة وما كره ، فقال قوم : ما حرَّم الله لبسه من الذهب والحرير والديباج للرجال ، فذلك داخل في النهي بصريح النصوص ، وما سوى ذلك مباح ، لأن كل ما لم ينه عنه في كتاب أو سُنَّة فمباح حلال مطلق[205] .

ومنهم مَنْ قال : يدخل في الشهرة كل تشبّه للرجال بالنساء وتشبّه للنساء بالرجال ، وإن كانت الثياب مباحة ، لأن النبي ﷺ لعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ، وقال : (أخرجوهم من بيوتكم)[206] .

وقال آخرون : يدخل في الشهرة كل لباس يخالف لباس المسلمين ، فان مَنْ لبس زي أهل الكتاب فانه يشتهر به بين المسلمين .

---

(٢٠٠) إحياء علوم الدين ٣/٢٩٢ .

(٢٠١) أنظر : المصدر نفسه .

(٢٠٢) أنظر : المسائل في أعمال القلوب والجوارح ١٠٧ .

(٢٠٣) أنظر : إحياء علوم الدين ٣/٢٩٢ .

(٢٠٤) أنظر : سوء الخلق ٦٧ ؛ والبيت للشاعر محمود سامي البارودي .

(٢٠٥) أنظر : المسائل في أعمال القلوب والجوارح ١٠٣ .

(٢٠٦) صحيح البخاري : كتاب اللباس ـ باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال ٧/٢٠٥ .

وقال آخرون : الشهرة على قدر الأزمنة لا على قدر الفعل ، فان مَنْ يلبس لباس الصحابة رضي الله عنه اليوم ، فهو يشتهر به ، وكذلك رقع الثياب وغير ذلك ، وكذا أي لبس يخالف زي أهل العصر[٢٠٧] .

وأقول : ما ثبت تحريمه بالنصوص فهو حرام ، سواء كان لعلّةْ الشهرة أو لغيرها ، ومَنْ فعل من المباحات فعلًا طلب فيه الشهرة وإن كان مباحاً يكره له ذلك الفعل لفساد نيته ، ومَنْ عمل عملًا صالحاً وتنافس معه غيره فاشتهر به من غير قصد منه للشهرة ، فيندب له ذلك الفعل ، ومَنْ وقف موقفاً فيه نصرة الله عند تخاذل غيره وخورهم وجبنهم عنه ، فهو واجب عليه وإن اشتهر به ، ومَنْ فعل فعلًا مباحاً من غير إرادة الميزة على الناس أو السمعة والشهرة فهو مباح ، والله تعالى أعلم .

---

٢٠٧) أنظر : المسائل في أعمال القلوب والجوارح ١٠٣ ـ ١٠٥ .

المبحث الثالث

الهـــوى والشــهـــوة

الهوى في اللغة : إرادة النفس[٢٠٨] .

وفي الاصطلاح : ميل النفس الى ما تستلذ به من الشهوات معارضة لنصوص الشرع فيه[٢٠٩] .

سميَ به لسرعة ميله ، وقيل : لأنه يهوي بصاحبه الى الهاوية في الدنيا والآخرة[٢١٠] .

والشهوة في اللغة : الرغبة[٢١١] .

وفي الاصطلاح : [حركة النفس طلباً للملائم][٢١٢] .

والهوى مختص بالآراء والاعتقادات ، والشهوة في نيل ما تستلذ به النفس ، فالشهوة نتاج الهوى ، وهو أصل لها وأعمّ منها[٢١٣] .

قال تعالى : ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمَنْ يهدي مَنْ أضلَّ اللّـهُ وما لهم من ناصرين ﴾[٢١٤] .

وقال تعالى : ﴿ إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ﴾[٢١٥] .

وقال عز وجل : ﴿ يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم

---

(٢٠٨) أنظر : القاموس المحيط ٤٠٧/٤ ، مادة : (هـ و ي) .
ومختار الصحاح ٧٠٢ .

(٢٠٩) أنظر : التعريفات ١٧٤ .

(٢١٠) أنظر : أركان الأخلاق في الإسلام ٧٧ .

(٢١١) أنظر : القاموس المحيط ٣٥٢/٤ ، مادة : (ش هـ و) .

(٢١٢) التعريفات ٨٧ .

(٢١٣) أنظر : أدب الدنيا والدين ٣٨ .

(٢١٤) سورة الروم : من الآية (٢٩) .

(٢١٥) سورة النجم : من الآية (٢٣) .

عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾[٢١٦] .

وقال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذَّبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾[٢١٧] .

وقال تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ﴾[٢١٨] .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات)[٢١٩] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : (كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرِجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه)[٢٢٠] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مُجَخياً[٢٢١] لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب هواه)[٢٢٢] .

والأمراض والرذائل النفسية تثبت في الإنسان بميله الغريزي الى الهوى ، فينقاد لنفسه الأمّارة إن لم يكن له وازع يردعه عن ذلك ، حتى ينقلب الى وحش كاسر

---

(٢١٦) سورة ص : الآية (٢٦) .

(٢١٧) سورة الأعراف : الآيتان (١٧٥ ، ١٧٦) .

(٢١٨) سورة مريم : الآية (٥٩) .

(٢١٩) صحيح مسلم : كتاب الجنة ٢١٧٤/٤ ، رقم الحديث (٢٨٢٢) .

(٢٢٠) صحيح مسلم : كتاب القدر ـ باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا ٢٠٤٦/٤ ، رقم الحديث (٢٦٥٧) .

(٢٢١) مجخياً : أي مائلاً ، وفسره الراوي بقوله : منكوساً . أنظر : هامش صحيح مسلم ١٢٩/١ .

(٢٢٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب بيان الإسلام بدأ غريباً ١٢٨/١ ، رقم الحديث (١٤٤) .

يصعب ترويضه(٢٢٣) .

والشهوة فيها منفعة ومضرة ، فأما منفعتها ، ان النفس تحافظ على البدن بتناول الأغذية للوصول به الى طاعة الله تعالى ، وبها عمارة الأرض ، وحفظ النسل ، وتزجية المعاش ، فهي بهذا الوجه يرجى منفعتها ، ومن وجه آخر يخشى ضررها وهي أصعب اصلاحاً من سائر قوى البدن ، لأنها أقدم القوى وجوداً(٢٢٤) .

ومَنْ ضعفت بصيرته مع قلّة علمه وسوء قصده وتحكّم هواه فيه ، افتتن بالهوى من حيث يشتبه عليه الحق بالباطل ، والهدى بالضلال(٢٢٥) .

ومبعث ذلك استيلاء ظلمة الشك على القلب فيحلو له الهوى ، ومبدؤه هيجان الشهوة ، فيفزع الى الأسباب التي يتوصل بها الى بغيته ، وقد عمي عن سواها ، وطهارته من ذلك بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق تعالى في قلبه ، فتطمئن بذلك نفسه ، وتسكن عن الشره والطيش(٢٢٦) .

فيدفع الهوى باليقين ، كما تدفع الشهوة بالصبر ، وتأمل قوله تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا موقنين ﴾(٢٢٧) .

ومَنْ يتق الهوى والشهوة ، أورثه الله في الدنيا غنيمتين عظيمتين هما : الهدى والرحمة ، قال تعالى في وصف سيدنا الخضر عليه السلام في لقائه بسيدنا موسى عليه السلام وفتاه : ﴿ فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلَّمناه من لدنا علماً ﴾(٢٢٨) .

وهو نظير قوله تعالى على لسان أصحاب الكهف : ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً ﴾(٢٢٩)(٢٣٠) .

والشهوة شعبتان : شهوة البطن ، ليبقى الشخص بعينه ؛ وشهوة الفرج ، يبقى

---

(٢٢٣) أنظر : الشريعة والحقيقة : د. حسن الشرقاوي ، ص ٥٥ ، ط مطبعة الوادي ، الاسكندرية ، ١٩٧٦م .

(٢٢٤) معارج القدس في مدارج معرفة النفس ٨٠ .

(٢٢٥) أنظر : إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان : شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بأبن قيم الجوزية ، ص ٣١١ ، ط الميمنية ، مصر ، ١٣٢٠هـ .

(٢٢٦) أنظر : غيث المواهب العلية ٢٤٢ .

(٢٢٧) سورة الأنبياء : الآية (٧٣) .

(٢٢٨) سورة الكهف : الآية (٦٥) .

(٢٢٩) سورة الكهف : الآية (١٠) .

(٢٣٠) أنظر : إغاثة اللهفان ٣١٢ .

بنسله وعقبه ونوعه ، وإن لم تضبط الشهوتان الى حد الاعتدال أدت الى آفات فيها المهالك في الدين والدنيا والآخرة(٢٣١) .

قال ابن عطاء الله في معرض المناجاة : [إلهي ان القضاء والقدر غلبني ، وان الهوى بوثاق الشهوة أسرني ، فكن أنت النصير لي] ، والله تعالى أكرم من أن يرد عذر معتذر اليه ، ويخيب أمل مَنْ اعترف بذنبه ، وأقر به لديه ، ومن علامة قبوله للاعتذار توفيقه للاعتذار .

قال الكتاني : [لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة إلا ليفتح باب المغفرة](٢٣٢) .

ومن الحيل في قمع الشهوة ، تسليط الحمية والغضب عليها ، فلا تميل الى مذام الأخلاق مثلما يقمع الغضب وسورته بتسليط خلابة الشهوة حتى تكسر استشاطته(٢٣٣) .

وإذا همَّت النفس بمعصية من أثر هواها وشهوتها فذكّرها بالله ، فإن استحيت ، وإلا فذكّرها بيوم القيامة والفضيحة على مشهد الخلائق من الأنبياء والمرسلين ، وكيف يسيء ذلك سيدنا محمداً ﷺ ، فإن استحيت وإلا فذكّرها بأخلاق الرجال ، فإن لم ترجع فذكّرها بالفضيحة إذا علم الناس بها ، فإذا لم ترجع ، فاعلم انها تلك الساعة انقلبت الى حيوان لا يعرف إلا شهوته(٢٣٤) .

ومن طرق كسر الشهوة ، قلة الأكل للاستيلاء على النفس الأمّارة بالسوء ، فان ذلك مدعاة الى تيسير المواظبة على العبادة ، وخفة المؤونة ، وكسب القناعة ، والاستغناء عن الناس ، بل الى البذل والإيثار والسماحة والتصدق ، كما انه مفتاح الزهد والعفة والورع(٢٣٥) .

ومَنْ ألقى عليه شهوة النكاح في حال فقره وعجزه عن مؤونتها ، فصبر ينتظر فرجاً من الله تعالى يعينه على حمل مؤونتها ، من غير ثقل في الدنيا ، ولا تعب في

---

(٢٣١) أنظر : معارج القدس في معرفة مدارج النفس ٨١ - ٨٢ .

(٢٣٢) أنظر : غيث المواهب العلية ٢٤٣ .

(٢٣٣) أنظر : معارج القدس ٨١ .

(٢٣٤) أنظر : هكذا علمتني الحياة / مصطفى السباعي ، ص ٣ ، ط دمشق ، ١٣٨٢هـ . وتحقيق : عبدالفتاح أبي غدة على رسالة المسترشدين ، ص ١٦٠ ، ط ٢ ، دار السلام ، حلب .

(٢٣٥) أنظر : معارج القدس ٨١ .

العقبى ، أعانه الله على ذلك ، وكان عند الله من الصابرين بصبره عنها ، ورضاه بقسمته ، فإن كان له قسماً من الله ساقها اليه ، فينقلب صبره شكراً وكان عند الله من الشاكرين ، فلازم الصبر ، وعانق الأمر ، وأرض بالقضاء ، وارج بذلك الفضل[٢٣٦] .

وفي الصوم فناء مراد النفس ، فإذا صمت كفّت النفس عن الشهوات وصفا القلب وضمرت الجوارح ، حتى يتنبه الى الفقراء فيحسن اليهم ، والتجأ الى الله ، ثم شكر على ما تفضل به من النِعَم [٢٣٧] .

قال رسول الله ﷺ : (يا معشر الشباب مَنْ استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومَنْ لم يستطع فليصم ، فانه له وجاء)[٢٣٨] .

---

(٢٣٦) أنظر : فتوح الغيب ٢١ .

(٢٣٧) أنظر : معراج السالكين ١١٥ .

(٢٣٨) صحيح البخاري : كتاب الصوم ـ باب الصوم لمَنْ خاف على نفسه العزوبية ٤/ ٣٢ ـ ٣٣ .

المبحث الرابع

الخيانة والغدر

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول

الخيانة

الخيانة لغة : [أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح][٢٣٩] .

واصطلاحاً : [هي تصرف في الأمانة بغير وجه شرعي ، كبيعها أو جحدها أو انتقاصها أو التهاون في حفظها][٢٤٠] .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾[٢٤١] .

في هذه الآية الكريمة أمر للصحابة ان لا يخونوا في الغنائم ، لأن ذلك خيانة لله ، وخيانة لرسوله ﷺ ، لأنه القائم عليها ، وعلى قسمتها ، وهي وديعة في أيدي الغانمين . فمَنْ خان منهم فقد خان أمانة الناس ، ويحتمل ان يراد بالأمانة كل ما تعبد به ، فيكون معنى الآية : إيجاب التكاليف بتمامها من غير نقص ، ولما كان الإقدام على الخيانة هو حب الدنيا من الأموال والأولاد ، نبّة القرآن الكريم على الاحتراز عن مضار ذلك الحب ، فقال في الآية التي تليها : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾[٢٤٢] ، تشغل القلب بالدنيا ، وتصير حجاباً للعبد عن خدمة مولاه[٢٤٣] .

---

(٢٣٩) القاموس المحيط ٢٢٢/٤ ، مادة : (خ و ن) .

(٢٤٠) الأدب النبوي ٢٣ .

(٢٤١) سورة الأنفال : الآية (٢٧) .

(٢٤٢) سورة الأنفال : من الآية (٢٨) .

(٢٤٣) أنظر : التفسير الكبير ١٥٢/١٥ .

وقوله تعالى : ﴿ إنّا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً * واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً * ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب مَنْ كان خواناً أثيماً ﴾[٢٤٤] .

وأكثر المفسرين على ان هذه الآيات نزلت في رجل يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر ، سرق درعاً من جاره قتاده بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتشر من خرق فيه ، فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي ، فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها ، وما له علم بها ، فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي ، فأخذوها فقال : دفعها إلي طعمة ، وشهدوا له ناس من اليهود على ذلك ، فقالت بنو ظفر : انطلقوا بنا الى رسول الله ﷺ ، فسألوه أن يجادل ليدفع فضيحة البهتان عن طعمة ، ولم يظهر له عليه الصلاة والسلام ما يوجب القدح في شهادة بني ظفر ، إذ الشاهد والمشهود له من المسلمين ظاهراً ، ولم يحكم النبي ﷺ ، بل انتظر الوحي فنزلت هذه الآيات بتكذيب طعمة ومَنْ شهد له وتبرئة اليهودي من ذلك الجرم[٢٤٥] .

ثم ان طعمة هرب الى مكة وارتد وثقب حائطاً هناك لأجل السرقة ، فسقط الحائط عليه ومات[٢٤٦] .

وقد وردت لفظة الخيانة في القرآن الكريم على خمسة وجوه :

الوجه الأول : في الدين ، وهو في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا أماناتكم ﴾[٢٤٧] .

الوجه الثاني : في المال والنعمة ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تكن للخائنين خصيماً ﴾[٢٤٨] . كما تقدم في سبب نزولها .

الوجه الثالث : في الشرع والسُنَّة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل ﴾[٢٤٩] .

أي : إن تركوا الأمانة في السنة فقد تركوها في الفريضة .

---

(٢٤٤) سورة النساء : الآيات (١٠٥ ـ ١٠٧) .

(٢٤٥) أنظر : روح البيان ٢٧٩/٢ ؛ وتفسير ابن كثير ٤٧٣/١ ؛ والتفسير الكبير ٣٣/١١ .

(٢٤٦) أنظر : المصدر نفسه .

(٢٤٧) سورة الانفال : من الآية (٢٧) .

(٢٤٨) سورة النساء : من الآية (١٠٥) .

(٢٤٩) سورة الانفال : من الآية (٧١) .

الوجه الرابع : الخيانة بمعنى الزنا ، كما في قوله تعالى : ﴿ وان الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾[٢٥٠] .

أي : في حفظ العرض من الزنا .

الوجه الخامس : بمعنى نقض العهد والبيعة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة ﴾[٢٥١] .

أي : نقض العهد[٢٥٢] .

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (أربع مَنْ كُن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومَنْ كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا أؤتمن خان ، وإذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خصم فجر)[٢٥٣] .

قال أبو عيسى الترمذي : [إنما هذا عند أهل العلم نفاق العمل ، وإنما كان نفاق التكذيب على عهد رسول الله ﷺ ، هكذا روي عن الحسن البصري شيء من هذا ، انه قال : (النفاق نفاقان : نفاق العمل ، ونفاق التكذيب)][٢٥٤] .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم ، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلًا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة ، فيأخذ من عمله ما شاء ، فما ظنكم)[٢٥٥] .

وعن عياض بن حمار المجاشعي ، ان رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : (وأهل النار خمسة ، الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلًا ولا مالًا ، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك) ، وذكر البخل أو الكذب (والشنظير

---

(٢٥٠) سورة يوسف :من الآية (٥٢) .

(٢٥١) سورة الأنفال : من الآية (٥٨) .

(٢٥٢) أنظر : بصائر ذوي التمييز ١٥٢/٢ .

(٢٥٣) صحيح البخاري : كتاب الإيمان ـ باب أكبر المنافقين ٣٠/٨ .
وصحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب خصال المنافق ٧٨/١ ، رقم الحديث [١٠٦-(٥٨)] .

(٢٥٤) سنن الترمذي ـ باب ما جاء في علامة المنافق ٢١/٥ .

(٢٥٥) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ـ باب حرمة نساء المجاهدين ١٥٠٨/٣ ، رقم الحديث (١٨٩٧) .

والفحاش)[٢٥٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : (اللهم اني أعوذ بك من الجوع وبئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فبئست البطانة)[٢٥٧] .

والباعث على الخيانة هو تعاظم الهوى والشهوة في حب الدنيا من الأموال والأملاك والشهوات على اختلاف أنواعها ، ولا أمان للخائن أينما حلَّ ، وإذا ما ازداد الخائن جرأةً مع غياب ما يخافه أو يهابه أو يستحي منه ، تعاظمت خيانته فأصبحت غدراً ، وسأوضحه في ثنايا هذا المبحث ، ومَنْ أراد معالجة الخيانة رجع بحال الخائن الى أصل الخيانة من حب الدنيا فيعالجه بناءاً على ما تقدم في المباحث السابقة الى أن يصل الى البذرات الأولى ، فيدله على أكل الحلال ويحذره من مغبة اللقمة الحرام وعلى الصوم لتطهير بدنه وتدارك ما فاته قبل التوبة .

---

(٢٥٦) صحيح مسلم : كتاب الجنة ٢١٩٧/٤ ـ ٢١٩٨ ، رقم الحديث (٢٨٦٥) .
والشنظير :السيء الخلق . أنظر : هامش الصفحة نفسها .

(٢٥٧) سنن النسائي : كتاب الاستعاذة ـ باب الاستعاذة من الخيانة ٢٦٣/٨ .

المطلب الثاني

فضيلة الأمانة

الأمانة في اللغة : [ضد الخيانة][٢٥٨] .

وهي مصدر أمنه يأمنه أمانة : أي وثق به واطمأن اليه ، والأمين : الثقة المؤتمن[٢٥٩] .

ولها في القرآن الكريم معانٍ ، ففي سورة الأحزاب قوله تعالى : ﴿ إنّ عرضنا الأمانة ﴾[٢٦٠] ، أي التكاليف الشرعية .

وبمعنى العفة والصيانة في قوله تعالى : ﴿ إن خير مَنْ استأجرت القوي الأمين ﴾[٢٦١][٢٦٢] .

واصطلاحاً : [هي ما وقع في يد شخص من غير قصد بإذنه أو لا مع مطالبته بحفظه][٢٦٣] .

قال تعالى : ﴿ إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولًا ﴾[٢٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ﴾[٢٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ فليؤد الذي أؤتمن أمانته ﴾[٢٦٦] .

---

(٢٥٨) القاموس المحيط ١٩٩/٤ ، مادة : (أ م ن) .

(٢٥٩) أنظر : موسوعة أخلاق القرآن ١٥/٢ .

(٢٦٠) سورة الأحزاب : من الآية (٧٢) .

(٢٦١) سورة القصص : من الآية (٢٦) .

(٢٦٢) أنظر : بصائر ذوي التمييز ١٥٢/٢ .

(٢٦٣) أنظر : التعريفات ١٧٠ .

(٢٦٤) سورة الأحزاب : الآية (٧٢) .

(٢٦٥) سورة النساء : من الآية (٥٨) .

(٢٦٦) سورة البقرة : من الآية (٢٨٣) .

ومدح المؤمنين بقوله تعالى : ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾[٢٦٧] .

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في حديث طويل قال : حدَّثنا رسول الله ﷺ عن رفع الأمانة ، فقال : (ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها أثر المجل كجمر دحرجته على رِجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء ، ثم أخذ حصاة فدحرجها على رِجله فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال : ان في بني فلانٍ رجلًا أميناً حتى يقال للرجل : ما أجلده ما أظفره ما أعقله ، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان) ، ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت ، لئن كان مسلماً ليردنه عليَّ دينه ، وإن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه عليَّ ساعيه ، وأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً[٢٦٨] .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال : (إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة)[٢٦٩] .

وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما في حديث طويل عن النبي ﷺ ومنه : (وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبي الصراط يميناً وشمالًا)[٢٧٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (لا يدخل الجنة مَنْ لا يأمن جاره بوائقه)[٢٧١] .

ومعاملة الإنسان إما ان تكون مع ربه أو مع سائر العباد أو مع نفسه ، فعلى هذا تنقسم الأمانة الى ثلاثة أقسام ، هي :
أمانة الإنسان مع ربه ومع الخلق ومع نفسه .

---

(٢٦٧) سورة المؤمنون : الآية (٨) ؛ وسورة المعارج : الآية (٣٢) .

(٢٦٨) صحيح البخاري : كتاب الفتن ـ إذا بقي في حثالة من الناس ٩/٦٦ .
وصحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب رفع الأمانة ١/١٢٦ ـ ١٢٧ ، رقم الحديث (١٤٣) .

(٢٦٩) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة ـ باب المجلس أمانة ٤/٣٠١ ، رقم الحديث (١٩٥٥) . وقال : حديث حسن .

(٢٧٠) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة ١/١٨٧ ، رقم الحديث (١٩٥) .

(٢٧١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان ـ باب إثم مَنْ لا يأمن جاره بوائقه ٨/١٢ .
وصحيح مسلم :كتاب الإيمان ـ باب تحريم إيذاء الجار ١/٦٨ ، رقم الحديث (٤٦) .

١ ـ أمانة العبد مع ربه :

وهي فعل المأمورات وترك المنهيات ، وهذا باب واسع ، فأمانة اللسان ان لا يستعمله في الكذب والغيبة والنميمة والكفر والفحش وغيرها ، وأمانة العين ان لا يستعملها في النظر الى الحرام ، وأمانة السمع أن لا يستعمله في سماع الملاهي والمناهي ، وهكذا في جميع الأعضاء .

٢ ـ أمانة الإنسان في معاملته مع الخلق :

ويدخل فيها رد الودائع ، وترك التطفيف في الكيل والميزان ، ويدخل فيه ان لا يفشي على الناس عيوبهم ، ويدخل فيه عدل الأمراء مع رعيتهم وعدل العلماء مع العوام بأن لا يحملوهم على التعصبات الباطلة ، بل يرشدوهم في الاعتقاد والعمل الى ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، ويدخل فيه أمانة الزوجة للزوج في حفظ العرض والنسل .

٣ ـ أمانة الإنسان مع نفسه :

أن يختار لنفسه الأنفع والأصلح لدنياه وآخرته ، ولا يقدم بسبب الشهوة والغضب على ما يضره في آخرته(٢٧٢) .

ثم ان الأمانة على ثلاث مراتب ، فمَنْ صحت وتمت أمانته في الأولى ارتفع الى الثانية فلا تحصل الثانية إلا باستيفاء الأولى حقها ، وهكذا الحال في الثلاثة ، وهي كما يأتي :

المرتبة الأولى :

اداء التكاليف الشرعية وتدخل فيها الأمانة بأقسامها الثلاث مع التزام امتثال الأمر واجتناب النواهي والتزام الطاعة بحسن الاداء .

المرتبة الثانية :

أمانة الحب والعشق لله تعالى ، وهي ثمرة الأمانة الأولى ونتيجتها ، وبها فضّل الإنسان على الملائكة لكمال المحبة فيه في الظلمة والنور .

---

(٢٧٢) أنظر : التفسير الكبير للرازي ١٠/١٣٨ ـ ١٣٩ .

المرتبة الثالثة :

أمانة الفيض الإلهي الوارد بلا واسطة ، وإنما يحصل هذا الفيض بالخروج من الحجب المشار اليها في قوله تعالى : ﴿ إنه كان ظلومى جهولًا ﴾[٢٧٣][٢٧٤] .

---

(٢٧٣) سورة الأحزاب : من الآية (٧٢) .

(٢٧٤) أنظر : تفسير روح البيان ٢٤٩/٧ ـ ٢٥٠ .

المطلب الثالث

الـــــغـــــــــــدر

الغدر في اللغة : [ترك الوفاء][275] .

وفي الاصطلاح : نقض عهد إيذاءاً من امرىء حين أمنه ، وقد بيَّن القرآن الكريم ان الغدر صفة الشيطان فمن غدر فقد تمثل به ، قال تعالى : ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما كفر قال اني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾[276] .

والغدر صفة المنافقين في قوله تعالى : ﴿ ألَمْ تَرَ الى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أُخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قُوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون ﴾[277] .

وهذه الآية وما بعدها تحكي غدر اليهود ومؤاخاة المنافقين لهم ، وفي سورة الأنفال يحدثنا القرآن الكريم عن نقضهم للعهود ، قال تعالى : ﴿ الذي عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ﴾[278] .

وفي السُـنَّة المطهرة عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة)[279] .

هذه رواية البخاري ، وفي رواية مسلم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء ، فقيل : هذه غدرة فلان ابن فلان)[280] .

---

(٢٧٥) مختار الصحاح ٤٦٩ .
والقاموس المحيط ١٠٣/٢ ، مادة : (غ د ر) .

(٢٧٦) سورة الحشر : الآية (١٦) .

(٢٧٧) سورة الحشر : الآية (١١) .

(٢٧٨) سورة الأنفال : الآية (٥٦) .

(٢٧٩) صحيح البخاري : كتاب الفتن ـ باب إذ قال عن قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه ٧٢/٩ .

(٢٨٠) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ـ باب تحريم الغدر ١٣٥٩/٣ ، رقم الحديث (١٧٣٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل : (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً ثم أكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره)(٢٨١) .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أقر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومَنْ معه من المسلمين خيراً ثم قال :(اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا مَنْ كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً)(٢٨٢) .

وفي حديث أبي سفيان الطويل حين سأله هرقل عن رسول الله ﷺ ، قال هرقل : فهل قاتلتموه ؟ قال أبو سفيان : نعم ، قال : فكيف قتالكم إياه ؟ قال : قلت : تكون الحرب بيننا وبينه سجالًا يصيب منا ونصيب منه ، قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ... الى ان قال هرقل : وسألتك هل يغدر ؟ فزعمت انه لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر(٢٨٣) .

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : أربع مَنْ كُن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومَنْ كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدَّث كذب ، وإذا ائتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر)(٢٨٤) .

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (مَنْ خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومَنْ مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)(٢٨٥) .

والغدر أخ للكذب والظلم ، فانه كذب في القول والفعل مع نقض عهد لمَنْ أمن له(٢٨٦) .

---

(٢٨١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري : كتاب الإجارة ـ باب إثم مَنْ منع أجر الأجير ٢/ ٤٤٧ .

(٢٨٢) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ـ باب تأمير الإمام الأمراء ٣/ ١٣٥٦ ـ ١٣٥٧ ، رقم الحديث (١٧٣١) .

(٢٨٣) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ـ باب كتاب النبي ﷺ الى هرقل ٣/ ١٣٩٤ ـ ١٣٩٥ ، رقم الحديث (١٧٧٣) .

(٢٨٤) صحيح البخاري : كتاب المظالم ـ باب إذا خاصم فجر ٣/ ١٦٣ .

(٢٨٥) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ـ باب تحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة ٣/ ١٤٧٨ ، رقم الحديث [٥٨ ـ (١٨٥١)] .

(٢٨٦) أنظر : الذريعة الى مكارم الشريعة ١٠٨ .

قال ملك لصاحب ملك آخر : أطلعني على سرّ صاحبك ، قال : ألي تقول هذا ؟! وما ذاق أحد كأساً أمرّ من الغدر ، والله لو حول ثواب الوفاء اليه لما كان فيه عوض منه ، ولكن سماجة اسمه ويشاعة ذكره ناهياني عنه[٢٨٧] .

---

(٢٨٧) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ٣/ ٣٧٠ .

المطلب الرابع

فضيلة الوفاء

الوفاء في اللغة : [ضد الغدر][٢٨٨] .

وفي الاصطلاح : هو ملازمة طريق المواساة والمحافظة على العهد[٢٨٩] .

والوفاء أخو العدل ، لأنه صدق بالقول والفعل والعهد ، والناس مضطرون الى التعاون ، ولا يتم تعاونهم إلا بمراعاة العهود ، وإلا اضطربت المعايش[٢٩٠] .

قال تعالى : ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولًا ﴾[٢٩١] .

وقال تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾[٢٩٢] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أُوفوا بالعقود ﴾[٢٩٣] .

ومدح المؤمنين بقوله تعالى : ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾[٢٩٤] .

ويقوله تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مَنْ قضى نحبه ومنهم مَنْ ينتظر وما بدلوا تبديلًا ﴾[٢٩٥] .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بذراريهم ونعمهم ، ومع رسول الله ﷺ يومئذ عشرة آلاف ومعه الطلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقي وحده فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما شيئاً ، التفت عن يمينه فقال : (يا معشر الأنصار) ، فقالوا : لبيك يا رسول الله نحن معك أبشر ، ثم

---

(٢٨٨) القاموس المحيط ٤/٤٠٣ ، مادة : (و ف ي) .

ومختار الصحاح ٧٣٠ .

(٢٨٩) أنظر : التعريفات ١٧١ .

(٢٩٠) أنظر : الذريعة الى مكارم الشريعة ١٠٨ .

(٢٩١) سورة الإسراء : من الآية (٣٤)

(٢٩٢) سورة النحل : من الآية (٩١) .

(٢٩٣) سورة المائدة : من الآية (١) .

(٢٩٤) سورة البقرة : من الآية (١٧٧) .

(٢٩٥) سورة الأحزاب : الآية (٢٣) .

التفت عن يساره فقال : (يا معشر الأنصار) ، فقالوا : لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء ، فنزل فقال : (أنا عبدالله ورسوله فانهزم المشركون وأصاب غنائم كثيرة فقسمها بين المهاجرين والطلقاء ولم يعط الأنصار منها شيئاً ، فقالوا : إذا كانت الشدة فنحن ندعى ، وتعطى الغنائم غيرنا ، فبلغه ذلك فجمعهم وقال : (يا معشر الأنصار أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون بمحمد ـ ﷺ ـ تحوزونه الى بيوتكم ؟) ، قالوا : بلى يا رسول لله رضينا ، فقال رسول الله ﷺ : (لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار)[٢٩٦] .

وهذا الانقياد من الأنصار لعهد قطعوه لرسول الله ﷺ على النصرة ، فنعم ما وفوا به .

وأعطى رسول الله ﷺ أعرابياً نصيبه وقال : قسمته لك ، فقال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على ان أرمى ها هنا ـ وأشار الى حلقه ـ فأموت وأدخل الجنة ، ثم أتي بالرجل قد أصابه سهم حيث أشار وكفن في جبة النبي ﷺ فصلى عليه[٢٩٧] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين ، لئن أشهدني الله مع النبي ـ ﷺ ـ قتال المشركين ليرين ما أصنع ، فلما كان يوم أُحُدانكشف المسلمون ، فقال : اللهم اني أعتذر اليك من صنع هؤلاء ـ يعني الصحابة ـ وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني لأجد ريحها من دون أحد ، قال سعد : فما استمعت يا رسول الله ما صنع ثم تقدم ، قال أنس : فوجدنا به بضعاً وثمانين ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بسهم ، ووجدناه وقد مثل به المشركون ، فما عرفه إلا أخته بشامة أو ببنانه ، قال أنس : كنا نرى ان هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مَنْ قضى نحبه ومنهم مَنْ ينتظر وما بدلوا تبديلًا ﴾[٢٩٨][٢٩٩] .

---

(٢٩٦) صحيح البخاري بشرح السندي : باب مناقب الأنصار ٢/ ٣٠٩ ، ط دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦م .

(٢٩٧) سنن الترمذي : باب الصلاة على الشهداء ٣/ ٦٠ .

(٢٩٨) سورةالأحزاب : الآية (٢٣) .

(٢٩٩) صحيح البخاري : كتاب الغزوات ـ باب غزوة أُحُد ٥/ ١٢٣ .

أما الوفاء في المعاملة بالشروط ، فقد قال رسول الله ﷺ : (المسلمون عند شروطهم)[٣٠٠] .

وليت شعري ان للوفاء أثراً بين الخلق على أية ملة كان صاحبه وفي أي عصر ، فمن ذلك ما اشتهر من المثل عند العرب في الجاهلية : [أوفى من السموءل بن عاديا] ، حيث استودعه امرؤ القيس دروعاً حين أراد الخروج الى قيصر الروم ، ولما مات امرؤ القيس طلبه منه ملك من ملوك الشام وهو الحارث بن المنذر ، فأبى السموأل فغزاه من أجلها ، فتحرز السموءل منه فأخذ الملك ابناً له خارج الحصن وصاح قائلًا : يا سموءل هذا ابنك في يدي ، وقد علمت ان امرؤ القيس ابن عمي وأنا أحق بميراثه ، فادفع إلي الدروع وإلا ذبحت ابنك ، فقال السموءل : أجلني ، فأجله يوماً فشاور أهله ، فأشاروا اليه بدفع الدروع ويستنقذ ابنه ، فلما أصبح أبى أن يدفع الدروع وقال : اصنع ما أنت صانع فذبح ابنه أمامه فانصرف الملك ،، ووافى السموءل موسم بالدروع الى ورثة امرىء القيس ، فليس غريباً لمَنْ كان فيه كل هذا الوفاء ان يطير صيته في الآفاق ويتحدث الناس بوفائه[٣٠١] .

والوفاء على ثلاث مراتب :

الأولى : الوفاء بعهد الله رغبة في الوعد ورهبة من الوعيد .

الثانية : وفاء عبودية الوقوف مع الأمر لنفس الأمر وقوفاً عند الحد ، ووفاء بما أخذ على العبد من عهد لا رغبة ولا رهبة ولا غرضاً .

الثالثة : عبودية السر والتبرؤ من الحول والقوة ، وللمحب صون قلبه عن الاتساع لغير المحبوب ومن لوازم الوفاء بعهد العبودية أن ترى كل نقص يبدو منك راجعاً اليك ولا ترى كمالًا بغير مولاك[٣٠٢] .

---

(٣٠٠) صحيح البخاري بشرح السندي ٢١/٣ .

(٣٠١) أنظر : هداية المرشدين ٣٢٦ .

(٣٠٢) أنظر : اصطلاحات الصوفية : تأليف عبدالرزاق الكاشاني، تحقيق : عبداللطيف محمد العبد ، ص ٢٧ ، ط دار الاتحاد العربي ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

المبحث الخامس

فضيلة الزهد

الزهد في اللغة : [ضد الرغبة][303] .

وفي الاصطلاح ، تفاوتت التعريفات قليلًا حسب ذوق قائله ومقامه وحاله وما زهد فيه ، وأقل الزهد هو العزوف عن الدنيا طلباً للآخرة ، ففي التعريفات : الزهد [بغض الدنيا والإعراض عنها ، وقيل : هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة ، وقيل : هو أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك][304] .

وقال يحيى بن معاذ الرازي : الزهد ثلاثة أحرف ، فالزاي ترك الزينة ، والهاء ترك الهوى ، والدال ترك الدنيا[305] .

وقال الشيخ زروق : [الزهد في الشيء برودته عن القلب حتى لا يعتبر في وجوده ولا في عدمه ، فمن ثم قال أبو الحسن الشاذلي : والله لقد عظمتها إذ زهدت فيها][306] .

وسائر التعريفات جاءت قريبة من هذه ، وسنقف على ما فيها عند بيان مراتب الزهد .

قال تعالى : ﴿ قُل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمَنْ اتقى ﴾[307] .

وقال تعالى : (مَنْ كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب ﴾[308] .

---

(٣٠٣) مختار الصحاح ٢٧٦ .

والقاموس المحيط ١/٣٠٩ ، مادة : (ز هـ د) .

(٣٠٤) التعريفات ٨٧ .

(٣٠٥) أنظر : تاريخ التصوف في الإسلام ٣٨٣ .

(٣٠٦) قواعد التصوف ٦٠ .

(٣٠٧) سورة النساء :من الآية (٧٧) .

(٣٠٨) سورة الشورى : الآية (٢٠) .

ولا بد للعلم بخسة الدنيا وكرامة الآخرة ليحصل الزهد ، قال تعالى : ﴿ قال الذي يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتيَ قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمَنْ آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾(٣٠٩)(٣١٠) .

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : (ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض)(٣١١) .

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال : (قد أفلح مَنْ أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه)(٣١٢) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، ويهلك آخرها بالبخل والأمل)(٣١٣) .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال ، بيت يسكنه ، وثوب يواري عورته ، وجلف الخبز والماء)(٣١٤) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (ان الدنيا حلوة خضرة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)(٣١٥) .

إن مَنْ أعرض عن الدنيا فهو زاهد ، كما ان المواظب على العبادات هو العابد ، والمنصرف بفكره الى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحق في سره هو العارف ، وقد يتركب بعض هذه مع بعض ، فالزهد عند غير العارف معاملة ما كأنه يشتري

---

(٣٠٩) سورة القصص : الآيتان (٧٩ ، ٨٠) .

(٣١٠) أنظر : الذريعة الى مكارم الشريعة ١٣٢ .

(٣١١) صحيح البخاري : كتاب الأطعمة ٧/٨٧ .

(٣١٢) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ـ باب الكفاف والقناعة ٢/٧٣٠ ، رقم الحديث [١٢٥ ـ (١٠٥٤)] .

(٣١٣) الزهد : الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، ص ١١ ، ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

(٣١٤) سنن الترمذي : كتاب الزهد ـ باب ما جاء في الزهادة في الدنيا ٤/٤٩٤ ، رقم الحديث (٢٣٤١) . وقال : حديث حسن صحيح .

(٣١٥) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة ـ باب الرقاق ٤/٢٠٩٨ ، رقم الحديث [٩٩ ـ (٢٧٤٢)] .

بمتاع الدنيا متاع الآخرة ، والعبادة عند غير العارف معاملة ما كأنه يعمل في الدنيا لأجرة يأخذها في الآخرة ، وعند العارف رياضة لهممه وقواه النفسية ولطائفه الربانية ليجرها بالتعويد عن جهة الغرور الى جناب الحق[٣١٦] .

والزهد إنما يكون بخروج الدنيا من القلب الى اليد ، ولا يتم خروجها من القلب ابتداءاً حتى تخلو اليد منها ، وفقد الدنيا أصلًا أو العجز عن الكسب إذا تسببت في زهد المرء فذلك زهد ينقصه من الرجولة الشيء الكثير ، فان مَنْ لا كسب له والناس يتصدقون عليه مع زوال العذر عن ذلك ملتحق بصنف النساء أقرب منه الى الرجولة ، لذا فانك تجد الأكابر قد مارسوا الحرف للفوز بلذة خطاب الله تعالى : ﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾[٣١٧] ، وقوله : ﴿ مَنْ ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾[٣١٨] .

وقد وصفهم رب العز بالرجولة ، حيث قال : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾[٣١٩][٣٢٠] .

والزاهد يثاب مرتين ، مرة بتركه الدنيا مع ميل نفسه اليها ، ومرة باخراج ما في يده من قسم الله تعالى عليه وتناولها شاكراً أنعم الله وهباته ، فالذي له ثوب واحد فقير لوجود فقره لا زاهد[٣٢١] .

عن مقدام بن معد يكرب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما ملأ آدمي وعاءاً شر من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإذا كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)[٣٢٢] .

وعندما نتكلم في الزهد فاننا نعني ترك الحلال من الدنيا ، وأما الحرام فتركه واجب ، وأما الشبهة فتركها ورع[٣٢٣] .

---

(٣١٦) أنظر : لباب الإشارات : فخرالدين محمد الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ، ط السعادة ، مصر ، ١٣٥٥هـ .

(٣١٧) سورة المزمل : من الآية (٢٠) .

(٣١٨) سورة البقرة : من الآية (٢٤٥) .

(٣١٩) سورة النور : من الآية (٣٧) .

(٣٢٠) أنظر : رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم : عمر بن سعيد الغوتي الطوري الكروي ٤٢/١ ، مطبوع بهامش جواهر المعاني ، الناشر : كلية الكليات الأزهرية ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .

(٣٢١) أنظر : فتوح الغيب ١١٨ . وقوت القلوب ٢٨/٢ .

(٣٢٢) سنن الترمذي : كتاب الزهد ـ باب ما جاء في كراهة كثرة الأكل ٥١٠/٤ ، رقم الحديث (٢٣٨٠) ، وقال : حسن صحيح .

(٣٢٣) أنظر : اللمع ٧٢ . والترغيب والترهيب ١٥٦/٤ .

قيل لأهل البصرة : مَنْ سيدكم ؟ قالوا : الحسن البصري ، فقيل : فيمَ سادكم ؟ فقالوا : احتجنا لعلمه ، واستغنى عن دنيانا[٣٢٤] .

وتعظم بواعث الزهد فتلبس كل زاهد واحد حلة تدل على معنى في زهده ، فاننا لو نظرنا الى زهد الحسن البصري ، لأبصرنا زهداً فيه خوف خالطه التفكر والحزن ، ولو نظرنا الى زهد رابعة العدوية لرأينا زهداً ألبسه الحب حلة ديباج مع إزار الحزن شوقاً الى اللقاء[٣٢٥] .

وأما بشر الحافي ، فقد جاءه رجل وهو يتكلم في الرضا والتسليم ، وقال له : يا أبا نصر : انقبضت عن أخذ البر من الخلق لإقامة الجاه ، فإن كنت متحققاً بالزهد منصرفاً عن الدنيا فخذ من أيديهم ليمتحى جاهك عندهم ، وأخرج ما يعطونك الى الفقراء ، وكن بعقد التوكل تأخذ قوتك من الغيب ، فاشتد ذلك على أصحاب بشر ، فقال بشر : اسمع أيها الرجل الجواب : الفقراء ثلاثة ، فقير لا يسأل ، وإن أعطي لا يأخذ ، فذاك من الروحانيين ، إذا سأل الله أعطاه ، وإن أقسم على الله أبر قسمه ، وفقير لا يسأل وإن أعطي قبل ، فذاك من أوسط القوم ، عقده التوكل والسكون الى الله تعالى ، وهو ممن توضع له الموائد ، في حظرة القدس ، وفقير اعتقد الصبر ومدافعة الوقت ، فإن طرقته الحاجة خرج الى عبيد الله وقلبه الى الله بالسؤال فكفارة مسألته صدقة في السؤال ، فقال الرجل : رضيت رضي الله عنك[٣٢٦] .

وابتداء الزهد في حسن النظر والتأمل في قدر طاعة الله ومنزلتها ، والنظر الى خسة الدنيا وضعتها وعجز الخلق وضعفهم وجهلهم ، فلا يلتفت الى ذلك بقلبه فيزهد

---

(٣٢٤) الترغيب والترهيب ١٥٦/٤ .

(٣٢٥) أنظر : ابن الفارض والحب الإلهي :محمد مصطفى حلمي ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ، مصر ، ١٩٧١م .

والحياة الروحية في الإسلام : د. محمد مصطفى حلمي ، ص ٨٨ - ٩٨ ، ط مطابع الهيئة المصرية ، ١٩٨٤ م .

والطبقات الكبرى ٢٩/١ ، ٦٥ .

(٣٢٦) أنظر : طبقات الصوفية : أبو عبدالرحمن السلمي ، تحقيق : نورالدين شريبة ، ص ٤٧ ، ط ٣ ، مطبعة المدني ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

والطبقات الكبرى ٧٣/١ .

وخصائص الحياة الروحية في مدرسة بغداد : محمد جلال شرف ، ص ١٩٥ ، ط رويال ، ١٩٧٦م، الاسكندرية ، مصر .

في الدنيا التي لا تعدل شيئاً ، فان الباعث على الزهد علم ونور يشرق في القلب وينشرح له الصدر فيدرك ان الآخرة خير وأبقى ، ثم يزهد في الثناء والمدح والتعظيم الذي لا فائدة تحته(٣٢٧) .

قال ابن عطاء الله : [وان رغبتك البدايات زهدتك النهايات] ، أي ان رغبتك بحصول الفوائد البدايات فان نهاياتها نوائب تزهدك فيها ، [وإن دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن] ، لأن ظاهرها غرة تغتر بصورته ، وباطنها عبرة تعتبر بحقيقته ، وإنما جعلها محلًا للأغيار ومعدناً لوجود الأكدار تزهيداً لك فيها ، قال أحد الزهاد : تركت الدنيا لكثرة عنائها ، وقلة غنائها ، وخسة شركائها ، وسرعة فنائها .

وللزهد ثلاث مراتب :

الأولى : مجاهدة النفس المائلة الى الدنيا حذراً من المعاتبة وأنفة من المنقصة ، وكراهة مشاركة الفساق فيها وهو المتزهد .

الثانية : نفور النفس من الدنيا لتيقنه بأن ما أخذته الدنيا نقص من آخرته وما أخذته الآخرة نقص من الدنيا ، فيؤثر الآخرة على الدنيا وتسمح نفسه بذلك ، فيشتغل بعمارة وقته وحزم جأشه ويتأسى بالأنبياء والمرسلين والأولياء العارفين من عباد الله الصالحين .

الثالثة : ان يستوي عنده إقبال الدنيا وإدبارها ، فهي عنده إن أقبلت أو أدبرت سواء بسواء ، انصرفت منقلبه تماماً وصارت في يده تخدمه أنّى شاء .

قال الشبلي : [الزهد نوع من الغفلة لأن الدنيا عدم ، والزهد في اللاشي غفلة] ، فهي أحقر من ان يزهد فيها وهذا هو أكمل أحوال الزهد(٣٢٨) .

---

(٣٢٧) أنظر : سراج الطالبين ٢/٤٤٤ .
وحي على الفلاح [فضائل الأخلاق] : نزار عبدالغفار عبدالمجيد ، ص ٧١ ، ط ٢ ، إعدادية صناعة ١ حزيران ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

(٣٢٨) أنظر : التمكين ٦٤ . ومدارج السالكين ٢/٥ - ٨ . واللمع ٧٢ - ٧٣ . ومختصر منهاج القاصدين ٣٤٠ . وتاريخ التصوف في الإسلام ٣٨٢ .
وبداية الهداية وتهذيب النفوس بالآداب الشرعية : الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) . تحقيق : د. محمد سعود المعيني . ص ١٠٠ . ط مطبعة العاني - بغداد .



الباب الثالث

الفضائل

ويتضمن خمسة فصول وخاتمة

الفصل الأول : التوبة

الفصل الثاني : الصبر والرضا والتوكل

الفصل الثالث : الاخلاص

الفصل الرابع : المحبة

الفصل الخامس : الجهاد في سبيل الله تعالى

الفصل الأول

التـــوبـــة

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول : تعريف التوبة

المبحث الثاني : وجوب التوبة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أقسام التوبة

المطلب الثاني : صحة التوبة

المبحث الثالث : أركان وشروط التوبة

المبحث الرابع : الكبيرة والصغيرة

المبحث الخامس : التوبة بين المقامات والأحوال

المبحث السادس : مكفرات الذنوب

المبحث الأول

تعريف التوبة

التوبة لغة : [الرجوع من الذنب][1] .

وقد وردت في القرآن الكريم بثلاثة معان :

الأول : بمعنى التجاوز والعفو ، ويتعدى بـ (على) .

كقوله تعالى : ﴿ فتاب عليكم ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ أو يتوب عليهم ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ ويتوب الله على مَنْ يشاء ﴾[4] .

والثاني : بمعنى الرجوع والإنابة ، ويتعدى بـ (الى) .

كقوله تعالى : ﴿ تبت إليك ﴾[5] .

وقوله تعالى : ﴿ توبوا الى الله ﴾[6] .

وقوله تعالى : ﴿ فتوبوا الى بارئكم ﴾[7] .

الثالث : بمعنى الندم على الزلة ، وهذا لا يتعدى بـ (الى) ولا بـ (على) .

كقوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا ﴾[8] .

وقوله تعالى : ﴿ فإن تبتم فهو خير لكم ﴾[9][10] .

وفي الاصطلاح وردت تعريفات كثيرة للتوبة ، اخترت منها ما يأتي :

قال الجنيد البغدادي : [التوبة : نسيان ذنبك وإخراج حلاوة ذلك الفعل من

---

(١) مختار الصحاح ٨٠ ، مادة : (ت و ب)

(٢) سورة البقرة : من الاية (٥٤) .

(٣) سورة الأحزاب : من الآية (٢٤) .

(٤) سورة التوبة : من الآية (١٥) .

(٥) سورة الأحقاف :من الآية (١٥) .

(٦) سورة التحريم : من الآية (٨) .

(٧) سورة البقرة : من الآية (٥٤) .

(٨) سورة التحريم : من الآية (٨٠) .

(٩) سورة التوبة : من الآية (٣) .

(١٠) أنظر : بصائر ذوي التمييز ٢/٣٠٨ .

قلبك خروجاً لا يبقى له أثر في السلوك][11] .

وقال أبو القاسم القشيري : [التوبة : الرجوع عما كان مذموماً في الشرع الى ما هو محمود فيه][12] .

وله أيضاً :[هي ندم مخصوص يحصل على شروط][13] .

وقال سعدالدين التفتازاني : [التوبة : الندم على المعصية لكونها معصية][14] .

وقال إمام الحرمين : التوبة : [هي الندم على المعصية لأجل ما يجب الندم له][15] .

وحقيقة التوبة هي الندم على المعصية[16] .

والندم : تحزن وتوجع لما فعل وتمن لكونه لم يفعل[17] .

والندم على فعل معصية لإضرارها بالبدن أو إخلالها بالعرض والمال والسمعة ليس بتوبة[18] .

وأما الندم في الدنيا لخوف نار الآخرة أو للطمع في الجنة ، ففي كونه توبة تردد ، مبناه على ان ذلك هل هو ندم على المعصية لكونها معصية لله تعالى وقبحها أم لا ؟ وكذا الندم عليها لقبحها مع غرض آخر ، وحاصل ذلك ان جهة القبح إن كانت بحيث لو انفردت لتحقق الندم فتوبة ، وإلا فلا كما إذا كان الغرض مجموع الأمرين لا كل واحد منهما ، وكذا التوبة عند مرض مخوف بناءاً على ان ذلك الندم هل يكون

---

(١١) رسالة دستور الولاية ٦٨/١ .

(١٢) الرسالة القشيرية ٧٧ .

(١٣) أربع رسائل في التصوف : [كتاب مختصر في التوبة] : أبو القاسم القشيري ، تحقيق : د. قاسم السامرائي ، ص ٢٢ ، ط مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

(١٤) تقريب المرام شرح تهذيب الكلام : عبدالقادر السندجي الكردستاني ٢٧٥/٢ ، ط المطبعة الاميرية ، بولاق ، مصر ، ١٣١٨هـ .

(١٥) كتاب الإرشاد الى قواطع الأدلة في الاعتقاد : إمام الحرمين الجويني (٤١٩هـ - ٤٨٧هـ) ، تحقيق : د. محمد يوسف موسى ، وعلي عبدالمنعم عبدالحميد ، ص ٤٠١ ، ط السعادة ، مصر ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .

(١٦) أنظر : المصدر السابق ٤٠١ .

(١٧) أنظر : اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر : عبدالوهاب الشعراني ١٠٤/٢ ، ط المطبعة الميمنية ، مصر ، ١٣٠٦هـ .

(١٨) أنظر : تقريب شرح تهذيب الكلام ٢٧٥/٢ .

لقبح المعصية أم ندم للخوف فتكون بمنزلة إيمان اليأس ، والظاهر قبولها[١٩] .

فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر)[٢٠] .

فذلك يدل على قبول التوبة ما لم تظهر علامات الموت ويتحقق أمره عادة ، وقيد الندم في الدنيا لأن الندم في الآخرة ليس بتوبة قطعاً ، فلا يكون مقبولًا[٢١] .

يقول الإمام الغزالي : [التوبة عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة أمور : مرتبة علم وحال وفعل ، فالعلم الأول والحال الثاني والفعل الثالث ، والأول موجب للثاني والثاني موجب للثالث إيجاباً اقتضاء إطراد سُنَّة الله في الملك والملكوت .

أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب ، فإذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ، ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب ، فان القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم ، فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه ندماً ، فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى وانبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصداً الى فعل له تعلق بالحال بالماضي والاستقبال ، أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابساً ، وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى آخر العمر ، وأما بالماضي فبتلاقي ما فات بالجبر والقضاء إن كان قابلًا للجبر][٢٢] .

وهكذا بيَّن الإمام حد التوبة تفصيلًا بمعرفة الضرر علماً والندم حالًا والعزم فعلًا ، وحقيقة ذلك كله إنما ينبعث من حال الندم ، فإن لم يكن الأسف والألم لم يتسن للعبد التوبة بعد .

لذلك فان التعريفات اختلفت حسب ما رآه المعرف ، فمَنْ عرف بالتلافي لما فات فقد عرف بالثمرة ، ومَنْ عرف بالندم فقد أصاب عين التوبة .

---

(١٩) أنظر : تقريب شرح تهذيب الكلام ٢/٢٧٥ .

وروح المعاني ١٥٨/٢٨ ، رقم الحديث (٣٥٣٧) ، حيث حسن غريب .

(٢٠) سنن الترمذي : كتاب الدعوات ـ باب فضل التوبة ٥١١/٥ ، (حديث حسن صحيح) .

(٢١) أنظر : روح المعاني ١٥٨/٢٨ .

وحاشية المحاكمات على تقريب المرام :محمد وسيم الكردستاني ٢٧٦/٢ ، مطبوع بهامش تقريب المرام ، ط المطبعة الكبرى الاميرية ، بولاق ، مصر ، ١٣١٨هـ .

(٢٢) إحياء علوم الدين ٤/٤ .

المبحث الثاني

وجـــوب الـتـــوبــــة

التوبة واجبة على الفور ، فإن معرفة المعاصي مهلكات مما علم من الدين بالضرورة ، والإيمان بذلك واجب على الفور[23] .

وهي واجبة شرعاً بالكتاب والسُـنَّة وإجماع الأمة ولم يدل على ذلك عقل خلافاً للمعتزلة .

أما في القرآن الكريم ، فقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً ﴾[24] .

وقوله تعالى : ﴿ وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾[25] .

وجه الدلالة : ان الفعل (توبوا) فعل أمر ، والأمر يقتضي الوجوب ، ولا قرينة تصرفه عن الوجوب فثبت وجوبه ، والأعمار بيد الله ، فلا بد للمسلم أن يبادر الى التوبة قبل أن يأخذه الموت على حين غرة .

وأما السُـنَّة ، فعن الأغر بن بشار المزدي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يا أيها الناس توبوا الى الله فإني أتوب في اليوم اليه مائة مرة)[26] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)[27] .

---

(٢٣) أنظر : إحياء علوم الدين ٨/٤ .

(٢٤) سورة التحريم : من الآية (٨) .

(٢٥) سورة النور : من الآية (٣١) .

(٢٦) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ٢٠٧٥/٤ ـ ٢٠٧٦ ، رقم الحديث [٤٢ (٢٧٠٢)] .

(٢٧) صحيح مسلم : كتاب التوبة ـ باب قبول التوبة من الذنوب ٢١١٣/٤ ، رقم الحديث [٣١ (٢٧٥٩)] .

وحكى أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة عمن أنكر وجوب التوبة على المعاصي ولم يسم أحداً فقال : وأنكرها قوم[٢٨] .

والتوبة فرض عين على كل مكلف لا يتصور الاستغناء عنها ، لأنه لا يخلو أحد عن معصية الجوارح ، وإن خلا فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب ، وإن خلا فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله ، فإن خلا عنها فلا يخلو عن غفلة وتقصير في العلم بالله عز وجل بصفاته وأفعاله[٢٩] .

ولا يلزم تجديد الندم كلما ذكر الذنب لأنه قد أتى بما كلف به وخرج عن عهدته خلافاً للقاضي الباقلاني من أهل السنة وأبي علي من المعتزلة فانهما زعما انه لو لم يندم كلما ذكر ذنبه لكان مشتهياً له وفرحاً به ، وذلك إبطال للندم ، وأجيبوا : بالمنع إذ ربما يضرب عن الذنب صفحاً من غير رجوع اليه واشتهاء له وابتهاجاً به[٣٠] .

---

(٢٨) أنظر : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري (٣٢٠هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ٢/ ١٧٠ ، ط ٢ النهضة المصرية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

(٢٩) أنظر : الغنية ٢/ ٥٤ .

(٣٠) أنظر : تقريب المرام ٢٨٠ . والإرشاد ٤٠٧ - ٤٠٨ .

المطلب الأول

أقســـام الـتـــويــــــة

تنقسم التوبة حسب الاعتبارات الى انقسامات مختلفة ، فمن ذلك تقسيم باعتبار الحقوق الى :

١ — ما يتعلق بحق الله تعالى محضاً : وتصح التوبة فيه دون مراعاة غيره إذ لا حق فيه إلا لله تعالى وتسمى باطنة .

٢ — ما يتعلق بحقوق الآدميين ، وتسمى أيضاً توبة حكيمة ، وتنقسم الى :

آ — ما لا يصح دون الخروج عن حق العباد ، وذلك كاغتصاب شيء من مال الغير ، فلا يصح الندم عليه مع إدامة شد اليد عليه .

ب — ما يصح دونه ، وهو ما يتصور فيه حقيقة الندم مع دوام وجوب حق للعباد ، ونظير ذلك القتل الموجب للقود فيصح الندم عليه من غير تسليم القاتل نفسه ليستقاد منه ، فإذا ندم صحت توبته في حق الله تعالى ، وكان منعه من القصاص من مستحقه معصية متجددة لا تقدح في التوبة ، بل تستدعي في نفسها خروجاً عنها وتوبة منها[31] .

ثم ان التوبة لها قسمة أخرى باعتبار النظر الرادع عن المعصية وما يورثه ذلك النظر ، الى ما يلي :

١ — النظر في الوعد والوعيد ، وذلك يبعث على الخوف من سوء العاقبة فيورثه خشية تحمله على التوبة .

٢ — النظر في أمر الله تعالى ونهيه فيبعثه ذلك على النظر فيما هو فيه من المعصية فيورثه ذلك الاعتراف فيقر بذنبه وينيب الى الله تعالى ويتوب منه .

٣ — النظر في تصاريف القدر ، فرُبَّ معصية صرفه الله عنها وأخرى ردعه فما

---

(٣١) أنظر : الإرشاد لإمام الحرمين ٤٠٤ ـ ٤٠٥ ، والمغني ١٠/١٩٣ .

ارتدع وأخرى خلى بينه وبينها وقدرت عليه ، ولو شاء الله لعصمه ، فيحدث له ذلك أنواعاً من المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وحكمته ورحمته ومغفرته وعفوه وحلمه وكرمه ، وتوجب هذه المعرفة عبودية بهذه الأسماء .

٤ — النظر فيمَنْ نزغ له وأمره بالمعصية وهو شيطانه الموكل فإذا نظر في قبح ما أوقعه فيه فيفيده ذلك اتخاذه عدواً ، والاحتراز منه والتيقظ والتحفظ لما يريد ان يوقعه فيه وهو لا يشعر ، فيورثه ذلك خوف الوقوع في المعصية وملازمة الأدب في خدمة مولاه[٣٢] .

---

(٣٢) أنظر : بصائر ذوي التمييز ٢/٢٠٦ ـ٢٠٧ .

المطلب الثاني

صحـــــة الـتـــوبـــــة

إن جمهور علماء الأمة اتفقوا على ان مَنْ احتقب أوزاراً وقارف ذنوباً ، صحت توبته عن بعضها مع ملابسته لغيرها[٣٣] .

إن التوبة تتبعض كالمعصية وتتفاضل في كميتها كما تتفاضل في كيفيتها ، فكل ذنب له توبة تخصه ، ولا تتوقف التوبة من ذنب على التوبة من بقية الذنوب كما يصح إيمان الكافر أو إسلامه مع شربه للخمر مثلًا[٣٤] ، لأن ذلك ذنب برأسه يحتاج الى توبة جديدة .

وخالف في ذلك أبو هاشم ومَنْ تبعه ، فذهبوا الى ان التوبة لا تصح دون الانكفاف عن جميع الذنوب ، وزعموا ان التوبة تجب عن كل ذنب لقبحه ، وذلك يعم كل ذنب ، فلا يصح ندم على قبيح مع الإصرار على قبيح .

وأجيبوا : بأن الطاعة تثبت لحسنها فينبغي أن لا تصح طاعة مع ترك طاعة ، وليس الأمر كذلك عند أحد ولا عندهم ، وكذلك القبيح فينبغي أن لا يتصور ترك قبيح مع مقارفة قبيح ، فبطل ما قالوا من كل وجه[٣٥] .

قال ابن قيم الجوزية بعد ان نقل روايتين للإمام أحمد في هذا الشأن : [ان التوبة لا تصح من ذنب مع الإصرار على آخر من نوعه ، كما إذا تاب من ربا الفضل ولم يتب من ربا النسيئة وأصر على أو بالعكس ، وأما التوبة من ذنب مع مباشرة آخر لا تعلق له به ولا هو من نوعه ، فتصح][٣٦] .

وأمثلة ذلك كثيرة :

وقال الأستاذ أبو اسحق : [تصح من ذلك أيضاً والأصحاب يأبون هذا لأن شرط

---

(٣٣) أنظر : الإرشاد للجويني ٤٠٨ ـ ٤٠٩ ؛ واليواقيت والجواهر ٢/١٠٤ .

(٣٤) أنظر : الموسوعة الفقهية ١٤/١٢٣ ، ط ٢ طباعة ذات السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

ومدارج السالكين ١/١٥١ .

(٣٥) أنظر الإرشاد للجويني ٤٠٧ .

(٣٦) مدارج السالكين ١/١٥٢ .

الصحة ان لا يعود لمثله وذلك محال مع الإصرار][37] .

وإذا تاب من ذنب توبة صحيحة بشرائطها ثم عاود الذنب ، لم تبطل توبته السابقة ، بل ذلك ذنب يوجب توبة أخرى ، هذا ما عليه جمهور العلماء .

ونقل عن القاضي الباقلاني انها لا تصح بعد عودته الى الذنب الذي تاب منه[38] .

وقال إمام الحرمين (الجويني) : [مَنْ تاب وصحت توبته ثم عاود الذنب فالتوبة الماضية صحيحة ، فان التوبة عبادة من العبادات يقضى بصحتها وفسادها ، فإذا سبقت على شرائطها لم يقدح في صحتها ما يقع بعد مضيها ويجب عليه تجديد توبة عبادة أخرى غير التي ذكرناها][39] .

وكما تجب التوبة من الكبائر فوراً ، تجب من الصغائر كذلك ، وقالت المعتزلة انها تقع مغفورة باجتناب الكبائر بنص القرآن الكريم ، وكون اجتناب الكبائر يكفرها لا يمنع الإجماع على وجوب التوبة منها ، لأن التكفير لا يزيد على الستر فيرجى محو أثرها وقد يقع وقد لا يقع ، إذ لا يجب على الله شيء فوجبت التوبة منها لمحو أثر المخالفة[40] .

---

(٣٧) أنظر : الزواجر ٢/٢٤٦ .

(٣٨) أنظر : اليواقيت والجواهر ٢/١٠٤ .

(٣٩) الإرشاد للجويني ٤٠٨ .

(٤٠) أنظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/٢٤٣ .

المبحث الثالث

أركان التوبة وشروطها

قد يجد المطلع على ما صنف في التوبة ان البعض يقول أركان التوبة وذاتها يسميها الآخر شروطاً ، وفي الحقيقة ليس ذلك خلافاً ، فمَنْ أراد بالتوبة معناها اللغوي وهو الرجوع ، جعلها شروطاً ، ومَنْ أراد بها معناها الشرعي جعلها أركاناً[٤١] .

وأجمل ما انحصر منها فيما يأتي :

١ — الندم على المعصية من حيث كونها معصية ، ويعتد بهذا الندم إذا كان على ما فاته من رعاية حقوق الله . فلو ندم لحظٍ دنيوي ، كعارٍ أو ضياع مال أو تعب بدن ، لم يعتبر[٤٢] ، كما قدمنا .

ولا يلزم استدامة الندم ـ كما تقدم ـ في جمع الأزمنة ، بل يكفي استصحاب الندم حكماً بأن لا يصدر عنه ما ينافيه ، لأن الشارع أقام الأمر الثابت حكماً مقام ما هو حاصل بالفعل كما في الإيمان ، فان الندم مؤمن بالاتفاق ، وأيضاً لما في التكليف بتذكر الندم في جميع الأزمنة من الحرج المنفي في الدين[٤٣] .

ولو أسلف ذنباً ونسيه فتوبته من ذنوبه على الجملة وعزمه على أن لا يعود الى ذنبٍ ما ، يكون توبة مما نسي ، وما دام ناسياً فمرفوع عنه الإثم لنص الحديث : (رفع الله عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[٤٤] ، لكنه مطالب بالتوبة عن الزلة كمَنْ عليه دين لأحد ونسيه أو أعسر فهو غير مطالب به الآن للنسيان أو

---

(٤١) أنظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/٢٤٥ .

(٤٢) أنظر : اليواقيت والجواهر ٢/١٠٤ .

روح المعاني ٢٨/١٥٨ . وتقريب المرام ٢/٢٧٥ .

(٤٣) أنظر : اليواقيت والجواهر ٢/١٠٤ .

(٤٤) قال العجلوني : ان الحاكم ذكره في الصحيح على شرط الشيخين ١/٤٣٣ ، رقم الحديث (١٣٩٣) . كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر على ألسنة الناس ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٥١هـ . (صحيح على شرط الشيخين) .

الإعسار ، ولكن يلقى الله فيطالبه به[٤٥] .

٢ — العزم على أن لا يعود في المستقبل الى ما جنى أو الى مثله ، وهذا إنما يصح ممن يتمكن من العود ، أما المجبوب ومقطوع اللسان إذا أراد العزم على ترك الزنا أو القنف مثلًا ، فعزمهما على أن لا يعودا اليه أو الى مثله إن عادت اليهما القدرة ، وبذلك علم ان توبة العاجز صحيحة ولم يخالف فيها إلا ابن الجبائي ، وقال : لأنه ملجأ الى الترك .

وأجيب بما تقرر ، وإنما يعزم على الترك إن عادت اليه آلته[٤٦] .

واعترض على هذا الشرط بأنه قد لا يخطر بالبال أصلًا فعل المعصية ثانية ولا تركها لذهول أو لعروض آفة فلا يتصور العزم على الترك .

وأجيب : بأن المراد العزم على الترك على تقدير الخطور والاقتدار لأن النادم على المعصية لقبحها لا يخلو عن ذلك العزم[٤٧] .

٣ — الاقلاع عن الذنب إن كان متلبساً أو مصراً على المعاودة اليه ، وهو المنقول عن أصحاب الشافعي .

واعترض بأن الجمهور لم يتعرضوا لهذا الشرط .

وأجيب : بأن مَنْ نظر الى المتلبس أو المصر اشترط ذلك ، ومَنْ أهمله نظر الى غيرهما[٤٨] .

ويعين على الاقلاع عن الذنب بعد العزم على عدم معاودته مجانبة القول به وبأي حديث يتصل به ، والتباعد عن الاجتماع بالأسباب الموصلة اليه ، وعدم السعي في مثله ، ويكف سمعه وبصره عنه وعن مثله ، وقطع أصل الهم من القلب والفكر بالنظر في تقصيره في خدمة مولاه وابتعاده عن طريق الاستقامة[٤٩] .

٤ — الاستغفار لفظاً[٥٠] .

---

(٤٥) أنظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/ ٢٤٥ .

(٤٦) أنظر : المصدر نفسه ٢/٢٤٧ .

(٤٧) أنظر : تقريب المرام ٢/٢٧٦ - ٢٧٧ .
وروح المعاني ٢٨/١٥٨ .

(٤٨) أنظر : الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢/٢٤٧ .

(٤٩) أنظر : قوت القلوب ١/١٩١ .

(٥٠) أنظر : الزواجر ٢/٢٤٧ . والمغني ١٠/١٩٣ .

لقوله تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فأستغفروا لذنوبهم ومَنْ يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾[٥١] .

وإذا أحس الإنسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار أتى به وإن احتاج الى استغفار آخر ، لأن اللسان إذا ألف ذكراً يوشك أن يألفه القلب فيوافقه فيه[٥٢] .

٥ — وقوع التوبة في وقتها وهو قبل الغرغرة على ما مضى على الحديث[٥٣] ، فانه يدل على قبول التوبة ما لم تظهر علامات الموت ويتحقق أمره عادة[٥٤] .

٦ — أن لا يكون عن اضطرار ، كظهور الآيات وليس له من توبته عندئذٍ إلا اليأس ، كطلوع الشمس من مغربها أو ما يشبه ذلك[٥٥] .

٧ — واشترط القاضي أبو بكر الباقلاني أن لا يعود الى الذنب ، حيث قال : لو نقض التائب توبته ، جاز أن تعود عليه ذنوبه ، وتظهر فائدة ذلك في الفاسق إذا تاب وعقد به النكاح ثم عاد الى الفسق ، فعلى قول القاضي يتبيَّن الفسق حال العقد[٥٦] .

٨ — أن يمكن من إقامة حد ثبت عليه عند الحكم فتتوقف التوبة منه على التمكين من استيفائه لا على استيفائه كحد القنف مثلًا ، فيتدارك بتمكين مستحقه من المقنوف أومن وارثه فيستوفيه أو يبرىء منه ، فإن مكَّن من نفسه ولم يحده الإمام أو نائبه أثماً دونه[٥٧] .

والذي جرى عليه الآمدي وصاحب المواقف والمقاصد ان التمكين واجب برأسه ، فمَنْ قتل أو ضرب فعليه أمران : التوبة ، والخروج من المظلمة وهو تسليم نفسه ليقتص منه ، ومَنْ أتى بأحد الواجبين لم تكن صحة ما أتى به متوقفة على

---

(٥١) سورة آل عمران : الآية (١٣٥) .

(٥٢) أنظر : اليواقيت والجواهر ١٠٤/٢ .

(٥٣) أنظر : الزواجر ٢٤٧/٢ .

(٥٤) أنظر : حاشية المحاكمات على تقريب المرام ٢٧٦/٢ . وروح المعاني ١٥٨/٢٨ .

(٥٥) أنظر : الزواجر ٢٤٧/٢ .

(٥٦) أنظر : الزواجر ٢٤٨/٢ .

(٥٧) أنظر : المصدر نفسه . وروح المعاني ١٥٨/٢٨ ـ ١٥٩ . والمغني ١٩٣/١٠ .

الإتيان بالواجب الآخر[58].

٩ — التدارك، كتسليم ما وجب في ترك الزكاة ومثله في ترك الصلاة والصيام، فينبغي لتمام توبته قضاء ما فاته فإن لم يستطع تعيين مقدار ما فاته تحرى وقضى، وفي الزكاة والكفارة والنذر عند الإمكان تتوقف صحة توبته على إيصاله الى مستحقه[59].

كذا رد المغصوب كما صرح به إمام الحرمين ونقله عنه السعد في شرح المقاصد[60].

---

(٥٨) أنظر: اليواقيت والجواهر ٢/١٠٤ . وشرح المقاصد ٢/١٨٠ .
وشرح المواقف: عبدالرحمن بن أحمد الإيجي القاضي السيالكوتي ٢/٤٥١، مطبعة الاسطنبول، دار الطباعة العامرة.

(٥٩) أنظر: الزواجر ٢/٢٤٩ . وروح المعاني ٢٨/١٥٩ .

(٦٠) أنظر: الإرشاد لإمام الحرمين ٤٠٥ . وشرح المقاصد ٢/١٨٠ .

المبحث الرابع

الكبيرة والصغيرة

الكبيرة في اللغة : [هي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً][61] .
وأما في الاصطلاح : فالخلاف مطرد في حدها ، وكذا فيما يبنى عليه .
قال تعالى : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم ﴾[62] .
وقال تعالى في معرض المدح : ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾[63] .
وقال تعالى : ﴿ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة ﴾[64] .

فالآيات ذكرت الكبيرة ، والاختلاف في معنى الكبيرة عند علماء الأمة من عهد الصحابة لم يقف عند حدٍّ يبت فيه الخلاف ولعلني أمام العظماء الذي سأورد أقوالهم لا أحصى بشيء من قريب ولا من بعيد ، ولكنني سأغرف بدلوي مع فيض بحورهم علّني ألتحق بركبهم في مرضاة الله وطاعته وهو ولي التوفيق وأعلم بالصواب .

القول الأول :

معنى الكبيرة في قوله تعالى : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم ﴾ .

وهو الكفر وجاءت بصيغة الجمع لأن الكفر أنواع كثيرة ، منها الكفر بالله وبأنبيائه وباليوم الآخر ، والذي حسن هذا قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمَنْ يشاء ﴾[65] .

---

(٦١) القاموس المحيط ١٢٩/٢ ، هامش مادة : (ك ب ر) .
(٦٢) سورة النساء : من الآية (٣١) .
(٦٣) سورة الشورى : من الآية (٣٧) .
(٦٤) سورة النجم : من الآية (٣٢) .
(٦٥) سورة النساء : من الآية (٤٨) .

والسيئات التي يغفرها الله تعالى في هذه الآية هي ما دون الشرك ، والقائل بهذا القاضي أبو بكر الباقلاني في تمهيده ، ورجحه الرازي في تفسيره[٦٦] .

وأقول : إن الآية عمت الكفر وغيره من الكبائر ، فلا تخصص به دون قرينة تدل عليه ، ولو كان المراد منها الكفر أو الشرك لنطقت به صراحة ، إذ ليس هناك ثمة مانع ، ثم ان هناك كبائر منصوص عليها وليست بشرك ولا كفر ذكرتها الأحاديث الصحيحة .

القول الثاني :

إن جميع الذنوب كبائر ، ولا يوجد ذنب صغير ، هذا بالنظر الى عظمة مَنْ يعصى بهذا الذنب لا الى الذنب ، وممن قال بذلك الأستاذ أبو اسحق الاسفراييني والقاضي أبو بكر الباقلاني وإمام الحرمين ، وحكاه ابن فورك[٦٧] .

وأجيب : بأنه لو كانت كل الذنوب كبائر لم تصح قسمة فيها أصلًا ، وقد نصَّت عليه الآية ، وإن كانت كلها كبائر ، فما الذي يكفر باجتنابها ، هذا من وجه ، ومن وجه آخر نصَّت أحاديث المصطفى ﷺ على كبائر بعينها ، كالشرك واليمين الغموس وعقوق الوالدين ، وسأورد هذه الأحاديث إن شاء الله ، وذلك يدل على ان من الذنوب ما ليس بكبائر[٦٨] .

القول الثالث :

إن الكبائر تتميز عن الصغائر في ذاتها ويتفرع فيه القول الى خمسة فروع :

آ ـ كل ما جاء في القرآن الكريم أو السُنَّة المطهرة مقروناً بذكر الوعيد فهو كبيرة[٦٩] .

وأجيب : بأن كل ذنب لا بد وان يكون متعلق الذم في العاجل والعقاب في الآجل

---

(٦٦) أنظر : كتاب التمهيد : الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، نشر : د. يوسف مكارثي اليسوعي ، ص ٣٥٤ ، ط المكتبة الشرقية ، بيروت ١٩٥٧ .
والتفسير الكبير للرازي : ١٠/ ٧٩ .

(٦٧) أنظر) الزواجر ١/ ٤ . والإرشاد ٣٩١ . والتفسير الكبير للرازي ١٠/ ٧٤ .

(٦٨) أنظر : التفسير الكبير ١٠/ ٧٤ .

(٦٩) أنظر : التعريفات ١٢٣ . والزواجر ١/ ٤ . ومقالات الإسلاميين ١/ ٣٣٢ . والتفسير الكبير ١٠/ ٧٤ .

والقول بهذا يقتضي ان يكون كل الذنوب كبائر وقد أبطلناه[٧٠] .

ب ـ ان ما ورد في سورة النساء من المنهيات الى قوله تعالى : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ﴾ الآية ، فهو كبيرة .

وأجيب عنه : أن الله تعالى ذكر كثيراً من الكبائر في سائر السور ولا معنى لتخصيصها بهذه السورة[٧١] .

ج ـ كل فعل معصية عمداً فهو كبيرة[٧٢] .

وأجيب : بأن ما يقع سهواً يعد إثماً أصلًا عن الكبائر والصغائر ، وهذا يحملنا الى القول بأن كل الذنوب كبائر وقد أبطلناه[٧٣] .

د ـ كل معصية أوجبت الحد فهي كبيرة .

وأجيب : بأن من الكبائر المنصوص عليها ما ليس فيه حد ، كأكل الربا وأكل مال اليتيم[٧٤] .

هـ ـ انها كل محرم لعينه منهي عنه لمعنى في نفسه فان فعله على وجه يجمع فيه محرمات أكثر من واحدة كان كبيرة ، فالزنى كبيرة وبحليلة جاره أعظم فحشاً والصغيرة تعاطي ما تنقص رتبته عن رتبة المنصوص عليه[٧٥] .

وأقول : ان من الذنوب صغائر إذا اجتمعت مع غيرها لم تكن كبيرة ،كالنظر الى الأجنبية وتقبيلها مثلًا ، ولا قائل بذلك .

القول الرابع :

إن الله تعالى لم يميز جملة الصغائر عن جملة الكبائر كي لا يهون فعل الصغيرة على النفوس ، إذ الآية تنبىء عن تكفيرها بأجتناب الكبائر ، وذلك إغراء بالإقدام عليها والإغراء بالقبيح لا يليق بالجملة ، فإذا خفي على المسلم التفريق بين الصغائر والكبائر اجتنبها جميعاً ، لأنه لا يقدم على ذنب إلا وهو يخشى ان يكون كبيرة من الكبائر ، ونظير ذلك في الشريعة اخفاء الصلاة الوسطى في الصلوات وليلة

---

(٧٠) أنظر : التفسير الكبير ١٠/٧٤ ـ ٧٥ .

(٧١) أنظر : المصدر نفسه .

(٧٢) أنظر : المصدر نفسه . ومقالات الإسلاميين ١/٣٣٢ .

(٧٣) أنظر : التفسير الكبير ١٠/٧٤ ـ ٧٥ .

(٧٤) أنظر : الزواجر ١/٥ . وإحياء علوم الدين ٤/٢٣ .

(٧٥) أنظر : الزواجر ١/٦ .

القدر في ليالي رمضان وساعة الإجابة في ساعات الجمعة ووقت الموت لكل شخص(٧٦) .

وأقول : لو كان الأمر كذلك لخفي أمر الكبائر والصغائر ولم يتميز بينهما بنص أبداً ولكن رسول الله ﷺ قال :(ما تعدون الكبائر ؟) ، فقالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال : (الإشراك بالله ، وقتل النفس المحرمة ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكل مال اليتيم ، وقول الزور ، وأكل الربا ، وقذف المحصنات الغافلات)(٧٧) .

وأما كون معرفة الكبائر إغراء بفعل الصغائر فإنّا لا نقول بوجوب شيء على الله تعالى ، بل ذلك فضل ومنّة من لدن عزيز حميد ، والإصرار على الصغيرة كبيرة بالاتفاق .

وأما في العدد المنصوص عليه ، فقد وردت أحاديث في ذلك ، منها :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (اجتنبوا السبع الموبقات) . قيل : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)(٧٨) .

وممن صرح بأن الكبائر سبع علي كرم الله وجهه ، وعطاء ، وعبيد بن عمير(٧٩) .

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن الكبائر : أسبع هي ؟ قال : هي الى السبعين أقرب ، ويروى الى السبعمائة(٨٠) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ في الكبائر قال : (الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وقول الزور)(٨١) .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : (ألا أنبئكم

---

(٧٦) أنظر التفسير الكبير ١٠/٧٦ ـ ٧٧ . والزواجر ١/٦ ـ ٧ . وشرح النووي لمسلم ٢/٨٦ . وإحياء علوم الدين ٤/٢٣ .

(٧٧) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ ٣٨ ـ باب بيان الكبائر وأكبرها ١/٩٢ ، رقم الحديث [١٤٥ (٨٩)] .

(٧٨) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب بيان الكبائر وأكبرها ١/٩٢ ، رقم الحديث (٨٩) .

(٧٩) أنظر : الزواجر ١/٩ .

(٨٠) أنظر : شرح النووي لصحيح مسلم ٢/٨٤ .

(٨١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب بيان الكبائر وأكبرها ١/٩١، رقم الحديث (٨٨).

بأكبر الكبائر ؟[ثلاثاً] : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور [أو : قول الزور] ، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت)[٨٢] .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : ان رسول الله ﷺ قال : (من الكبائر شتم الرجل والديه) ، قالوا : يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : (نعم يسب أبا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه ، فيسب أمه)[٨٣] .

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم : وأما قوله ﷺ : (الكبائر سبع)[٨٤] . فالمراد من الكبائر سبع ، فان هذه الصيغة وإن كانت للعموم فهي مخصوصة بلا شك ، وإنما وقع الاقتصار على هذه السبع ، وفي الرواية الأخرى ثلاث ، وفي الرواية الأخرى أربع لكونها من أفحش الكبائر مع كثرة وقوعها ولا سيما فيما كانت عليه الجاهلية[٨٥] .

وقال أيضاً : وجاء في النميمة وعدم الاستبراء من البول انهما من الكبائر ، وجاء أيضاً : من الكبائر اليمين الغموس ، واستحلال بيت الله الحرام[٨٦] .

وقد نصّ حديث رسول الله ﷺ على ان النميمة وعدم الاستبراء من البول ليسا بكبيرتين ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : مرَّ رسول الله ﷺ على قبرين ، فقال : (أما انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما ، فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر ، فكان لا يستتر من بوله) ، قال : فدعا بعسيب رطب فشقه اثنين ، ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ، ثم قال : (لعله ان يخفف عنهما ما لم ييبسا)[٨٧] .

بعد الذي تقدم يمكننا أن نعرّف الكبيرة في ضوء ما اطلعنا عليه من نصوص واختلاف علماء الأمة فيها ، فأقول :ان الكبيرة :هي ما عظمت مفسدته سواء كان منصوصاً عليه أم لا ، ولا يمكن أن أترك مقدار المفسدة مجهولًا حتى أبينه فتبين به الكبيرة من الصغيرة ، وأقول : ان المفسدة تعد عظيمة إذا ساوت مفسدتها ما نصَّ عليه الشرع من الكبائر أو جاوزته .

---

(٨٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب بيان الكبائر وأكبرها ١/ ٩١، رقم الحديث (٨٧).

(٨٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب بيان الكبائر وأكبرها ١/ ٩٢، رقم الحديث (٩٠).

(٨٤) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب بيان الكبائر وأكبرها ١/ ٩٢ ، رقم الحديث [١٤٦ (٩٠)] .

(٨٥) شرح النووي لصحيح مسلم ٢/ ٨٤ .

(٨٦) شرح النووي لصحيح مسلم ٢/ ٨٤ ، ٨٥ .

(٨٧) صحيح مسلم : كتاب الطهارة ـ باب الدليل على نجاسة البول ١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، رقم الحديث [١١١ (٢٩٢)] .

المبحث الخامس

التوبة بين المقامات والاحوال

قد بينا فيما سبق الكلام على التوبة من المعاصي ، والآن أحث خطاي في طريق السير الى الله تعالى ، وأول قدم فيه مقام التوبة ، وقبل الكلام في ذلك ، لا بد من تعريف المقام والحال حتى نكون على بينة فيما نحن فيه .

فالمقام في اللغة : [موضع القدمين][88] .

وفي الاصطلاح : [ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب ، مما يتوصل اليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف][89] .

والحال في اللغة : الكيف ، ومنه حال الإنسان[90] .

وفي الاصطلاح : [معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم من طرب أو حزن أو بسط أو قبض أو شوق أو هيبة ، فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب ، والأحوال تأتي من عين الجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود ، وصاحب المقام ممكن في مقامه وصاحب الحال مترق عن حاله][91] .

وقد قدمنا ان الندم من أهم شروط أركان التوبة ، وكل تائب لا بد له في أول توبته من عصرة وضغطة في قلبه من همٍّ أو غمٍّ أو حزنٍ ، ولو لم يكن إلا تألمه بفراق محبوبه فينعصر القلب ويضيق الصدر ، ويتفاوت التائبون في ذلك كل حسب ما وهب له من حال .

وأما الفرحة والسرور واللذة الحاصلة عقب التوبة ، فتكون على قدر ما كان له من الألم والندم والحزن ، فكلما كان أقوى وأشد كانت فرحته أكمل وأتم[92] .

فسيكون للتائب حالان في توبته .

---

(٨٨) القاموس المحيط ١٧١/٤ ، مادة : (ق و م) .

(٨٩) الرسالة القشيرية ٥٣ .

(٩٠) أنظر : مختار الصحاح ١٦٣ ، مادة : (ح و ل) .

(٩١) الرسالة القشيرية ٥٤ . والتعريفات ٥٥ .

(٩٢) أنظر : طريق الهجرتين ٢٦٠ .

فالتائب من الذنب إن جعل ذنبه نصب عينيه ، كان حاله الخوف الدائم والحزن اللازم ، فكلما تذكّر ذنبه أخذه هذا الحال لعظمة مَنْ عصاه .

ومَنْ نسي الذنوب اشتغالًا بالأذكار والطاعات واستزادة لأعمال البر ، فذلك طريق المعرفة والمحبة ومقامه التعرف ، ففي أي المقامين أقيم عمل بحكم حالته[93] .

وبقدر ما يجد في صدقه ينال من سعادة الاخلاص ولذة العبودية ما يغيظ عدوه .

فالشيطان لص الإيمان ، واللص إنما يقصد المكان المعمور ، أما المكان الخرابِ الذي لا يجد فيه ما يسرقه فلا حاجة له به ، فإذا قويت المعارضات الشيطانية دلّت دلالة واضحة على ان في القلب من الخير ما يشتد حرص الشيطان على نزعه منه[94] .

ولا ينجو من ذلك إلا مَنْ تنبّه له ، وتبصّر فيْ أمره ، ونظر في خفي أمره وظاهره احترازاً عنه .

وحقائق التوبة تنطوي في التفكير في عظم الجناية ، واتهام النفس فيما دعت اليه من الذنب ، ثم طلب العذر لكل إنسان شجعك على فعلها فأنت المؤاخذ وأنت الملوم[95] .

والتوبة تصحب السالك في طريقه كله أولًا ووسطاً وآخراً ، فلا يفارقها أبداً وإن ارتحل منها الى مقام آخر ارتحل بها وحلَّ فيها ، فهي بداية العبد ونهايته وحاجته اليها في النهاية ضرورية كحاجته اليها في البداية[96] .

فالتوبة على ثلاثة أنواع : توبة من الذنوب والآثام ، وتوبة من الغفلة عن الله ، وأما توبة الذين لا ينظرون الى أعمال طاعاتهم وبرهم إلا بعين النقص والتقصير في حق مولاهم ، فهم أبداً تائبون من تقصيرهم فيها فهي توبة العبادة[97] .

وقد نصَّ القرآن الكريم على ان التوبة طريق الى محبة الله تعالى في قوله

---

(٩٣) أنظر : قوت القلوب ١/١٨٢ .

(٩٤) أنظر : طريق الهجرتين ٢٦١ .

(٩٥) أنظر : التمكين ١٢ .

(٩٦) أنظر : بصائر ذوي التمييز ٢/٣٠٤ .

(٩٧) أنظر : العبادة أحكام وأسرار : د. عبدالحليم محمود ١/٢٤ ، ط دار النصر للطباعة ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ، القاهرة . وموسوعة أخلاق القرآن ٢/٦٠ .

تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾[98][99] .

وأما التوبة إذا ما ذكرت من نبي ، فقد أخذت معنى آخر فهم أبداً في موافقة أمر الله لا يخرجون عنه الى المخالفة أبداً .

قال القاضي الباقلاني في تفسير قوله تعالى على لسان سيدنا موسى ﴿ تبت اليك ﴾[100] : [هو ان موسى عليه السلام كانت ارادته وهمته تعجيل الرؤية له في الدنيا قبل الآخرة ، وكان مراد الله تعالى تأخير الرؤية له الى الآخرة ، وان لا يتقدم على نبينا ﷺ في الرؤية ، فكأنه قال : تبت عن مرادي وهمي الى مرادك][101] ، فرجع من مراده الى مراد ربه .

---

(٩٨) سورة البقرة : من الآية (٢٢٢) .

(٩٩) أنظر : العبادة أحكام وأسرار ١/٢٤ .

(١٠٠) سورة الأعراف : من الآية (١٤٣) .

(١٠١) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به : القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (٤٠٣هـ) ، تحقيق : العلامة محمد زاهد الكوثري ، ص ٥٩ ، ط مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .

المبحث السادس

مكفّرات الذنوب

بعد الكلام في التوبة والعودة عن طريق المخالفة الى طريق الموافقة ، فالحال لمَنْ أراد رضا مولاه وجد في السير الى محبوبه حيث السبيل ميسرة لمَنْ أراد وجه الله تعالى ، لا سيما وان الشرع الشريف قد يسّر للتائب ذلك وجعل له على طريقه من الأعمال المتيسرة لكل أحد ما يكفّر ذنوبه وخطاياه .

قال تعالى : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم ﴾[١٠٢] .

وفي السُنّة النبوية المطهرة من الأحاديث ما أفردت فيه الكتب والرسائل ، اخترت منها ما يأتي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟) ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : (إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا الى المسجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط)[١٠٣] .

وعنه رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أرأيتم لو ان نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء ؟) ، قالوا : لا يبقى من درنه شيء . قال : (فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)[١٠٤] .

وعنه رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال :(الصلوات الخمس والجمعة الى

---

(١٠٢) سورة النساء : من الآية (٣١) .

(١٠٣) صحيح مسلم : كتاب الطهارة ـ باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ٢١٩/١ ، رقم الحديث [٤١ (٢٥١)] .

(١٠٤) صحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب المشي الى الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات ٤٦٢/١ ، رقم الحديث [٢٨٣ (٦٦٧)] .

الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر)[١٠٥] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا)[١٠٦] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا أمن الإمام فأمنوا فانه مَنْ وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)[١٠٧] .

وعنه رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (مَنْ قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)[١٠٨] .

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (مَنْ قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)[١٠٩] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً)[١١٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (مَنْ صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)[١١١] .

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة ، قال : (يكفّر السنة الماضية والباقية)[١١٢] .

---

(١٠٥) صحيح مسلم : كتاب الطهارة ـ باب الصلوات الخمس والجمعة ١/٢٠٩ ، رقم الحديث [١٦ (٢٣٣)] .

(١٠٦) أبو داود : كتاب الأدب ـ باب ١٨٦١ المصافحة (١٥٣) ، رقم الحديث (٥٢١١) .

(١٠٧) صحيح مسلم : كتاب الصلاة ـ باب التسبيح والتحميد والتأمين ١/٣٠٧ ، رقم الحديث [٧٢ (٤١٠)] .

(١٠٨) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح ١/٥٢٣ ، رقم الحديث [١٧٢ (٧٥٨)] .

(١٠٩) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح ١/٥٢٣ ، ٥٢٤ ، رقم الحديث [١٧٥ (٧٦٠)] .

(١١٠) صحيح مسلم : كتاب الصيام ـ باب فضل الصيام في سبيل الله لمَنْ يطيعه ٢/٨٠٨ ، رقم الحديث [١٦٩ (١١٥٢)] .

(١١١) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب الترغيب في قيام رمضان ١/٥٢٣ ، ٥٢٤ ، رقم الحديث [١٧٥ (٧٦٠)] .

(١١٢) صحيح مسلم : كتاب الصيام ـ باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر ١/٥٢١ ، رقم الحديث (١٩٧) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (مَنْ حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)[113] .

وعنه رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (العمرة الى العمرة كفّارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)[114] .

وعنه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : (مَنْ سبّح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبّر ثلاثاً وثلاثين ، وقال تمام المائة : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » ، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر)[115] .

هذه أحاديث من فيض كثير من أحاديث المصطفى ﷺ تبشّر بتكفير الذنوب ختمت بها فصل التوبة بسطاً للرجاء بعدما استولى الندم على غالب الفصل .

---

(١١٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢/٤١٠ . وسنن البيهقي ٥/٦٧ .

(١١٤) صحيح مسلم : كتاب الحج ـ باب فضل الحج والعمرة ٢/٩٨٣ ، رقم الحديث [٤٣٧ (١٣٤٩)] .

(١١٥) صحيح مسلم : كتاب المساجد ـ باب استحباب الذكر بعد الصلاة ١/٤١٨ ، رقم الحديث [١٤٤ (٥٩٦)] .

الفصل الثاني

الصبر والرضا والتوكل

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الاول : الصبر

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الاول : فضيلة الصبر

المطلب الثاني : أقسامه

المطلب الثالث : مراتبه

المبحث الثاني : الرضا

المبحث الثالث : التوكل

المبحث الأول

الصبر

الصبر في اللغة : [حبس النفس عن الجزع][1] .

وفي الاصطلاح : هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا الى الله ، لأن الله تعالى أثنى على أيوب عليه السلام بالصبر بقوله : ﴿ إنا وجدناه صابراً ﴾[2] مع دعائه في دفع الضر عنه .

فعلى هذا فان دعاء العبد في دفع الضر عنه لا يقدح في صبره[3] .

المطلب الأول

فضيلة الصبر

ذكر القرآن الكريم الصبر في أكثر من مائة آية ، وأثنى على أهله وأضاف اليه أكثر الخيرات والدرجات ، وذكر ابن القيم الجوزية في مدارج السالكين ان الصبر مذكور في القرآن الكريم بست عشرة دلالة .

١ ــ الأمر به كما في :

قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالله واصبروا ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾[5] .

---

(١) مختار الصحاح ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ، مادة : (ص ب ر) .

(٢) سورة ص : من الآية (٤٤) .

(٣) أنظر : التعريفات ٨٨ .

(٤) سورة الأعراف : من الآية (١٢٨ .

(٥) سورة البقرة : من الآية (٤٥) .

وقوله تعالى : ﴿ اصبروا وصابروا ﴾[٦] .
وقوله تعالى : ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾[٧] .
وقوله تعالى : ﴿ فاصبر كما صبر أُولوا العزم من الرسل ﴾[٨] .

٢ — النهي عن ضده .

كقوله تعالى : ﴿ ولا تستعجل لهم ﴾[٩] .
وقوله تعالى : ﴿ فلا تولوهم الأدبار ﴾[١٠] ، فانها ترك الصبر والمصابرة .
وقوله تعالى : ﴿ ولا تبطلوا أعمالكم ﴾[١١] ، أي : بترك الصبر عليها .
وقوله تعالى : ﴿ فلا تهنوا ولا تحزنوا ﴾[١٢] ، والوهن من علم الصبر .

٣ — الثناء على أهله .

كقوله تعالى : ﴿ الصابرين والصادقين ﴾[١٣] .
وقوله تعالى : ﴿ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾[١٤] .
وهو كثير في القرآن الكريم .

٤ — الوعد لهم بالمحبة ، كقوله تعالى : ﴿ والله يحب الصابرين ﴾[١٥] .

٥ — الوعد لهم بمعيته تعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿ اصبروا إن الله مع الصابرين ﴾[١٦] .
ولا يخفى ما في هذا الحفظ من التبصر والتأييد .

٦ — ذكر أخيرية الصبر لأهله ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولئن صبرتم لهو خير

---

(٦) سورة آل عمران : من الآية (٢٠٠) .
(٧) سورة النحل : من الآية (١٢٧) .
(٨) سورة الأحقاف : من الآية (٣٥) .
(٩) سورة الأحقاف : من الآية (٣٥) .
(١٠) سورة الأنفال : من الآية (١٥) .
(١١) سورة محمد ﷺ :من الآية (٣٣) .
(١٢) سورة آل عمران : من الآية (٣٩) .
(١٣) سورة آل عمران : من الآية (١٧) .
(١٤) سورة البقرة : من الآية (١٧٧) .
(١٥) سورة آل عمران : من الآية (١٤٦) .
(١٦) سورة البقرة :من الآية (١٥٣) .

للصابرين ﴾[17] .

وقوله تعالى : ﴿ وأن تصبروا خير لكم ﴾[18] .

٧ — الوعد بحسن الجزاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾[19] .

٨ — الوعد بنيل الجزاء من غير حساب ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾[20] .

٩ — تبشير القرآن لهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وبشِّر الصابرين ﴾[21] .

١٠ — ضمان النصرة والمدد لهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴾[22] .

ومنه قوله ﷺ : (واعلم ان النصر مع الصبر)[23] .

١١ — الأخبار بأن أهل الصبر هم أهل العزائم ، كقوله تعالى : ﴿ ولمَنْ صبر وغفر إن ذلك لمَنْ عزم الأمور ﴾[24] .

١٢ — إخبار القرآن الكريم بأن الحظوظ العظيمة لا يحظى بها إلا الصابرون ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾[25] .

وقوله تعالى : ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾[26] .

---

(١٧) سورة النحل : من الآية (١٢٦) .

(١٨) سورة النساء : من الآية (٢٥) .

(١٩) سورة النحل : من الآية (٩٦) .

(٢٠) سورة الزمر : من الآية (١٠) .

(٢١) سورة البقرة : من الآية (١٥٥) .

(٢٢) سورة آل عمران : من الآية (١٢٥) .

(٢٣) سنن الترمذي : كتاب صفة القيامة والرقائق ـ باب (٥٩) ٤/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦ ، رقم الحديث (٢٥١٦) ، وقال حديث صحيح .

والمستدرك على الصحيحين : للإمام النيسابوري ٣/ ٥٤١ .

(٢٤) سورة الشورى : من الآية (٤٣) .

(٢٥) سورة القصص : من الآية (٨٠) .

(٢٦) سورة فصلت : من الآية (٣٥) .

١٣ — إخباره بأن أهل الصبر هم الذين يعتبرون بالآيات والعبر وينتفعون بها ، كقوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور ﴾[٢٧] .

١٤ — تهنئة الملائكة لهم على صبرهم ونيلهم حسن الجزاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾[٢٨] .

١٥ — إعلاء الدرجة ونيل الرفعة بين الخلق حتى يصبح إماماً بينهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يهتدون بأمرنا لما صبروا ﴾[٢٩] .

١٦ — اقتران الصبر بمقامات الإسلام والإيمان ، كاليقين في الآية السابقة والتقوى والتوكل والشكر في الآيات المتقدمة[٣٠] .

وما ذكرته من الآيات للاستدلال لا الحصر فما زال من آيات القرآن الكريم الكثير منها في ذكر الصبر وفضله ونفعه في الآخرة والدنيا ورضا الجليل جل جلاله وما كثرة الآيات الواردة في الصبر إلا دليل واضح على اهتمام الشارع به وعظم قدره وأهميته في هذا الدين العظيم .

أما في السُـنَّة النبوية الشريفة ، فالأحاديث في الصبر أكثر من أن تحصى ، واخترت منها ما يأتي :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ان ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفد ما عنده ، قال : (ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومَنْ يستعفف يعفه الله ، ومَنْ يستغن يغنه الله ، ومَنْ يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد من عطاء خير وأوسع من الصبر)[٣١] .

وعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن إصابته سراء شكر فكان

---

(٢٧) سورة ابراهيم : من الآية (٥) ؛ وسورة لقمان : من الآية (٣١) .

(٢٨) سورة الرعد : من الآية (٢٤) .

(٢٩) سورة السجدة : من الآية (٢٤) .

(٣٠) أنظر : مدارك السالكين ٢/٨٦ - ٨٧ .

(٣١) صحيح البخاري : باب الصبر ٢/١٥١ .
وصحيح مسلم : كتاب الزكاة - باب فضل التعفف والصبر ٢/٧٢٩ ، رقم الحديث [١٢٤ (١٥٠٣)] .

خير له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[٣٢] .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : (الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)[٣٣] .

وعنَ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، انها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها : (انه كان عذاباً يبعثه الله تعالى على مَنْ يشاء فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين ، فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم انه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد)[٣٤] .

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ان الله عز وجل قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة)[٣٥] ، يريد عينيه .

وعن سيدنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : كأني أنظر الى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول : (اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون)[٣٦] .

وعن أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ ، قال :(ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكهاإلا كفَّر الله بها من خطاياه)[٣٧] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ ، فقالت : اني أصرع ، واني أتكشف ، فادع الله تعالى لي ، قال : (إن شئت صبرت ولك

---

(٣٢) صحيح مسلم : كتاب الزهد ـ باب المؤمن أمره كله خير ٢٢٩٥/٤ ، رقم الحديث [٦٤ (٢٩٩٩)] .

(٣٣) صحيح مسلم : كتاب الطهارة ـ باب فضل الوضوء ٢٠٣/١ ، رقم الحديث [١ (٢٢٣)] .

(٣٤) صحيح البخاري : كتاب الطب ـ باب المصابين بالطاعون ١٦٩/٧ ـ ١٧٠ .

(٣٥) كتاب صحيح البخاري : كتاب الطب ـ باب ما جاء في كفارة المضى ١٥١/٧ .

(٣٦) صحيح مسلم : كتاب الجهاد ـ باب غزوة أُحُد ١٤١٧/٣ ، رقم الحديث [١٠٥ (١٧٩٢)] .

(٣٧) صحيح البخاري : كتاب الطب ـ باب ما جاء في كفارة المرضى ١٤٨/٧ (رواية البخاري) .
وصحيح مسلم : كتاب البر ـ باب ثواب المؤمن ١٩٩٢/٤ ، رقم الحديث [٥٠ (٢٥٧٢)] .

الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك ؟) ، فقالت : أصبر ، فقالت : اني أتكشف ، فادع الله أن لا أتكشف ، فدعا لها[٣٨] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : مرَّ النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر ، فقال : (اتقي الله واصبري) ، فقالت : اليك عني ، فانك لم تصب بمصيبتي ، ولم تعرفه ، فقيل لها : انه النبي ﷺ ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم أعرفك ، فقال ﷺ : (إنما الصبر عند الصدمة الأولى)[٣٩] .

بعد الاطلاع على هذه النصوص من الآيات الكريمات وحديث المصطفى ﷺ يتبيَّن لنا مدى أهمية الصبر في ديننا الإسلامي العظيم ، فهو فضيلة لا تخفى مزيتها ، ومَنْ تحلى بها جمع كل الفضائل ، فان الصبر على أذى الخلق حلم ، والصبر عند لقاء العدو شجاعة ، والصبر عن المعصية عفة ، والصبر عن الدنيا زهد ، والصبر عن الشبهة ورع ، والصبر على الطاعة همة ، والصبر عن الخيانة وفاء ، والصبر على الحصار جهاد ، ولو استرسلت في كل الفضائل لوجدت الصبر معدنها ، وكفى بذلك فضيلة .

---

(٣٨) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ـ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض ١٩٩٤/٤ ، رقم الحديث [٥٤ (٢٥٧٦)] .

(٣٩) صحيح البخاري : كتاب الطب ـ باب ما جاء في كفارة المرضى ١٥٠/٧ (والرواية للبخاري) .

وصحيح مسلم : كتاب الجنائز ـ باب في الصبر على المصيبة ٦٣٧/٢ ، رقم الحديث [١٥ (٦٢٦)] .

المطلب الثاني

أقســـــام الـصـــبـــــر

ينقسم الصبر باعتبارات متعددة الى أقسام مختلفة ، فأبدؤها بقسمته في ذاته :

١ — صبر على ما هو كسب للعبد ، وكسب العبد يختلف باختلاف اعتباراته ، فمن حيث الطاعة لأمر الله تعالى واجتناب نواهيه ينقسم الى فرعين :

آ — صبر على ما أمر الله تعالى به من واجب ومندوب ، فان العبودية شاقة على النفس فمن العبادات ما يكره بسبب الكسل ، كالصلاة ، ومنها ما يكره بسبب البخل ، كالزكاة ، ومنها ما يكره بسببهما جميعاً ، كالحج والجهاد ، فالطاعة حاجتها الى الصبر كحاجة الشدائد اليه .

ب — صبر على ما نهى الله عنه من حرام ومكروه ، وتختلف شدة الصبر باختلاف المعاصي ودواعيها ضعفاً وقوة ، وأيسر من خفة المعصية باللسان سرعة الخواطر والوساوس فهي أشد ما يكون في الفراغ والعزلة ولا يمكن الصبر عنها أبداً إلا بأن يغلب على القلب هم آخر في الدين يجعله مستغرقاً فيه .

٢ — الصبر على ما ليس بكسب له ، كالصبر على ما يتصل به من حكم الله تعالى فيما له فيه مشقة من الآلام والأسقام في نفسه وولده وما يتصل به من الرحم(٤٠) .

وأما قسمة الصبر باعتبار غلبة الباعث الشرعي والنفسي ، كالهوى ، فقسمته ثلاثية :

١ — أن يقهر دواعي الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ، وذلك دوام الصبر ، وهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾(٤١) . فهؤلاء قد اطمئنت نفوسهم على قدم الاستقامة .

---

(٤٠) أنظر : شرح الرسالة القشيرية للأنصاري ٣/ ٨٤ ؛ ونتائج الأفكار القدسية ٣/ ٨٤ . وحياة القلوب ٢/ ٢١٩ ؛ وإحياء علوم الدين ٤/ ٧٣ ، ٧٥ .

(٤١) سورة فصلت :من الآية (٣٠) .

٢ — غلبة دواعي الهوى على باعث الدين فيستسلم طبعه لجند الشياطين فتخطفه الأهواء يميناً وشمالًا ، وهؤلاء هم الغافلون .

٣ — ان تكون الحرب سجالًا بين باعث الخير والشر ، فتارة لهذا وتارة لذاك ، وهؤلاء الذين خلطوا عملًا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم(٤٢) .

وقد تجد في هذه اللطيفة قسمة أخرى باعتبار آخر ، وقف رجل على الشبلي ، فقال له : أي الصبر أشد على الصابرين ؟ فقال : الصبر في الله تعالى ، فقال : لا ، فقال : الصبر لله ، قال : لا ، قال : فأي شيء ؟ قال : الصبر عن الله ، فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف ، فالصبر في الله هو الصبر على المحن والبلايا ، والصبر لله هو الصبر على مشقة الطاعة ومحن التكاليف ، والصبر عن الله هو ترك الإقبال على الله وترك التوجه اليه بالطاعات(٤٣) .

---

(٤٢) أنظر : إحياء علوم الدين ٤/ ٧٠ - ٧١ .

(٤٣) حياة القلوب ٢/ ٢١٨ . ومدارج السالكين ٢/ ٨٩ . والرسالة القشيرية ١٤٥ .

المطلب الثالث

مراتب الصبر

تتفاوت مراتب الصبر على حسب ما صبر عليه من الطاعة أو عن المعصية أو على البلاء ، والباعث على الصبر في كل واحد منها ، ولو أوغلنا في تفاصيل كل ذلك لوجدنا لكل ذلك مراتب تتفاوت فيها الهمم ، وقد تفرّق مجموع ذلك على أبواب وفصول ومباحث ما انتظم في سلك هذا البحث ، فاقتصر الآن على ذكر ما يخص هذا المطلب من المراتب فيما يأتي :

الدرجة الأولى :

الصبر عن المعصية بمطالعة الوعد والوعيد فيبعث على الخوف والرجاء ولا يتحقق ذلك إلا بتمام التصديق بالأخبار الصادقة والإيمان بها ، وفائدة ذلك المحافظة على الإيمان ، والحذر عن محارم الله ، وأما الحياء فهو أرفع مرتبة من الخوف فيبعث عليه معرفة الله تعالى وقد تقدم الكلام عليه مفصلًا ، ومَنْ كان وازعه الخوف فقلبه حاضر مع العقوبة ، ومَنْ كان وازعه الحياء ، فقلبه حاضر مع الله ، وكلاهما من مقامات الإيمان ، إلا ان الحياء أجل رتبة لكونه أقرب الى الإحسان وألصق به(٤٤) .

الدرجة الثانية :

الصبر على الطاعة والمحافظة عليها بالعلم بها وفعلها على وجه الاخلاص فيها ، والصبر في هذه الدرجة على ثلاثة أشياء : دوام الطاعة ووقوعها على مقتضى العلم والاخلاص فيها(٤٥) .

الدرجة الثالثة :

الصبر على البلاء ، ويبعث عليه النظر الى حسن الجزاء ، وتهون المصائب في التفكير في غمرة أيادي القسم وكثرة سوالف النِعَم ووفرة سوابغ الكرم وملازمة البلاء

---

(٤٤) أنظر : مدارج السالكين ٢/٩٢ ؛ والتمكين ١١٦ .

(٤٥) أنظر : نفس المصدرين .

للفرج مهما كان البلاء ملازمة ذهنية ، دوام الحياة الدنيا . يروى ان امرأة عابدة عثرت فآنقطع اصبعها فضحكت ! فقال لها مَنْ معها : أتضحكين وقد انقطع اصبعك ؟! فقالت : أخاطبك على قدر عقلك ، حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها[٤٦] .

وفي هذه الدرجة ثلاثة مقامات :

آ — ترك الشكوى ، وهو مقام التائبين .

ب — الرضا بالمقدور ، وهو مقام الزاهدين .

ج — المحبة لما يصنع مولاه ، وهو مقام العارفين[٤٧] .

---

(٤٦) أنظر : حياة القلوب ٢/٢١٩ .

(٤٧) أنظر : المصدر نفسه .

المبحث الثاني

الـــــرضـــــا

الرضا في اللغة : [ضد السخط][48] .

وفي الاصطلاح : [سرور القلب بمُر القضاء][49] .

قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾[50] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية ﴾[51] .

وجاء في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، قوله تعالى : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾[52] .

عن العباس بن عبدالمطلب ، انه سمع رسول الله ﷺ يقول : (ذاق طعم الإيمان مَنْ رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولًا)[53] .

وقال رسول الله ﷺ : (إذا أراد الله بعبدٍ خيراً أرضاه بما قسم له)[54] .

وعن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، قال : (مَنْ قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله رضيت بالله رباً وبمحمد رسولًا

---

(٤٨) القاموس المحيط ٣٣٦/٤ ، مادة : (ر ض ي) .

(٤٩) التعريفات ٥٧ .

(٥٠) سورة النساء : الآية (٦٥) .

(٥١) سورة الفجر : الآيتان (٢٧ ، ٢٨) .

(٥٢) سورة المائدة : من الآية (١٩) ؛ سورة التوبة : من الآية (١٠٠) ؛ سورة المجادلة : من الآية (٢٢) ؛ سورة البينة : من الآية (٨) .

(٥٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ دليل على مَنْ رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولًا فهو مؤمن ٦٢/١ ، رقم الحديث [٥٦ (٣٤)] .

(٥٤) جمع الجوامع : للسيوطي ، رقم الحديث (١١١٧) .

وبالإسلام ديناً ، غفر له ذنبه)[٥٥] .

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : [الرضا ثلاثة أشياء : ترك الاختيار ، وسرور القلب بمُر القضاء ، وإسقاط التدبير من النفس حتى يحكم الله لها أو عليها][٥٦] .

وقال سفيان الثوري عند رابعة : [اللهم ارض عني ، فقالت له : أَما تستحي أن تطلب رضا مَنْ لست عنه براض ؟][٥٧] .

والرضا قسمان : قسم يكون لكل مكلف ، وهو ما لا بد منه في الإيمان ، وحقيقته : قبول ما يرد من قبل الله من غير اعتراض على حكمه وتقديره ، وقسم لا يكون إلا لأهل المقامات ، وحقيقته ابتهاج القلب وسروره بالمقضي[٥٨] .

وعلى كل حال ، فالرضا من العبد بالقضاء يقابله رضوان الله تعالى ، ولو تعلم ان الجنة بما فيها بالنسبة الى رضوان الله ، كالعدم بالنسبة الى الوجود ، كيف والجنة مرغوب الشهوة ، والرضوان صفة الحق[٥٩] .

واختلفوا في الرضا ، هل هو من الأحوال ، أو من المقامات ؟ فقال أهل العراق : هو من الأحوال ، وليس كسباً للعبد ، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال ثم تزول ، وقال أهل خراسان : الرضا من المقامات ، ويتوصل اليه العبد باكتسابه .

والجمع بينهما ممكن بأن يقال بداية : الرضا مكتسبة للعبد وهي من المقامات ونهايته من الأحوال ليست بمكتسبة[٦٠] .

ومراتب الرضا تتدرج في ثلاث مراتب :

---

(٥٥) صحيح مسلم : كتاب الصلاة ـ باب استحباب القول مثل قول المؤذن ١/ ٢٩١ ، رقم الحديث [١٣ (٣٨٦)] .

(٥٦) المقدمة في التصوف وحقيقته : أبو عبدالرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) ، تحقيق : د. حسين أمين ، ص ٣٧ ، ط دار القادسية للطباعة ، بغداد ، العراق ، ١٩٨٤م .

(٥٧) التعرف لمذهب أهل التصوف : أبو بكر محمد الكلاباذي ، تحقيق : محمود أمين النواوي ، ص ١٢٢ ، ط دار الاتحاد العربي للطباعة ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م ، بغداد ، العراق .

(٥٨) أنظر : أبهى القلائد في تلخيص الفوائد : أحمد فائز محمود البرزنجي ، ص ٥٦ ، ط مطبعة ولاية الموصل ـ العراق ، ١٣١٥هـ .

(٥٩) أنظر : التفسير الكبير ١٢/ ١٣٨ .

(٦٠) أنظر : الغنية ٣/ ١٣٥٨ ـ ١٣٥٩ .
وبصائر ذوي التمييز ٣/ ٧٨ ـ ٧٩ .

الأولى : الرضا بالله تعالى رباً ، ولازم هذا الرضا السخط على عباده ما سوى الله تعالى ، ويشترط فيه ان يكون الله تعالى أحب اليه مما سواه ، وأولى بالتعظيم والطاعة .

الثانية : الرضا عن الله ، بإسقاط الجزع حتى يكون القلب مستوياً لله عز وجل فيما يجري عليه من حكم الله فيما أحب أو كره من الشدائد والراحات والمنع والعطاء .

الثالثة : الرضا برضا الله تعالى ، بالغيبة عن رضا نفسه عن ربه برؤية رضا الله تعالى ، فلا يرى لنفسه سخطاً ولا رضاء فيبعثه على ترك التحكم وحسم الاختيار فيما يرضي الله ، فهو موافق لارادة مولاه لا إرادة له سواها ، فضلًا عن استواءالرخاء والشدة عنده ، والمنع والعطاء ، بل قد ينظر متحققاً الى ان المنع هو عين العطاء[٦١] .

---

(٦١) أنظر : اللمع ٨٠ ـ ٨١ . والتمكين ١٢١ ـ ١٢٨ . ومدارج السالكين ٢/ ٩٥ ـ ١٣٥ .

المبحث الثالث

التــــوكـــــل

التوكل في اللغة : إظهار العجز والاعتماد على الغير[٦٢] .

وفي الاصطلاح : [هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس][٦٣] .

قال تعالى : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾[٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾[٦٥] .

وقال تعالى : ﴿ ومَنْ يتوكل على الله فهو حسبه ﴾[٦٦] .

وأمر رسوله الكريم بالتوكل ، فقال : (فتوكل على الله إنك على الحق المبين ﴾[٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا ﴾[٦٨] .

وقال تعالى : ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبّح بحمده ﴾[٦٩] .

وقال تعالى : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾[٧٠] .

وقد ذكر القرآن الكريم ان التوكل صفة الأنبياء والمرسلين في قوله تعالى : ﴿ وما لنا ألا نتوكل على الله ﴾[٧١] .

---

(٦٢) أنظر : مختار الصحاح ٧٣٤ ، مادة : (و ك ل) .

(٦٣) التعريفات ٤٨ .

(٦٤) سورة المائدة : من الآية (٢٣) .

(٦٥) سورة ابراهيم : من الآية (١١) ؛ سورة آل عمران : من الآية (١٢٢) ؛ سورة المائدة : من الآية (١١) ؛ سورة التوبة : من الآية (٥١) ؛ سورة المجادلة : من الآية (١٠) .

(٦٦) سورة الطلاق : من الآية (٣) .

(٦٧) سورة النمل : من الآية (٧٩) .

(٦٨) سورة النساء : من الآية (٨١) .

(٦٩) سورة الفرقان : من الآية (٥٨) .

(٧٠) سورة آل عمران : الآية (١٥٩) .

(٧١) سورة ابراهيم : من الآية (١٢) .

ومدح أصحاب رسول الله ﷺ ، بقوله تعالى :﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونِعْمَ الوكيل ﴾[٧٢] .

وقال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾[٧٣] .

وما ذكرته من الآيات يدل على ما ورد من التوكل في القرآن الكريم وما زال من الآيات الكثير .

وفي السُنَّة المطهرة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : (عرضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي ليس معه أحد ، إذ وقع لي سواد عظيم ، فظننت انهم أمتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه ، ولكن أنظر الى الأفق ، فنظرت ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : أنظر الى الأفق ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك ومعهم سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ، فلم يشركوا بالله ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله ﷺ ، فقال : ما الذي تخوضون فيه ؟ فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : أنت منهم . ثم قال : قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : سبقك بها عكاشة)[٧٤] .

عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً)[٧٥] .

وعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : كان إخوان على عهد النبي ﷺ أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف ، فشكا المحترف أخاه للنبي ﷺ ، فقال : (لعلك به ترزق)[٧٦] .

---

(٧٢) سورة آل عمران : من الآية (١٧٣) .

(٧٣) سورة الأنفال : من الآية (١) .

(٧٤) صحيح البخاري : كتاب الطب - باب مَنْ اكتوى غيره ١٦٣/٧ .

(٧٥) الترمذي : كتاب الزهد - باب (٣٣) في التوكل على الله ٤/٤٩٥ ، رقم الحديث (٢٣٤٤) ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٧٦) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي : ابن العربي المالكي ٢٠٨/٩ . باب الزهد ، وقال الترمذي : حديث صحيح .

وعن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : نظرت الى أقدام المشركين ـ ونحن في الغار وهم على رؤوسنا ـ فقلت : يا رسول الله ، لو ان أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ، فقال : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما)[٧٧] .

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ قال ـ يعني إذا خرج من بيته ـ : بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له : هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان)[٧٨] .

غن أنس بن مالك رضي الله عنه ، ان رجلًا جاء الى النبي ﷺ ، وأراد أن يترك ناقته وقال : أأعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل ؟فقال ﷺ : (اعقلها وتوكل)[٧٩] .

وقال سهل بن عبدالله التستري : [مَنْ طعن بالحركة فقد طعن بالسنة ، ومَنْ طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان] .

وقال أيضاً : [التوكل حال النبي ، والكسب سنته][٨٠] .

ومواضع التوكل ثلاثة : فأما موضع القسمة ، فانه الثقة بالله ، لأنه لا يفوتك ما قسم لك أبداً ، ولا تبديل لحكم الله ، وهذا ثابت في الكتاب والسُنَّة كما تقدم ، والإيمان به واجب ، وكذا الأخذ به في العمل واجب ، وأما موضع النصرة ، فهو موضع الاعتماد والثقة بنصر الله عز وجل إذا نصرته وجاهدت في سبيله ، قال تعالى : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾[٨١] .

وأما شأن الرزق والحاجة ، فان الله تعالى متكفل بما يقيم بنيتك لخدمته وتتمكن من عبادته ، قال تعالى : ﴿ ومَنْ يتوكل على الله فهو حسبه ﴾[٨٢][٨٣] .

ومراتب التوكل ثلاث : التوكل ، والتسليم والتفويض .

---

(٧٧) صحيح البخاري : فضائل الصحابة ٤/٥ ، ٨٣/٦ .
صحيح مسلم : فضائل الصحابة ـ باب فضل أبي بكر رضي الله عنه ٤٣٨/٢ ، رقم الحديث (٢٣٨٨) .

(٧٨) الكلام الطيب : للإمام ابن قيم الجوزية ، ص ٢١ ، رقم الحديث (٥٧) ، ط محمد علي صبيح ، مصر ، خرجه أبو داود النسائي والترمذي (وقال : حديث حسن) .

(٧٩) كشف الخفاء ١٤٤/١ ، رقم الحديث (٤١٨) .

(٨٠) المقدمة في التصوف وحقيقته ٣١ . وسراج الطالبين ٨٣/٢ .

(٨١) سورة الروم : من الآية (٤٧) .

(٨٢) سورة الطلاق : من الآية (٣) .

(٨٣) أنظر : سراج الطالبين ٨٣/٢ .

الأولى : التوكل على الله ومعاملة الأسباب على نية شغل النفس بالسبب ونفع الخلق وترك الدعوى ، فالمتوكل يسكن الى وعد ربه .

الثاني : التسليم ، هو إسقاط الطلب من غير الله ، وغض الطرف عن السبب ، وقمع تشوف النفس واستشرافها الى المذموم ، وحفظ الواجبات ، فصاحب التسليم يكتفي بعلم الله تعالى به .

الثالثة : التفويض ، وهو ان يعرف ان الحق تعالى هو مالك الأشياء وحده فلا تجعل لك اختياراً فتتوكل على الله فيما تحب وتكره ، وصاحب التفويض راضٍ بحكم الله تعالى(٨٤) .

---

(٨٤) أنظر : التمكين ١٠٣ ـ ١٠٦ .
وشرح منازل السائرين ٧٠ ـ ٧١ . والغنية ١٣٣٧/٣ .

الفصل الثالث

الاخـــــلاص

ويتضمن ثلاثة مباحث

المبحث الأول : اخلاص الحال

المبحث الثاني : النية

المبحث الثالث : الصدق

المبحث الأول

اخـــلاص الحـــال

الاخلاص في اللغة : [ترك الرياء][1] .

وفي الاصطلاح : تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه ، وتحقيقه : ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره ، فإذا صفا عن شوبه يسمى خالصاً ، قال تعالى : ﴿ من بين فرث ودم لبناً خالصاً ﴾[2] .

فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الفرث والدم[3] .

وقد ورد الاخلاص في القرآن الكريم على سبعة وجوه :

---

(١) مختار الصحاح ١٨٤ ، مادة : (خ ل ص) .
والقاموس المحيط ٣١٢/٢ ـ ٣١٣ ، مادة : (خ ل ص) .

(٢) سورة النحل : من الآية (٦٦) .

(٣) أنظر : التعريفات ، ص ٧ .

١ ـ اخلاص الكافرين الدعاء عند مشاهدة البلاء في قوله تعالى : ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾[٤] .

٢ ـ الأمر به للمؤمنين ، كما في قوله تعالى : ﴿ فادعوه مخلصين له الدين ﴾[٥] .

٣ ـ في ان المؤمنين لم يؤمروا إلا به ، كما في قوله تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين ﴾[٦] .

٤ ـ في حق الأنبياء ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾[٧] .

٥ ـ في اشتراطه عند توبة المنافقين ، كما في قوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك هم المؤمنين ﴾[٨] .

٦ ـ ان الجنة لا تصح إلا لأهل الاخلاص ، كما في قوله تعالى : ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾[٩] .

٧ ـ لم ينج من حبال وشراك إبليس إلا المخلصون ، كما في قوله تعالى : ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾[١٠][١١] .

وفي السُـنَّة المطهرة ، قال رسول الله ﷺ لسيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : (إنك لن تخلف فتعمل عملًا تبتغي به وجه الله تعالى إلا إزددت درجة ورفعة)[١٢] .

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : اخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم)[١٣] .

---

(٤) سورة يونس : من الآية (٢٢) .

(٥) سورة غافر : من الآية (٦٥) .

(٦) سورة البينة : من الآية (٥) .

(٧) سورة ص : من الآية (٤٦) .

(٨) سورة النساء : من الآية (١٤٦) .

(٩) سورة الصافات : من الآية (٤٠) .

(١٠) سورة ص : من الآية (٨٣) .

(١١) أنظر : بصائر ذوي التمييز ٣/١٧٣ .

(١٢) سنن الترمذي : كتاب الوصايا ـ باب ما جاء في الوصية ٤/٣٧٤ ، رقم الحديث (٢١١٦) .

(١٣) تاريخ اصفهان : ابن قيم الجوزية ٢/٩٠ .

وعن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه انه قال حين بُعث الى اليمن : يا رسول الله أوصني ، فقال رسول الله ﷺ : (اخلص دينك يكفك العمل القليل)[14] .

وعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : (مَنْ فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راضٍ)[15] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يا أبا ذر أحكم السفينة فإن البحر عميق ، واستكثر الزاد فإن السفر طويل ، وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود ، واخلص العمل فإن الناقد بصير)[16] .

قال مكحول : [ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه][17] .

وقيل لسهيل التستري : [أي شيء أشد على النفس ؟ فقال : الاخلاص ، إذ ليس لها فيه نصيب][18] .

وقال ذو النون المصري : [ثلاث من علامات الاخلاص : استواء المدح والذم من العامة ، ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال ، واقتضاء ثواب العمل في الآخرة][19] .

وقال ابن عطاء الله السكندري : [الأعمال صورة قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها][20] .

[وصحة العمل بالاخلاصْ ، وصحة الاخلاص بالتبري من الحول والقوة][21] .

وقد تقدم الكلام عن التبري في الباب الأول .

وكل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس ، ويميل اليه القلب ، إذا تطرق

---

(١٤) مستدرك الحاكم : كتاب الرقاق ٣٠٦/٤ .

(١٥) مستدرك الحاكم : كتاب التفسير ٣٣٢/٢ ، وقال : على شرط الشيخين .

(١٦) كنز العمال ٦١٣/٦ ، رقم الحديث (٧٧٠١) .

(١٧) بستان العارفين : أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، ص ٢٥ ، ط المطبعة المنيرية ، مصر ، ١٣٤٨هـ .

(١٨) إحياء علوم الدين ٤٠٢/٤ .

(١٩) بستان العارفين ٢٥ .

(٢٠) شرح زروق لحكم ابن عطاء ٥٩ .

(٢١) المصدر نفسه .

الى العمل تكدر به صفوه ، وزال به اخلاصه ، والخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى ، وهذا لا يتصور إلا من محب لله مستغرق الهم بالآخرة ، بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار ، بل تكون رغبته فيها كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انها ضرورة الجبلة ، لذا فان مَنْ أراد الاخلاص فعليه أولاً بكسر حظوظ نفسه ، وقطع طعمه عن الدنيا ، والتجرد للآخرة ، بحيث يغلب ذلك على قلبه[22] ، فتندرج جميع همومه تحت الهم الأوحد ابتغاء مرضاة الله تعالى .

يقول الإمام الجنيد : [أول الاخلاص أن يفرد الله تعالى بالارادة ، والثاني أن يخلص الفعل من الآفة][23] .

وللاخلاص درجات ثلاث :

الاولى : سلامة العمل من الآفات .

الثانية : أن يعمل العبد طلباً لثواب الآخرة .

الثالثة : أن يعمل العبد لله وحده امتثالًا لأمره وقياماً بحق عبوديته[24] :

وتتدرج الثالثة العليا الى ثلاث مراتب :

الاولى : عدم رؤية العمل ، وينظر في منّة الله تعالى وتوفيقه له ، ولا يطلب لذاك عوضاً عليه في الدنيا ، ولا في الآخرة إلا ابتغاء وجه الله تعالى ، إذ ليس لنفسه فيه حظ ، والذي يأخذ بيده في ذلك رؤية تقصيره ، والخجل من حظوظه .

الثانية : شدة حيائه من الله تعالى : إذ لم ير ذلك العمل صالحاً له مع بذل مجهوده فيه ، قال تعالى : ﴿ والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون ﴾[25] .

الثالثة : اخلاص العمل امتثالًا للأمروالتسليم لقضاء الله وقدره ، فلا تشهد إلا فضل الله عليك ، قال تعالى : ﴿ لمَنْ شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾[26][27] .

---

(٢٢) أنظر : إحياء علوم الدين ٤/٤٠١ .

(٢٣) رسائل الجنيد : حررها حسن عبدالقادر ، ص ٤٨ ، مخطوط من المكتبة القادرية .

(٢٤) شرح الرسالة القشيرية للانصاري ٣/١٣٢ .

(٢٥) سورة المؤمنون : من الاية (٦٠) .

(٢٦) سورة التكوير : الايتان (٢٨ ، ٢٩) .

(٢٧) أنظر : مدارج السالكين ٢/٥٠ ـ ٥٢ . والتمكين ٨٨ ـ ٩١ .

المبحث الثاني

النيـــــة

النية في اللغة : [الوجه الذي ينهب فيه][28] .

وفي الاصطلاح : [انبعاث القلب الى ما يراه موافقاً للغرض ، إما في الحال أو في المآل][29] .

قال تعالى : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾[30] .

وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمَنْ كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله سبحانه ، ومَنْ كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه)[31] .

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في غزاة ، فقال : (إن بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم حبسهم المرض)[32] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ (إن الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم)[33] .

---

(٢٨) القاموس المحيط ٤/ ٤٠٠ ، مادة : (ن و ي) .

(٢٩) إحياء علوم الدين ٤/ ٣٨٥ .

(٣٠) سورة الأنعام : من الآية (٥٢) .

(٣١) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ـ باب إنما الأعمال بالنيات ٣/ ١٥١٥ ، رقم الحديث (١٩٠٧) .

(٣٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ـ باب ثواب مَنْ حبسه عن الغزو المرض أو عذر آخر ٣/ ١٥١٨ ، رقم الحديث [١٥٩ (١٩١١)] .

(٣٣) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب ـ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ٤/ ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧ ، رقم الحديث [٣٣ (٣٤)] .

وعن أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال : (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار) ، قلت : يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال :(إنه كان حريصاً على قتل صاحبه)[٣٤] .

وليس شيء أصعب على مَنْ شمر عن نراع الجد ارادته من حفظ نيته الخاصة فهي تختلف باختلاف الأوقات والظروف التي تحيط بها ، فمَنْ اجتهد في نلك كان في تعب من نفسه ، والناس منه في راحة[٣٥] .

وتتدرج النية الى حصول الفعل متسلسلة باعمال قلبية تنطوي كلها تحت اسم النية ، فأولها تمييز الأغراض المطلوبة بعضها عن بعض ، ثم القصد : وهو جمع الهمة نحو الغرض المطلوب ، ثم العزم : وهو تقوية القصد وتنشيطه ، ثم الارادة : وهي انتهاض القدرة عليه مع حرف الموانع المثبطة عنه ، ثم النية الخالصة التي تحصل الحركة بعدها بباعث واحد[٣٦] .

وتنقسم النية بتفاوت المقصود الى أربعة أقسام :

١ ـ انفراد الباعث الواحد وتجرده : وهذه النية تسمى خالصة ، ويسمى العمل بمقتضاها اخلاصاً ، فلا مشارك لهذا الباعث يمازجه ، لذهول الفكر عن كل قصد وعزم غيره .

٢ ـ اجتماع باعثين لو انفرد كل واحد منهما لاستقل بالفعل ، وهذه النية تسمى مرافقة البواعث ، فالباعثان صحا في إيجاد الفعل ، ولو انفرد أي منهما لوجد الفعل ، كالإنفاق على رحم فقير .

٣ ـ مشاركة باعثين للنهوض بفعل لا يستقل أحدهما عن الآخر ، وتسمى المشاركة ، كالمتصدق أمام الناس للثواب والثناء .

٤ ـ استقلال أحد الباعثين وضعف الآخر ، إلا انه مع ضعفه أكثر سهولة عما لو انفرد الباعث القوي ، وتسمى معاونة[٣٧] .

---

(٣٤) صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما ٢٢١٤/٤ ، رقم الحديث [١٥ (١٥٧)] .

(٣٥) مدارج السالكين ١٠٥ .

(٣٦) أنظر : روضة الطالبين وعمدة السالكين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، نشرها فرج الله زكي ، ص ٢٤٨ ، ط السعادة ، القاهرة ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م .

(٣٧) أنظر : إحياء علوم الدين ٣٨٥/٤ ـ ٣٨٦ .

فالباعث الثاني ، إما ان يكون رفيقاً أو شريكاً أو معاوناً ، وهو إن كان القصد فيه الطاعة لله تعالى ورسوله ﷺ ، فهو طاعة ، وإن كان الباعث الثاني فيه حظ من حظوظ النفس، فإن كان شريكاً تهاتر الباعثان وذهب أجر العمل ، وأما الآخران فينقصان من العمل بقدر ما يأخذان من النية الخالصة لوجه الله تعالى .

المبحث الثالث

الصـــــــــدق

الصدق في اللغة : [مطابقة القول الضمير والمخبر عنه][38] .

وفي الاصطلاح : هو استواء السر والعلانية والظاهر والباطن ، وبالصدق يتحقق العبد بجميع المقامات والأحوال حتى ان الاخلاص يفتقر الى الصدق ، والصدق لا يفتقر الى شيء ، لأن حقيقة الاخلاص في العبادة هو إرادة اللهتعالى بالطاعة ، فقد يراد وجه الله تعالى بالصلاة مثلًا ، لكنه غافل عن حضور القلب فيها ، والصدق : هو ارادة الله تعالى بالعبادة مع حضوره مع الله تعالى فيها ، فبين الاخلاص والصدق عموم وخصوص مطلق ، إذ كل صادق مخلص وليس كل مخلص صادقاً[39] .

قال تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾[40] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾[41] .

وقال تعالى : ﴿ فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ﴾[42] .وقال تعالى : ﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم ﴾[43] .

وقال تعالى : ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾[44] .

وقال تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات ونهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾[45] .

---

(٣٨) المفردات في غريب القرآن ٤٠٩ ، مادة : (ص د ق) .

(٣٩) أنظر : روضة الطالبين ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٤٠) سورة الاحزاب : من الاية (٢٣) .

(٤١) سورة التوبة : الاية (١١٩) .

(٤٢) سورة محمد ﷺ : من الاية (٢١) .

(٤٣) سورة الاحزاب : من الاية (٨) .

(٤٤) سورة المائدة : من الاية (١١٩) .

(٤٥) سورة القمر : الايتان (٥٤ ، ٥٥) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (إن الصدق يهدي الى البر ، وإن البر يهدي الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يُكتب عنه الله صديقاً ، وان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً)[٤٦] .

وعن أبي محمد الحسن بن علي رضي الله عنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ : (دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة)[٤٧] .

وعن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه في حديث هرقل الطويل ، قال هرقل : فماذا يامركم ؟ ـ يعني النبي ﷺ ـ قال أبو سفيان : فقلت : يقول : (اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً ،واتركوا ما يقول آباؤكم ، ، ويامرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة)[٤٨] .

والصدق في ثلاثة أشياء :

صدق اللسان : وهو القول بالحق لك كان أم عليك بالخروج عن التأويل والتدليس .

وصدق الفعل : بذل المجهود من النفس والخروج من وجوه الراحة .

وصدق القلب : هو القصد اليه تعالى في الأفعال ، فالصدق لا يستغنى عنه في حال من الأحوال[٤٩] .

ومراتب الصدق ثلاثة :

الاولى : صدق القصد : وبه يصح الدخول في سلوك طريق الوصول الى الله تعالى ، ويتلافى به كل تفريط ويتدارك كل فائت ، ويعمر ما تخلف لديه من خراب ،

---

(٤٦) صحيح البخاري : كتاب الادب ـ باب قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ ٧/ ٣٠ .

وصحيح مسلم : كتاب البر ـ باب حسن الصدق وفضله وقبح الكذب ٤/ ٢٠١٣ ، رقم الحديث [١٠٥ (٢٦٠٧)] .

(٤٧) سنن الترمذي : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ـ باب (٦٠) ٤/ ٥٨٦ ، رقم الحديث (٢٥١٨) ، حديث حسن صحيح .

(٤٨) التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح : للإمام الحافظ أبي العباس زين الدين أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي الزبيدي الشهير (بالحسين بن مبارك) ١/ ٨ ، ط محمد علي صبيح ، مصر ، ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣١م . (تجريد صحيح البخاري) .

(٤٩) أنظر : رسائل الجنيد ٤٩ .

ومَنْ كان بهذا الوصف ، فهو يصم السمع عن كل داعية تدعو الى نقض عهد ، وليس له ميل في طبعه الى الاغيار من حيث صدق قصده مع ربه ، فلا يقعد عن الجد بحال من الاحوال .

الثانية : أن لا يبتغي من حياته إلا الحق ، فلا يحب العيش إلا ليشبع من رضاء محبوبه ويقوم بعبوديته ويستكثر من الاسباب التي تقربه اليه وتدنيه منه ، لا لعلة من علل الدنيا ولا لشهوة من شهواتها ، ولا يرى نفسه إلا مقصراً ، لاستعظام مطلوبه واستصغار نفسه ومعرفته بعيوبها ويحمل نفسه على العزائم ولا يلتفت الى الرفاهية التي فيها الرخص ، ولا نعني بالرخص ما يوافق به الشرع ، بل ان يكون ميله الى الراحة .

الثالثة : التحقق بحقيقة الصدق من حيث كمال المعرفة به ، ووقوعه على وجه يتفق فيه رضاء الحق بعمل العبد أو حاله أو وقته وإيقانه وقصده ، ويستوحش في طريقه لقلة سالكها[٥٠] .

---

(٥٠) أنظر : مدارج السالكين ٢/١٥٢ ؛ والتمكين ١٣٤ - ١٣٧ .

الفصل الرابع

المحبة

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : تعريف المحبة ودواعيها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : المحبة

المطلب الثاني : دواعيها

المبحث الثاني : محبة الله تعالى ورسوله ﷺ

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : محبة الله تعالى

المطلب الثاني : محبة رسوله ﷺ

المبحث الثالث :المحبة في الله تعالى

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الاخوة

وفيه فرعان :

الفرع الأول : شروط الاخوة

الفرع الثاني : حقوق الأخوة

المطلب الثاني : صحبة الشيوخ

وفيه فرعان :

الفرع الأول : الشيخ وما يشترط فيه

الفرع الثاني : المريد

المبحث الأول

تعريف المحبة ودواعيها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول

تعريف المحبة

المحبة في اللغة : [إرادة ما تراه أو تظنه خيراً ، وتقول : حببت فلاناً في الاصل بمعنى أصبت حبة قلبه ، نحو شغفته وكبدته وفادته ، وتستعمل في اللغة على ثلاثة أوجه :

١ — محبة للذة : كمحبة الرجل المرأة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قد شغفها حبّاً ﴾[1] .

٢ — محبة النفع : كمحبة شيء ينتفع به ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وأخرى تحبّونَها نصرٌ من اللّهِ وفتحٌ قريب ﴾[2].

٣ — محبة للفضل : كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض][3] .

وقد كثرت التعريفات في المحبة ، فلا يكاد أحد يعرفها بتعريف مَنْ يسبقه، وكان كل واحد من أهلها قد ذاق ذوقاً مختلفاً عن الآخر ، فمما عرفت به المحبة : سرور القلب بمطالعة جمال المحبوب ، وقيل : محو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته ، وقيل : حقيقة المحبة ان تمحو من القلب ما سوى المحبوب ، وقيل : المحبة نار في القلب تحرق ما سوى المحبوب[4] .

---

(١) سورة يوسف : من الآية (٣٠) .

(٢) سورة الصف : من الآية (١٣) .

(٣) أنظر : المفردات في غريب القرآن ١٥١ ، مادة : (ح ب ب) .

(٤) أنظر : مشارق أنوار القلوب ٢١ .

ومن تعريفات أكابر مشايخ التصوف أوردها لنتأمل في سبب اختلافها :
[قال سهل التستري رحمه الله تعالى :[الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة] .
وقال الجنيد رحمه الله : [دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب] .
وقال أبو عبدالله القرشي : [أن تهب كلك لمَنْ أحببت ، فلا يبقى لك منك شيء] .
وقال أبو بكر الشبلي رحمه الله : [أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك] .
وقال ابن عطاء رحمه الله : [المحبة أغصان تُغرس في القلب فتثمر على قدر القبول] .
وقال أبو يعقوب السوسي رحمه الله :[حقيقة المحبة : أن ينسى العبد حظه من الله عز وجل وينسى حوائجه اليه] .
وقال الحارث المحاسبي رحمه الله : [المحبة ميلك الى الشيء بكليتك ، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سراً وجهراً ، ثم علمك بتقصيرك في حبه] .
وقال أبو الحسين النوري رحمه الله : [المحبة : هتك الأستار ، وكشف الاسرار] .
وقال أبو القاسم النصر آبادي رحمه الله : [المحبة مجانبة السلو على كل حال][٥] .
وقال الهروي : [المحبة : تعلق القلب بين الهمة والأنس][٦] .
وقال ابن حزم :[هي الرغبة في المحبوب وكراهة منافرته][٧] .
بعد النظر في التعريفات يتبين ان حد المحبة ورسمها عسير جداً ، لأنها من

---

(٥) أنظر : الحب الإلهي في التصوف الاسلامي : د. محمد مصطفى حلمي ، ص ٣٠ - ٣١ ، ط دار القلم ، ١٩٦١م .
ونشر المحاسن الغالية ١٨٦ .
وبين الشريعة والحقيقة أو حل الرموز ومفاتيح الكنوز : العز بن عبدالسلام ، ص ١٦ - ١٧ ، ط مطبعة نور الامل .
(٦) مدارج السالكين ٢١/٣ . والتمكين ٢٢١ .
(٧) الاخلاق والسير لابن حزم ٤٧ .

البسائط وما زادتها التعريفات إلا خفاءً وجفاءً ، وإنما تكلموا في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها[٨] .

والمحبة لطيفة ، بل ألطف الأشياء والألفاظ والحروف من عالم الحس الكثيف ، فإذا كسيت المحبة بالألفاظ والحروف ، فقد كثفت وخرجت عن لطافتها[٩] .

ليس هذا فحسب ، بل ان الأسماء والأوصاف والآثار المتعددة لم تكن لغيرها بهذه الكثرة ، فمن ذلك الصبابة والشُغف والوجد والكلف والتتيم والهوى والصبوة والومق والعشق والجوى والدنف والشجو والشوق والخلابة والتباريح والسدم والغمرات والوهل والشجن واللاعج والاكتئاب والوصب والحزن والكمد واللذع والحرق والسهد والأرق واللهف والحنين والاستكانة والتبالة واللوعة والفتون والجنون واللمم والخبل والرسيس والداء المخامر والود والخلة والخلم والغرام والهيام والدله والوله[١٠] .

ولعلني تركت أكثر مما ذكرت ، ومع هذه الكثرة فلو شئت تعريف كل اسم من هذه الأسماء لوجدت له تعريفات كثيرة مختلفة كلها لا تحيط بماهيته ، ولو تقلبت في عرضيات المحبة من اضطراب الجوارح ولهفة القلب وخفقانه وسرور الفكر وهيامه واتقاد نيران شوقه وجمال لطف رقته وعذوبة ألفاظه وجمال وصاله وروعته ووحشة الجفاء وقسوته وإشفاق الحنان بلوعته واحتدام ما اضطرم من لواعجه وشتات الفكر وغلبة الهموم عند الانقباض في طارىء الشوق وحلاوة اللقاء وطلاوة ما يدور في فيه من لذة الأنس والبسط والدلال ، وغربة الروح في بقعة لا يذكر فيها المحبوب ولو بملامة ، وعبير أطيافه إذا روحت مع نسيم الصبا فأذاب الحسرة وأرسل الدمع وطار القلب لهفة وهياماً وغراماً وجلال هيبته إذا تمكن من البدن حين تدنو ساعة اللقاء فينثني الهم ويندلع الحبور وتقلب ما شئت فيما شئت من أفراحه وأتراحه وجفائه ووصاله وسكونه وهيامه ووئامه وملامه وهنائه وغرامه ، هل ستقف عند حد فيه لا تجاوزه ؟ أم هل تشبع الروح من مراحه وسراحه ؟ ولعلك إن أمضيت عمرك فيه لم تكتنف في كل عمرك مما تحتاج اليه ذاتك منه إلا النزر اليسير .

---

(٨) أنظر : مدارج السالكين ٣/٦ .

(٩) أنظر : مشارق أنوار القلوب ٢١ .

(١٠) أنظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين : شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ص ١٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

فيا ترى هل تحيط عبارة به فتنكشف كنه ماهيته ؟ وهل هنالك عبارة تعرّفه التعريف الشافي الوافي الجامع لكل أفراده المانع للأغيار من الدخول فيه ، اللّهم اني أظهر لك تمام عجزي عن اكتناهه أو إدراك جزئية بسيطة من جزئياته ؛ أذاقنا الله صفو وداده وفتح علينا نور محبته وأفنى مرادنا بمراده ، وأفنى نواتنا في ذات حبيبه المصطفى ﷺ .

المطلب الثاني

دواعي المحبة

الداعي : هو الشعور الذي تتبعه الإرادة والميل ، وقد يُراد به السبب الذي لاجله وجدت المحبة وتعلقت به ، وذلك قائم بالمحب والمحبوب ، فالسبب مكون من مجموع أمرين ، ما قام بالمحبوب من الصفات التي تدعو الى محبته ، وما قام من المحب من الشعور بها ، فهذا هو الامر الأول ؛ والثاني الموافقة بين المحب والمحبوب ، فإن كان بين مخلوقين فتسمى مناسبة وملاءمة(١١) .

وقد يقع الانجذاب والميل بالخاصية ، وهذا لا يُعلل ولا يُعرف سببه ، كأنجذاب الحديد الى الحجر المغناطيس ، ووقوع هذا بين الأرواح أعظم من قوعه بين الجمادات(١٢) .

ومن الدواعي ما هو ظاهر أثره حساً ومعنىً مع وجود المناسبة أو عدمها ، ويتضح ذلك فيما يأتي :

١ ــ إن الإنسان يحب نفسه من حيث بقاؤها وكمالها ودوام وجودها ، ويكره ضد ذلك من العدم والنقصان والهلاك ، وهذه جبلة كل حي ، ولا يتصور ان أحداً ينفك عنها ، وهذا يقتضي غاية المحبة لله عز وجل ، لأن الإنسان إذا عرف ربه عرف ان وجوده ودوامه وحاجته كلها من الله تعالى(١٣) .

٢ ــ ومن أسباب المحبة ان القلوب جبلت على حب مَنْ أحسن اليها ولاطفها وواساها وانتدب لنصرتها وقمع أعدائها ، وأعانها على جميع أغراضها ، فانه محبوب عندها ، ومَنْ تأمل في ذلك ونظر في حقيقة المحسن في كل حال والناصر والمغيث ، أوصله تأمله الى حقيقة ذلك الإحسان ومَنْ هو أولى بتوجه القلوب اليه(١٤) .

---

(١١) أنظر : روضة المحبين ٦٦ .

(١٢) أنظر : المصدر نفسه ٦٧ - ٦٨ .

(١٣) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ٢٥٤ .

(١٤) أنظر : السيرة النبوية لاحمد زيني دحلان ٢٩٨/٣ .
ومختصر منهاج القاصدين ٢٥٤ .

٣ ــ وصف المحبوب وجمال وشعور المحب به ، والمناسبة ، وهي العلاقة والملاءمة التي بين المحب والمحبوب ، فإذا ما كملت هذه الثلاثة وقويت استحكمت المحبة[١٥] .

٤ ــ اتفاق صفات الكمال والإحسان والسيرة الحميدة ، وإن لم يصل اليك منها شيء ، فذلك محبوب لديك لما يرد على الأسماع والأذهان من حسن الخصال وجمال المحامد[١٦] .

والمناسبة نوعان ، أصلية : وهي اتفاق أخلاق وتشاكل أرواح وشوق كل نفس الى مشاكلها فإن شبيه الشيء منجذب اليه فتنجذب كل منها الى الاخرى بالطبع ، وهذه يعبّر عنها بأنها مرآة يبصر فيها المحب طباعه ورقته في صورة محبوبه ، فهو لم يحب إلا نفسه وطباعه ومشابهها[١٧] .

ومناسبة عارضة : بسبب المجاورة أو الاشتراك في أمر من الامور ، فإن مَنْ ناسب قصدك قصده ، ومرادك مراده وحصل توافق بين روحك وروحه ، فإذا اختلف القصد زال التوافق[١٨] .

---

(١٥) أنظر : روضة المحبين ٦٦ . وسيرة دحلان ٣/٩٨ .

(١٦) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ٢٥٥ . والسيرة لدحلان ٣/٢٩٨ .

(١٧) أنظر : روضة المحبين ٦٧ ـ ٦٨ .

(١٨) أنظر : المصدر نفسه .

المبحث الثاني

محبة الله تعالى ورسوله ﷺ

وفيه مطلبان :

المطلب الاول

محبة الله تعالى

قال تعالى : ﴿ إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ سيجعل لهم الرحمنُ ودّاً ﴾[19] .

وقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبّاً للّهِ ﴾[20] .

وقال تعالى : ﴿ فسوف يأتي اللّهُ بقومٍ يحبّهم ويحبّونه ﴾[21] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إنْ كنتم تحبّونَ اللّهَ فاْتبعوني يحببكم اللّهُ ويغفر لكم ﴾[22] .

وقد ذكر القرآن الكريم خصالًا يحبها الله عز وجل ، فمَنْ حرص على الفوز بمحبة اللّه عز وجل فليحرص على أن يتحلى بكل واحد منها كي يفوز من المحبة بالحظ الأوفى :

---

(١٩) سورة مريم : الآية (٩٦) .

(٢٠) سورة البقرة : من الآية (٦٥) .

(٢١) سورة المائدة : من الآية (٢٤) .

(٢٢) سورة آل عمران : من الآية (٣١) .

١ — الإحسان ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللّهَ يحبُّ المحسنين ﴾[٢٣] .

٢ — التوبة ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللّهَ يحبُّ التوّابين ﴾[٢٤] .

٣ — التطهر ، كما في قوله تعالى : ﴿ ويحبُّ المتطهرين ﴾[٢٥] .

٤ — التقوى ، كما في قوله تعالى : ﴿ فإنَّ اللّهَ يحبُّ المتقين ﴾[٢٦] .

٥ — الصبر ، كما في قوله تعالى : ﴿ واللّهُ يحب الصابرين ﴾[٢٧] .

٦ — التوكل ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللّهَ يحبُّ المتوكلين ﴾[٢٨] .

٧ — العدل ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللّهَ يحبُّ المقسطين ﴾[٢٩] .

٨ — الجهاد ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللّهَ يحبُّ الذينَ يقاتلون في سبيلِهِ صفاً ﴾[٣٠] .

وكما ذكر القرآن الكريم الخصال التي يحبها الله عز وجل ، ذكر الخصال التي لا يحبها الله عز وجل ، وهي كما يأتي :

١ — الاعتداء ، كما في قوله تعالى : ﴿ ولا تعتدوا إنَّ اللّهَ لا يحب المعتدين ﴾[٣١] .

٢ — الجهر بالسوء ، كما في قوله تعالى : ﴿ لا يحب اللّهُ الجهرَ بالسوءِ من القولِ إلا مَنْ ظلم ﴾[٣٢] .

٣ — الفساد ، كما في قوله تعالى : ﴿ واللّهُ لا يحب الفساد ﴾[٣٣] .

٤ — الكفر ، كما في قوله تعالى : واللّهُ لا يحب كلَّ كفّارٍ أثيم ﴾[٣٤] .

---

(٢٣) سورة البقرة : من الآية (١٩٥) .

(٢٤) سورة البقرة : من الآية (٢٢٢) .

(٢٥) سورة البقرة : من الآية (٢٢٢) .

(٢٦) سورة آل عمران : من الآية (٧٦) .

(٢٧) سورة آل عمران : من الآية (١٤٦) .

(٢٨) سورة آل عمران : من الآية (١٥٩) .

(٢٩) سورة المائدة : من الآية (٤٢) .

(٣٠) سورة الصف : من الآية (٤) .

(٣١) سورة البقرة : من الآية (١٩٠) .

(٣٢) سورة النساء : من الآية (١٤٨) .

(٣٣) سورة البقرة : من الآية (٢٠٥) .

(٣٤) سورة البقرة : من الآية (٢٧٦) .

٥ — الظلم ، كما في قوله تعالى : ﴿ واللَّهُ لا يحب الظالمين ﴾[٣٥] .
٦ — الإسراف ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يحبُّ المسرفين ﴾[٣٦] .
٧ — التكبر ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يحبُّ مَنْ كان مختالًا فخوراً ﴾[٣٧] .
٨ — الخيانة ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يحبُّ مَنْ كان خوَّاناً أثيماً ﴾[٣٨] .
٩ — البطر والمرح والفرح : كما في قوله تعالى : ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يحبُّ الفرحين ﴾[٣٩] .

وفي السُنَّة المطهرة ، عن أبي هريرة رضي الله قال : قال رسول الله ﷺ : (يقول الله تعالى : مَنْ عادى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه)[٤٠] .

وعنه رضي الله قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : اني أحب فلاناً ، قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فاحبوه ، فيحبه أهل السماء ، قال : ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فابغضه ، قال : فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يبغض فلاناً فابغضوه ، قال : فيبغضونه ، ثم يوضع له البغضاء في الأرض)[٤١] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : ان رسول الله ﷺ بعث رجلًا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿ قُلْ هو اللَّهُ أحد ﴾ فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : (سلوه لأي شيء يصنع ذلك) فسألوه ، فقال :لأنها

---

(٣٥) سورة آل عمران من الاية (٥٧) .
(٣٦) سورة الانعام : من الاية (١٤١) .
(٣٧) سورة النساء : من الاية (٣٦) .
(٣٨) سورة النساء : من الاية (١٠٧) .
(٣٩) سورة القصص : من الاية (٧٦) .
(٤٠) صحيح مسلم : كتاب البر ـ باب إذا أحب الله عبداً حببه الى عباده ٤/ ٢٠٣٠ ، رقم الحديث [١٥٥ (٢٦٣٧)] .
(٤١) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة ـ باب إذا أحب الله عبداً ٤/ ٢٠٣٠ ، رقم الحديث (٢٦٣٧) .

صفة الرحمن ، فأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال رسول الله ﷺ : (أخبروه ان الله يحبه)[٤٢] .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال : (مَنْ أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومَنْ كره لقاء الله كره الله لقاءه)[٤٣] .

بعد ما قدمت من النصوص ، يتبين ان للمحبة فضيلة عظيمة قدخصها الله تعالى في كتابه ودعا اليها رسوله الكريم ﷺ ، فمحبة الحق سبحانه وتعالى للعبد ارادته لانعام مخصوص ، كما ان رحمته إرادة الإنعام ، فالرحمة أخص مطلقاً من الارادة ، والمحبة أخص مطلقاً من الرحمة[٤٤] .

ومحبة العبد لربه سبحانه وتعالى حال لطيفة تحمله على ترك الحظوظ وإيثار الحقوق ، فيترك مراده لمراد محبوبه ، إذ ليس للمحب إرادة مع إرادة محبوبه[٤٥] .

وغاية ما يتمنى الإنسان الفوز بالسعادة الأبدية ، ولا يتوصل الى تمامها وكمالها إلا بمحبة الحق سبحانه وتعالى ، ولا يتوصل الى كمال المحبة إلا بالمعرفة بكمال المحبوب ، فتفاوت المحبين إنما هو على قدر معرفة كل منهم[٤٦] .

والمحبة على ثلاث مراتب :

الأولى : محبة يستولي فيها ذكر المحبوب على القلب فلا يداخله وسواس ولا حظوظ ولا أغراض ولا أعراض ، ويلتذ المحب بخدمة محبوبه ، فيرتفع عن رؤية التعب أثناء الخدمة ، وقد أنسته لذة المحبة ما ينزل به من المصائب ، ولا يجد من مسها ما يجده غيره ، وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منّة الله عليه ، فتعلو همته وتقوى عزيمته وثباتها بمتابعة سُنّة المصطفى ﷺ

---

(٤٢) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين ـ باب فضل قراءة قُل هو الله أحد ١/٥٥٧ ، رقم الحديث (٨١٣) .

(٤٣) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة ـ باب مَنْ أحب لقاء الله ٤/٢٠٦٥ ، رقم الحديث (٢٦٨٣) .

وسنن الترمذي : كتاب الزهد ـ باب ما جاء مَنْ أحب لقاء الله ٤/٤٨٠ ، رقم الحديث (٢٣٠٩) . وقال : حديث صحيح .

(٤٤) أنظر : الرسالة القشيرية ٢٤٧ .

(٤٥) أنظر : بين الشريعة والحقيقة : العز بن عبدالسلام ، ص ١٦ .

(٤٦) أنظر : مشارق أنوار القلوب ، ص ١١ .

في أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه ، فيهب نفسه لربه مفتقراً اليه بالذل والانكسار بين يديه .

الثانية : محبة تبعث على إيثار الحق على غيره وتنشأ من النظر في كمال صفات الحق سبحانه ، فإذا أدرك العبد ذلك امتلأ قلبه بمحبته ، ودام ذكره لمولاه وآثره في كل شيء على مَنْ سواه ، وتعلق قلبه بمشاهدته والتنعم برؤيته .

الثالثة : محبة تخطف قلوب المحبين ، وتنشأ عن كمال الاستغراق في كمال الذات ، ولا توصف بتقريب العبارة ، فهي لا أول لوجودها حتى يحصرها حد ، ولا آخر لبقائها ، وفي مثل هذا البحر غرقت قلوب العارفين واستغرقت أرواح المحبين[٤٧] .

---

(٤٧) أنظر : التمكين ٢٢٧ ـ ٢٢٨ . وشرح منازل السائرين للخمي ١٥١ ـ ١٥٤ . ومدارج السالكين ٣/٢٣ ـ ٢٧ .

المطلب الثاني

محـــبـــة رســـــول الله ﷺ

إن القرآن الكريم ذكر من الآيات الكريمة ما يدل دلالة واضحة على وجوب طاعة رسول الله ﷺ ، منها قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذينَ آمنوا أطيعوا اللّهَ وأطيعوا الرسول ﴾(٤٨) .

وقوله تعالى : ﴿ وأطيعوا اللّهَ والرسولَ لعلَّكم تُرحمون ﴾(٤٩) .

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِعْ الرسولَ فقد أطاعَ اللّهَ ﴾(٥٠) .

وقوله تعالى : ﴿ ومَنْ يُطِعْ اللّهَ والرسولَ فأولئك مع الذينَ أنْعَمَ اللّهُ عليهم مِنَ النبيِّين والصدّيقينَ والشهداءَ والصالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً ﴾(٥١) .

وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية ، ان ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه ، فأتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه ، فسأله رسول الله ﷺ عن حاله ، فقال : يا رسول الله ، ما بي وجع غير أني إذا لم أرك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك ، فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لأني إن دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين فلا أراك ، فنزلت هذه الآية .

وقيل هي في عبدالله بن زيد ، وذكروا نحو قول ثوبان(٥٢) .

وأما أحاديث المصطفى ﷺ ، فقد نصَّ كثير منها على وجوب محبته ، وانه من الإيمان ، ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ ، قال : (ثلاث مَنْ كُن فيه وجد حلاوة الإيمان ، ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وان

---

(٤٨) سورة النساء : من الآية (٥٩) ؛ وسورة محمد ﷺ :الآية (٣٣) .

(٤٩) سورة آل عمران من الآية (١٣٢) .

(٥٠) سورة النساء : من الآية (٨٠) .

(٥١) سورة النساء : من الآية (٦٩) .

(٥٢) الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ٥/٢٧٢ .

يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)[٥٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ ، قال : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده)[٥٤] .

وعن عبدالله بن هشام رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي التي بين جنبي ، فقال النبي ﷺ : (لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه ، فقال عمر رضي الله عنه : والذي أنزل عليك الكتاب ، لأنت أحب إليّ من نفسي التي بين جنبي ، فقال له النبي ﷺ : الآن يا عمر)[٥٥] .

وعن أنس رضي الله عنه ان رجلًا أتى النبي ﷺ ، فقال : متى الساعة يا رسول الله ؟ قال : (ما أعددت لها ؟) ، قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله ، قال : (أنت مع مَنْ أحببت)[٥٦] .

بعد ذكر هذه النصوص والتأمل قليلًا في دواعي المحبة ، نقلب أفكارنا في الميل الى ما يوافق الإنسان من الصور الجميلة والأصوات الحسنة من الملاذ لا يخلو كل طبع سليم عن الميل اليها لموافقتها له ، أو حبه لأحد من جهة إحسانه اليه ، وقد جبلت القلوب على حب مَنْ أحسن اليها وبغض مَنْ أساء لها ، وإذا كان الإنسان يحب مَنْ أحسن اليه في دنياه باحسان ، فان أو استنقذه من مهلكة لا تدوم ، فما بالك بمَنْ منحنا منحاً لا تزول ووقانا من العذاب ما يهول ، وإذا كان الحب للصورة الجميلة والسيرة الحميدة ، فكيف بحضرة النبي الكريم ﷺ الجامع للمحاسن في الخلق والخُلُق والفضل العظيم[٥٧] ،وكيف يكون حب الله سبحانه وتعالى ؟!

---

(٥٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب خصال مَنْ اتصف بهن ٦٦/١ ، رقم الحديث [٦٧ (٤٣)] .

(٥٤) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب وجوب محبة رسول الله ﷺ ٦٧/١ ، رقم الحديث [٦٩ (٤٤)] .

(٥٥) كنز العمال ٢٨٤/١ ، رقم الحديث (١٣٨٦) .

(٥٦) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة ـ باب المرء مع مَنْ أحب ٤ /٢٠٣٢ ، رقم الحديث [١٦١ (٩ ٢٦)] .

(٥٧) أنظر : شرح محمد بن عبدالباقي الزرقاني على المواهب اللدنية ٢٣٠/٦ ـ ٢٣٢ ، ط بولاق ، مصر .

ومن علامات محبته ﷺ اتباعه في القول والفعل والحال والخلق، لقوله تعالى: ﴿ قُـلْ إن كنتم تحبّونَ اللّهَ فاتبعوني يحببكم اللّهُ ويغفر لكم ﴾[٥٨].

وما نقص من ذلك فهو نقص في المحبة.

ومن علامات محبته ﷺ محبة القرآن الذي أُنزل عليه وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار.

ومن علامات محبته ﷺ كثرة الصلاة عليه، فمَنْ أحب شيئاً أكثر من ذكره والالتذاذ بذكر اسمه وإظهار الخشوع والخضوع وكثرة الشوق الى لقائه ونصر دينه بالقول والفعل، ومن علامات محبته محبة أهل بيته، قال رسول الله ﷺ: (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي)[٥٩].

وقال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (أيها الناس ارقبوا محمداً في أهل بيته).

وقال: (لقرابة رسول الله أحب إلي أن أصل من قرابتي)[٦٠].

ومن علامات محبته ﷺ: حب أصحابه الكرام رضي الله عنهم، واستدل الإمام مالك على كفر مبغضهم بقوله تعالى: ﴿ ليغيظ بهم الكفّار ﴾[٦١].

وكلما اشتدت محبته ﷺ ازدادت علامتها من كثرة الدمع وارتعاد الأطراف وقشعريرة البدن، وغير ذلك[٦٢]، رزقنا الله محبته وجمعنا به في الدنيا والآخرة، وسقانا من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبداً.

---

(٥٨) سورة آل عمران: من الآية (٣١).

(٥٩) المستدرك ٣/١٥٠.

(٦٠) صحيح البخاري: كتاب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٧٥٩).
وصحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير ـ باب قول النبي ﷺ: (لا نورث وما تركناه صدقة) ٣/١٣٨٠.

(٦١) سورة الفتح: من الآية (٢٩).

(٦٢) أنظر: شرح دحلان الزرقاني على المواهب اللدنية ٦/٣٦٥ وما بعدها.
وسيرة دحلان ٣/٣٠٣ ـ ٣١٦.

المبحث الثالث

المحبه في الله سبحانه وتعالى

بعد ان بينا في المبحث السابق محبة الله تعالى ورسوله ﷺ نؤول الى المحبة في الله تعالى ونتذوق الحب الذي عليه مدار الدين فابتدأنا بمحبة الله تعالى ثم محبة رسول الله (ﷺ) ثم محبة المسلمين فيما بينهم في الله عز وجل وابتداء من ذلك بالنصوص الدالة على ذلك دلالة قطعية :

قال تعالى : ﴿ للفقراءِ المهاجرينَ الذين أُخرجوا مِنْ ديارِهِمْ وأموالِهِمْ يبتغونَ فضلًا من اللَّهِ ورِضْواناً وينصرونَ اللَّهَ ورسوله أولئك هم الصادقون ۞ والذينَ تبوءوا الدارَ والإيمانَ من قبلهم يحبّونَ مَنْ هاجر اليهم ولا يجدون في صدورِهِم حاجة مما أُوتوا ويؤثرون على أنفسِهِم ولو كان بها خصَاصة ومَنْ يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ۞ والذين جاؤوا منْ بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا في الإيمان ولا تجعل في قلوبِنَا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنَّكَ رؤوفٌ رحيم ﴾[٦٣] .

وقال تعالى : ﴿ محمدٌ رسولِ اللَّهِ والذين معه أشداء على الكفارِ رحماء بينهم ﴾[٦٤] .

وأما في السُنَّة المطهرة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ان الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي)[٦٥] .

وعنه رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة

---

(٦٣) سورة الحشر ؛ الآيات (٨ ، ٩ ، ١٠) .

(٦٤) سورة الفتح : من الآية (٢٩) .

(٦٥) صحيح مسلم : كتاب البر ـ باب في فضل الحب في الله ١٩٨٨/٤ ، رقم الحديث [٣٧ (٢٥٦٦)] .

حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أوَلَا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم)[٦٦] .

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ : (ان رجلًا زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها عليه ؟ قال : لا غير اني أحببته في الله تعالى ، قال : فاني رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)[٦٧] .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : (ثلاث مَنْ كُن فيه وجد حلاوة الإيمان : ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وان يكره ان يعود في الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يقنف في النار)[٦٨] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال : (سبعة يظللهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ...) ، وعد منهم حتى وصل : (ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه)[٦٩] .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (قال الله عز وجل : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء)[٧٠] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : جاء رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : (المرء مع مَنْ أحب)[٧١] .

---

(٦٦) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب لا يدخل الجنة إلاالمؤمنون ٧٤/١ ، رقم الحديث [٩٣ (٥٤)] .

(٦٧) صحيح مسلم : كتاب البر ـ باب فضل الحب في الله ١٩٨٨/٤ ، رقم الحديث [٣٨ (٢٥٦٧)] .

(٦٨) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب بيان خصال مَنْ اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ٦٦/١ ، رقم الحديث [٦٧ (٤٣)] .

(٦٩) صحيح مسلم : كتاب الزكاة ـ باب فضل إخفاء الصدقة ٧١٥/٢ ، رقم الحديث [٩١ (١٠٣١)] .

(٧٠) الترمذي : كتاب الزهد ـ باب ما جاء في الحب في الله ٥١٥/٤ ، رقم الحديث (٢٣٩٠) .

(٧١) البخاري ٤٨/٨ ، ٤٩ .

وصحيح مسلم : كتاب البر ـ باب المرء مع مَنْ أحب ٢٠٣٤/٤ ، رقم الحديث [١٦٥ (٢٦٤٠)] .

والترمذي : كتاب الزهد ـ باب ما جاء ان المرء مع مَنْ أحب ٥١٣/٢ ، رقم الحديث (٢٣٨٥) ، حديث صحيح .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (مَنْ عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه منادٍ بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلًا)[٧٢] .

---

(٧٢) سنن الترمذي : كتاب البر - باب زيارة الإخوان ٤/ ٣٢١ ، رقم الحديث (٢٠٠٨) ، حديث حسن صحيح .

المطلب الاول

الاخـــــــــوة

الأخوة في اللغة : [الصداقة والصحبة][٧٣] .

وأكثر ما يستعمل لفظ الإخوان في الأصدقاء والأخوة من الولادة[٧٤] .

وفي الاصطلاح : التضافر في سلوك طريق الحق برفع الهمة .

قال تعالى : ﴿ لو أنفقتَ ما في الأرضِ جميعاً ما ألّفت بين قلوبِهِمْ ولكنَّ اللّهَ ألّفَ بينهم ﴾[٧٥] .

وقال تعالى : ﴿ فاصبحتم بنعْمَتِهِ إخواناً ﴾[٧٦] .

وأمر رسوله الكريم ﷺ بقوله تعالى : ﴿ واصبر نفسكَ مع الذينَ يدعونَ ربَّهم بالغداةِ والعشي يريدونَ وجهه ﴾[٧٧] .

وقال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبلِ اللّهِ جميعاً ولا تفرَّقُوا ﴾[٧٨] .

وقد تقدم من الأحاديث في فضل الاخوة في الله تعالى ، ونذكر من السُنَّة ما نفي حق المطلب :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال : (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم مَنْ يخالل)[٧٩] .

---

(٧٣) أنظر : القاموس المحيط ٩٥/١ ، مادة : (أ خ و) .

وابن منظور : لسان العرب ٤٠٩/٣ . وصحاح الجوهري ٧٠/٣ .

(٧٤) مختار الصحاح ٨ ، مادة (أ خ و) .

(٧٥) سورة الانفال : من الآية (٦٣) .

(٧٦) سورة آل عمران : من الآية (١٠٣) .

(٧٧) سورة الكهف : من الآية (٢٨) .

(٧٨) سورة آل عمران : من الآية (١٠٣) .

(٧٩) سنن الترمذي : كتاب الزهد ـ باب (٤) ٥٠٩/٤ ، رقم الحديث (٢٣٧٨) . حديث حسن صحيح .

وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه ، ان النبي ﷺ قال : (إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما ان يحذيك وإما ان تبتاع منه ، وإما ان تجد ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما ان يحرق ثيابك إما أن تجد منه ريحاً منتنة)[80] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا - ويشير الى صدره ثلاث مرات - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[81] .

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (ان المسلم إذا عاد أخاه المسلم ، لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع) ، وفي رواية : قيل : يا رسول الله وما خرفة الجنة ؟ قال : (جناها)[82] .

الفرع الأول : شروط الاخوة :

لا بد من أن تسبر الأخ قبل مؤاخاته وتخبر أحواله قبل معاشرته ما دمت أحببته في الله تعالى لتفي بحقوقه التي سأبينها بعد ، أما ما يشترط في الأخ فكما يأتي :

١ — **العقل الراشد** : فإن الأحمق لا تثبت له مودة ، وقيل : عداوة العاقل أخف ضرراً من مودة الأحمق ، لأن الأحمق ربما ضر وهو يريد النفع ، والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرته .

٢ — **الدين** : فان الدين يقف بصاحبه على الخيرات ، وتارك الدين عدو نفسه فلا يرجى منه مودة غيره ، ولا تجوز صحبة الفاسق ولا المبتدع ، فانها لا تأتي إلا بالمضرة .

---

(٨٠) صحيح مسلم : كتاب البر - باب استحباب مجالسة الصالحين ٤/٢٠٢٦ ، رقم الحديث [١٤٦ (٢٦٢٨)] .

(٨١) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة - باب تحريم ظلم المسلم ٤/١٩٨٦ ، رقم الحديث (٢٥٦٤) .

(٨٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب - باب فضل عيادة المريض ٤/١٩٨٩ ، رقم الحديث (٢٥٦٨) .

٣ — **الخلق الحسن :** فالخلق الحسن يأخذ بصاحبه الى مراشد الامور وتدوم مودته ، ومودة الشرير تكسب العداء وتفسد الأخلاق .

٤ — **الميل والتجانس :** فلا بد من رغبة الطرفين في المؤاخاة ، ومَنْ طلب مودة ممتنع عليه ، خاب .

٥ — **الكرم والسخاء :** فمجالسة الحريص تحرك الحرص وترغبك في الدنيا وتكره صحبة طلاب الدنيا وتستحب صحبة الراغبين في الآخرة(٨٣) .

الفرع الثاني : حقوق الاخوة :

بعد الكلام فيما يشترط في الاخ نأتي على ما يجب له من حق ، وأجمل ذلك فيما يلي :

١ — **في المال :** ولك في ذلك ان تؤثره على نفسك ، وهو أرفع الخلق أو تساويه وعياله بنفسك وعيالك وذلك حسن ، أما معاملته معاملة الخادم والمسكين فيما يفضل عن حاجتك وحاجة أهلك فجائز وهي أدنى رتبة عن دينك .

٢ — **في الإعانة بالنفس :** وتتفاوت مثل المال في مراتب قضاء حاجات أخيه في أن يؤثره على نفسه وعياله أو يساويه أو يقوم بها إن ذكرها ، قيل : إذا استقصيت أخاك حاجة فلم يقضها فكبر عليه واقرأ : ﴿ والموتى يبعثهم الله ﴾(٨٤) .

٣ — **اللسان :** وحقه في اللسان بالسكوت عن عيوبه ، ومماراته ومنافسته والتجسس عليه ويكتم سره ، وبالنطق بالمحاب كالتودد اليه ويتفقده في أحواله وإظهار شغل القلب به ومشاركته في السراء بالسرور وبالضراء بالتأذي منها ، وإبلاغه ثناء مَنْ أثنى عليه .

٤ — **العفو عن الزلات والهفوات :** والهفوة والزلة إما في حق الله ، فإن كانت معصية مع إصراره عليها فعليك النصح ، فإن أخذ بها وإلا فالمفارقة ، وإن كان اللطف به يجدي نفعاً فعليك به ، وإن كانت الزلة في حقك فالعفو شيمة الكرام .

---

(٨٣) أنظر : أدب الدنيا والدين ١٦٨ ـ ١٧٠ . وإحياء علوم الدين ٢/ ١٨٥ ـ ١٨٨ . وآداب الصحبة والمعاشرة ٢١١ ـ ٢٢٣ . ومختصر منهاج القاصدين ٩٠ ـ ٩٢ .

(٨٤) سورة الانعام : من الاية (٣٦) .

٥ ـ **الدعاء له** : في حياته وبعد مماته كما تدعو لنفسك .

٦ ـ **الوفاء والاخلاص** : وهو الثبات على المودة في الحياة وبعد الممات بالصلة لعياله .

٧ ـ **التخفيف وترك التكلف والتكليف** : فلا يكلف أخاه ما يشق عليه ويروح سره من مهماته وحاجاته[٨٥] .

(٨٥) أنظر : آداب الصحبة والمعاشرة ٢٢٥ ـ ٢١٠ . وإحياء علوم الدين ٢/١٨٨ ـ ٢٠٨ . ومختصر منهاج القاصدين ٩٢ ـ ٩٦ . وأدب الدنيا والدين ١٧٣ ـ ١٨٦ .

المطلب الثاني
صحبة الشيوخ

لا بد لمَنْ أراد سلوك طريق الحق في الوصول الى الله تعالى من صحبة شيخ مرب عارف بالله عالم بالشريعة الغراء يصحبه في محبة الله ورسوله لتهذيب نفسه الأمّارة وتزكيتها والسلوك بها في المقامات والأحوال السامية ابتغاء مرضاة الله تعالى والوصول به الى مرتبة الاحسان التي وصفها حديث جبريل عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ واتبع سبيل مَنْ أنابَ إلي ﴾[٨٦] .

وقال تعالى : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أُوتوا العلم ﴾[٨٧] .

وفي صحبة سيدنا موسى عليه السلام لسيدنا الخضر عليه السلام في القرآن الكريم دليل واضح على بركة هذه الصحبة ، حيث قال : ﴿ هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً ﴾[٨٨] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾[٨٩] .

عن حنظلة رضي الله عنه قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه ، فقال : كيف أنت يا حنظلة؟ قلت : نافق حنظلة ! قال : سبحان الله ما تقول ؟! قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنها رأي العين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً ، قال أبو بكر رضي الله عنه : فوالله أنّا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ ، فقلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسولِ الله ﷺ : (وما ذاك ؟) ، قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة كأنها رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والضيعات نسينا كثيراً ، فقال رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طريقكم لكن يا حنظلة

---

(٨٦) سورة لقمان : من الآية (١٥) .

(٨٧) سورة العنكبوت : من الآية (٤٩) .

(٨٨) سورة الكهف : الآية (٦٦) .

(٨٩) سورة التوبة : الآية (١١٩) .

ساعة وساعة ثلاث مرات)[٩٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : (ان لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلًا يبتغون مجالس الذكر) ، وفي آخر الحديث : (فيقول الله تعالى : قد غفرت لهم ، وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا ، قال : يقولون : يا رب فيهم عبد خطّاء إنما مرَّ فجلس معهم ، قال : فيقول : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)[٩١] .

قال الإمام النووي : [وفي هذا الحديث فضيلة الذكر وفضيلة مجالسه ، والجلوس مع أهله وإن لم يشاركهم ، وفضل مجالسه الصالحين وبركتهم][٩٢] .

الفرع الاول : الشيخ وما يشترط فيه :

الشيخ في اللغة : [مَنْ استبانت فيه السن أو من خمسين الى آخر عمره][٩٣] .

وفي الاصطلاح : [مَنْ بلغ رتبة الكمال ولو كان يافعاً وهو المرشد][٩٤] .

وجملة ما يشترط فيمَنْ طلب شيخ التربية هي : سلامة الصدر ، ليس له في هذه الأمة عدو ، كريم ، يحب مَنْ أساء اليه ، ويتجاوز عن هفوات مريديه فلا ييأس عنده طالب ، عالم بالشريعة ، عارف بالله تعالى ، لا يميل الى الهوى في تربيته ، وما يبدو من مشاهد حاله زاهد في الدنيا[٩٥] .

هذا جل ما يمكن أن تراه ظاهراً عليه .

---

(٩٠) صحيح مسلم : كتاب التوبة ـ باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة ٢١٠٦/٤ ، رقم الحديث (٢٧٥٠) .

(٩١) صحيح البخاري : كتاب الدعوات ـ باب فضل ذكر الله عز وجل ٨ (١٠٧ ـ ١٠٨) وصحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء ـ باب فضل مجالس الذكر ٢٠٦٩/٤ ـ ٢٠٧٠ ، رقم الحديث (٢٦٨٩) .

(٩٢) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ٢٩٤/٥ .

(٩٣) القاموس المحيط ٢٧٢/١ ، مادة : (ش ي خ) .

(٩٤) العقد النضيد في آداب الشيخ والمريد : أبو الهدى الصيادي ، تحقيق : عبدالحكيم سليم عبدالباسط ، ص ٧ ـ ٨ ، ط دمشق ، ١٣٨٩هـ .

(٩٥) أنظر : الإبريز / ما نقله أحمد بن المبارك : عبدالعزيز الدباغ ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، ط عبدالحميد أحمد حنفي ، مصر .

الفرع الثاني : المريد :

الارادة في اللغة : [المشيئة][٩٦] ، والمريد اسم فاعل منها .

واصطلاحاً : [نهوض القلب في طلب الحق سبحانه وترك ما سواه][٩٧] .

وابتداء ذلك التحقق بمقام التوبة والورع[٩٨] .

ولا ينبغي الدخول على الشيخ قبل اعتقاده انه من أهل التربية[٩٩] ، فإذا تم له ذلك دخل في صحبته ولازم الادب في مجلسه ، فلا يتقدم على أحد من إخوانه مع ملازمة الصمت والتواضع ومراقبة أحوال الشيخ وطلب مرضاته في طاعة الله ورسوله والانقياد الكامل لامره ليرقى به في منازل السير ، ولا يكون ذلك إلا بالتشمير عن ساعد الجد ، فلا يخالط همته الهزل أبداً[١٠٠] .

ولا ينبغي له الاستسلام للأحوال بين يدي شيخه إلا ان ترد عليه غلبة تأخذه عن التمييز والاختيار ، ولا يعارض أحداً ولا يزاحم غيره في الحظوظ والأغراض وإن وقع منه تقصير في القيام بما أشار اليه شيخه ، فالواجب عليه تعريف ذلك لشيخه ليرى فيه رأيه ويدعو له بالتوفيق والتيسير والفلاح[١٠١] .

وينبغي له جمع حواسه وقلبه عند العمل ، وقد طالت الطريق على أُناس لغفلتهم عن ذلك فحجبوا بالاعمال عن المعمول له ، ثم يفتش أعضاءه الظاهرة والباطنة صباحاً ومساءاً هل حفظت حدود الله تعالى؟ فينيب الى باب الله تعالى[١٠٢] .

---

(٩٦) مختار الصحاح ٢٦٣ ، مادة : (ر ي د) .

(٩٧) الغنية ٣/١٢٦٥ .

(٩٨) أنظر : آداب المريدين ٢٨ .

(٩٩) أنظر : الإبريز ٢٣٧ .

(١٠٠) أنظر : عنوان التوفيق في آداب الطريق ١٤٨ ـ ١٥٧ .

(١٠١) أنظر :الغنية ٣/١٢٧٧ ـ ١٢٨٩ .

(١٠٢) أنظر : المختار من الانوار في صحبة الاخيار : الإمام عبدالوهاب الشعراني ، تحقيق : عبدالرحمن عميرة والاستاذ طلعت غنام ، ص ٨٩ ـ ٩١ ، ط المطابع الاميرية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

الفصل الخامس

الجهاد في سبيل الله تعالى

ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث

المبحث الاول : حكم الجهاد في سبيل الله تعالى

المبحث الثاني : شروط الجهاد في سبيل الله تعالى

المبحث الثالث : الرباط

المبحث الرابع : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

تمهيد

في تعريف الجهاد

الجهاد في اللغة : [بذل الوسع][1] .

وقد يُراد به قتال العدو[2] .

وفي التعريفات : [هو الدعاء الى دين الحق][3] .

وفي الاصطلاح : [قتال مسلم كافراً غير ذي عهد بعد دعوته للإسلام وإبائه إعلاء لكلمة الله تعالى[4] .

---

(١) مختار الصحاح ١١٤ .

(٢) أنظر : القاموس المحيط ١/٢٩٦ ، مادة : (ج هـ د) .

(٣) التعريفات ، ص ٥٥ .

(٤) فتح القدير ٤/٢٧٧ [illegible]

قال تعالى : ﴿ ادع الى سبيلِ ربّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة ﴾[٥] .

وقال تعالى : ﴿ فلا ينازعنَّكَ في الأمرِ وادعُ الى ربّكَ ﴾[٦] .

وقال تعالى : ﴿ فلذلك فأدع واستقم كما أُمِرت ﴾[٧] .

وقال تعالى : ﴿ كُتِبَ عليكم القتالُ وهو كُرهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرٌ لكم واللّهُ يعلمُ وأنتم لا تعلمون ﴾[٨] .

وقال تعالى : ﴿ إن اللّهَ اشترى من المؤمنينَ أنفسَهم وأموالَهُم بأنَّ لهم الجنة يقاتلون في سبيلِ اللّهِ فيقْتِلُون ويُقْتَلُون وعداً عليه حقاً في التوراةِ والإنجيلِ والقرآن ومَنْ أوفى بعهده من اللّهِ فأستبشروا ببيعِكُم الذي بايعتم به وذلك هو الفوزُ العظيم ﴾[٩] .

وقال تعالى : ﴿ وجاهدوا في اللّهِ حقَّ جهادِه ﴾[١٠] .

وقال تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتُم من قوةٍ ومِنْ رِباطِ الخيلِ تُرهبونَ بهِ عدوَ اللّهِ وعدوكم ﴾[١١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال : (انتدب الله لمَنْ خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي ، وإيمان بي ، وتصديق برسولي ، فهو عليَّ ضامن ، أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلًا ما نال من أجر وغنيمة)[١٢] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها)[١٣] .

---

(٥) سورة النحل : الآية (٢٥) .

(٦) سورة الحج : من الآية (٦٧) .

(٧) سورة الشورى : من الآية (١٥) .

(٨) سورة البقرة : الآية (٢١٦) .

(٩) سورة التوبة : الآية (١١١) .

(١٠) سورة الحج : الآية (٧٨) .

(١١) سورة الانفال : من الآية (٦) .

(١٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ـ باب فضل الجهاد ١٤٩٦/٣ ، رقم الحديث [١٠٤ (١٨٧٦)] .

والموطأ : كتاب الجهاد ـ باب الترغيب في الجهاد ٤٤٣/٢ ، ٤٤٤ .

(١٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير ـ باب الغدوة والروحة في سبيل الله ٢٠/٤ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال : (مَنْ دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور مَنْ تبعه لا ينقصه ذلك من أجورهم شيئاً ، ومَنْ دعا الى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام مَنْ تبعه لا ينقصه ذلك من آثامهم شيئاً)[١٤] .

---

(١٤) صحيح مسلم : كتاب العلم ـ باب مَنْ سن سُنَّة حسنة أو حسنة ٤/ ٢٠٦٠ ، رقم الحديث (٢٦٧٤) .

المبحث الأول

حكم الجهاد في سبيل اللّه تعالى

استدل قوم على ان الجهاد فرض عين بقوله تعالى : ﴿ انفروا خِفافاً وثِقالًا وجاهدوا بأموالكم وأنفسِكم في سبيلِ اللّهِ ﴾[١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ ألا تنفروا يعذّبكم عذاباً أليماً ﴾[١٦] .

وقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عليكم القتال ﴾[١٧] .

وبحديث أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال : (مَنْ مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق)[١٨] .

وأجيبوا : بقوله تعالى : ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أُولي الضرر والمجاهدون بأموالهم وأنفسهم فضّل اللّهُ المجاهدينَ بأموالِهم وأنفسِهم على القاعدينِ درجة وكُـلًا وَعَـدَ اللّهُ الحسنى ﴾[١٩] .

وهذا يدل على ان القاعدين غير آثمين مع جهاد غيرهم ، ولو كانوا كذلك لما كانوا أهلًا للمفاضلة أو الوعد بالحسنى ، ولان رسول الله ﷺ كان يبعث السرايا ويقيم هو وسائر أصحابه . وأما الآية التي احتجوا بها ، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما نسخها قوله تعالى :

---

(١٥) سورة التوبة : من الآية (٤١) .

(١٦) سورة التوبة : من الآية (٣٩) .

(١٧) سورة البقرة : من الآية (٢١٦) .

(١٨) صحيح مسلم : كتاب الإمارة ـ باب مَنْ مات ولم يغز ١٥١٧/٣ ، رقم الحديث [١٥٨ (١٩١٠)] .

(١٩) سورة النساء : من الآية (٩٥) .

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفرٌ من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ﴾[٢٠][٢١][٢٢].

والمراد من قول ابن عباس رضي الله عنهما تقييد الاطلاق لا النسخ إذ لم يكن الاصطلاح معروفاً عندهم .

وأما الوعيد في الآية ، فلمَنْ عينه النبي ﷺ لتعين الإجابة ، وقال السهيلي : كان فرض عين على الأنصار دون غيرهم لأنهم بايعوا عليه .

وكان إحاطة عدو بالمسلمين ، كالأحزاب من الكفار ، فانه مقتض لتعين جهاد المسلمين لهم ، وأما بعده ﷺ فللكفار حالان :

أحدهما : ان يكونوا ببلادهم مستقرين بها غير قاصدين شيئاً من بلاد المسلمين ، ففرض كفاية ، ونقل غير واحد الإجماع عليه كل عام لفعله ﷺ ولاقترانه بالجزية ولكونه عبادة متكررة وأقل عبادة تتكرر في العام مرة إذا فعله مَنْ فيه كفاية سقط عن الباقين ، ولو فرض على العيان لتعطل المعاش ، ولأنه إفساد في نفسه وإنما فرض لإعزاز دين الله ولو نفر الكل لضاع مَنْ وراؤهم من العيال .

أما إذا قصدوا المسلمين بالأذى وأحاطوا ببلدة من بلادهم ، فحراسة حصون المسلمين متعينة فوراً على كل مكلف بالجهاد[٢٣] .

ويرى الإمام مالك انه لا يكون قتال المشركين سواء غزوناهم أو أقبلوا الينا غزاة فدخلوا بلادنا حتى ندعوهم الى الإسلام وطاعة الله ورسوله أو يعطوا الجزية عن يد وإلا قاتلناهم[٢٤] .

وإذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرّم على مَنْ حضر ، الانصراف ، وتعين عليه الثبات والمقام لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذينَ آمنوا إذا لقيتم فئةً فأثبتوا واذكروا اللّهَ كثيراً ﴾[٢٥] .

---

(٢٠) سورة التوبة : من الآية (١٢٢) .

(٢١) رواه أبو داود : كتاب الجهاد ـ باب في نسخ نفير العامة بالخاصة ٢٣/٣ ، رقم الحديث (٢٥٠٥) ، حديث صحيح .

(٢٢) أنظر : المغني ١٦٢/٩ ؛ ومغني المحتاج ١٩٢/٤ .

(٢٣) أنظر : مغني المحتاج ١٩٣/٤ ـ ١٩٤ .
وفتح القدير ٢٧٩/٤ ؛ وتفسير القرطبي ٢٩٣/٨ .

(٢٤) أنظر : المدونة الكبرى ٢/٣ ـ ٣ .

(٢٥) سورة الأنفال : من الآية (٤٥) .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذينَ آمنوا إذا لقيتم الذينَ كفَرَوا زَحْفَاً فلا تولوهم الأدبارَ وَمَنْ يولِهِم يومئذٍ دبُرَه إلا متحرفاً لقتالٍ أو متحيزاً الى فئةٍ فقد باءَ بغضبٍ مِنَ اللّهِ ﴾[٢٦] .

وإذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا ما لَكُم إذا قيلَ لَكُم انفروا في سبيلِ اللّهِ إثّاقَلْتُم الى الارض ﴾[٢٧] .

وقوله تعالى : ﴿ ألا تَنْفُروا يعذِّبْكُم عذاباً أليماً ﴾[٢٨] .

وحديث المصطفى ﷺ : (إذا أُسْتُنْفِرْتُم فأنفروا)[٢٩][٣٠] .

ويغزى مع كل إمام سواء كان براً أم فاجراً ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أم فاجراً)[٣١] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاث من أصل الإيمان : الكف عمَّن قال لا إله إلا الله لا نكفره بذنب ، ولا نخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمتي الدجال ، والإيمان بالأقدار)[٣٢] .

ولأن في تركه معهم ظهور الكفار[٣٣] .

---

(٢٦) سورة الانفال : الآية (١٥) ، ومن الآية (١٦) .

(٢٧) سورة التوبة : من الآية (٣٨) .

(٢٨) سورة التوبة : من الآية (٣٩) .

(٢٩) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير ـ باب وجوب النفير ٢٨/٤ .

(٣٠) أنظر : المغني ١٦٣/٩ .

(٣١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير ـ باب الجهاد ماضٍ مع البر والفاجر ٣٤/٤ .

(٣٢) السنن الكبرى : للبيهقي : كتاب السير ـ باب الغزو مع أئمة الجور في سبيل الله ١٥٦/٩ .

(٣٣) أنظر : المغني ١٦٣/٩ .

المبحث الثاني

شروط وجوب الجهاد

يشترط لوجوب الجهاد شروط ، أولها : الإسلام ، لان أحكام التكليف إنما تُناط بالمسلم لا بغيره ، ولأن الكافر غير مأمون في الجهاد[٣٤] ، وللإمام استعانة بكفار من أهل الذمة وغيرهم ، وإنما تجوز الاستعانة بهمْ بشرطين :

أحدهما : أمن الخيانة وحسن رأيهم في المسلمين .

وثانيهما : أن يكونوا بحيث لو انضمت فرقتا الكفر أمكن مقاومتهم ودفعهم ، فإن زادوا بالإجتماع على الضعف لم تجز الاستعانة بهم[٣٥] .

ويشترط لوجوبه : البلوغ ؛ فلا يجب على صبي ، لانه لا يتأتى الجهاد منه لضعف بنيته ولم يكلفه الشارع به .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (عرضت على رسول الله ﷺ في جيش وأنا ابن أربع عشرة فلم يقبلني ثم عرضت عليه مَنْ قابل في جيش وأنا ابن خمس عشرة فقبلني)[٣٦][٣٧] .

ويشترط لوجوبه : العقل ؛ فالمجنون لا يتأتى منه الجهاد ، وهذه الثلاثة شروط لوجوب سائر الفروع[٣٨] .

---

(٣٤) أنظر : المصدر نفسه .

(٣٥) أنظر : مغني المحتاج ٢٠٤/٤ .

(٣٦) سنن الترمذي : كتاب الجهاد ـ باب ما جاء في حد بلوغ الرجل ومتى يفرض له ١٨٣/٤ ـ ١٨٤ ، رقم الحديث (١٧١١) ، حسن صحيح غريب .

(٣٧) أنظر : فتح القدير ٢٨٢/٤ ـ ٢٨٣ .
والمغني ١٦٣/٩ .

(٣٨) أنظر : المغني ١٦٣/٩ .

ومن شروط وجوب الجهاد : الحرية ، والذكورية ، فلا يجب الجهاد على عبد ولا امرأة لحق المولى والزوج ، فإن حق المولى والزوج حق متعين بإذن الله تعالى على ذلك العبد وتلك المرأة ، فانه لو تعلق بهما جهاد لزم اطلاق فعل الجهاد لهما واطلاقه يستلزم اطلاق ترك حق المولى والزوج ، فلو تعلق الجهاد بهما لزم إبطال حق جعله الله متعيناً لحق لم يجعله متعيناً عليه ، وهذا اللازم باطل فلا يتعلق الجهاد بهما[٣٩] .

ولأن المرأة ليست من أهل القتال لضعفها وخورها ، ولا يجب على خنثى مشكل ، لانه لا يعلم كونه ذكراً[٤٠] .

ومن شروط وجوبه : السلامة من الضرر ؛ فلا يجب الجهاد على أعمى ولا على مريض مقعد ولا أقطع[٤١] .

قال تعالى : ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرجِ حرج ولا على المريضِ حرج ﴾[٤٢] .

والعرج المانع من الجهاد هو الفاحش الذي يمنع المشي الجيد والركوب ، وأما اليسير الذي يتمكن معه من الركوب والمشي ، فلا يمنع وجوب الجهاد ، وكذلك المرض المانع هو الشديد ، فاما اليسير منه الذي لا يمنع إمكان الجهاد ، كوجع الضرس والصداع الخفيف ، فلا يمنع الوجوب ولا يتعذر معه الجهاد[٤٣] .

ويشترط لوجوب الجهاد : وجود النفقة ، لقوله تعالى : ﴿ ليس على الضعفاءِ ولا على المرضى ولا على الذينَ لا يجدونَ ما ينفقونَ حرجٌ إذا نصحوا للّهِ ورسولِهِ ﴾[٤٤] .

فيشترط أن يكون واجداً للزاد ونفقة عائلته في مدة غيبته ، وسلاح يقاتل به ، وإن كانت المسافة تقصر فيها الصلاة ، فتعتبر مع ذلك الراحة ، لقوله تعالى : ﴿ ولا على الذينَ إذا ما أتوْكَ لتحملهم قلتَ لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم

---

(٣٩) أنظر : فتح القدير ٤/٢٨٤ .

(٤٠) أنظر : المغني ٩/١٦٣ .

(٤١) أنظر : فتح القدير ٤/٢٨٣ .

(٤٢) سورة الفتح : من الآية (١٧) .

(٤٣) أنظر : المغني ٩/١٦٣ .

(٤٤) سورة التوبة : من الآية (٩١) .

تفيضُ مِنَ الدمعِ حزناً أنْ لا يجدواما ينفقون ﴾[45][46] .

وللإمام بذل الأهبة والسلاح من بيت المال ومن ماله إعانة للغازي ، وكذا يمكن لأفراد المسلمين ذلك لحديث الصحيحين : (مَنْ جهَّز غازياً فقد غزا ، ومَنْ خلفه في أهله بخير فقد غزا)[47][48] .

---

(٤٥) سورة التوبة : الآية (٩٢) .

(٤٦) أنظر : المصدر نفسه .

(٤٧) صحيح مسلم : كتاب الامارة ـ باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ... الخ ٣/١٥٠٦ ـ ١٥٠٧ ، رقم الحديث [١٣٥ (١٨٩٥)] .

(٤٨) أنظر : مغني المحتاج ٤/٢٠٥ .

المبحث الثالث

الربـــــاط

الرباط في اللغة : ما تربط به الدابة والقربة ويستعمل لملازمة ثغر العدو[49] .

وفي الاصطلاح : [عبارة عن المقام في ثغر العدو لإعزاز الدين ودفع المشركين][50] .

والثغر : كل مكان يخيف أهله العدو ويخيفهم ، قال الإمام أحمد : [ليس يعدل الجهاد عندي والرباط شيء][51] .

واختار كثير من السلف سكنى الثغور ، ولو كان الثغر المقابل للعدو لا تحصل به كفاية الدفع إلا بثغر وراءه فهما رباط[52] .

عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان)[53] .

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ قال : (كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر)[54] .

---

(٤٩) أنظر : مختار الصحاح ٢٢٩ ، مادة : (ر ب ط) .
والقاموس المحيط ٣٧٤/٢ ، مادة : (ر ب ط) .

(٥٠) إرشاد العباد الى الغزو والجهاد : أبو البركات أحمد فخرالدين القادري النقشبندي الموصلي ، ص ١٧ ، ط العامرة ، ١٣٣٦هـ .

(٥١) المغني ١٦٧/٩ .

(٥٢) إرشاد العباد الى الغزو والجهاد ، ص ١٨ .

(٥٣) صحيح مسلم : كتاب الامارة ـ باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل ١٥٢٠/٣ ، رقم الحديث [١٦٣ (١٩١٣)] .

(٥٤) سنن الترمذي : كتاب فضائل الجهاد ـ باب ما جاء في فضل مَنْ مات مرابطاً ١٤٢/٤ ، رقم الحديث (١٦٢١) .

ويرى الإمام أحمد ان تمام الرباط أربعون يوماً ، وكره نقل النساء والذرية الى الثغور المخوفة ، وعد ذلك إثماً(٥٥) .

ولما عظمت بلاد المسلمين وترامت أطرافها مع إحاطة أعدائها من كل جانب ، والجيوش الإسلامية لا يمكن ابقاؤها في كل مكان ولا استبقاء نفيرها وحيطتها وحذرها في كل زمان ، فإن ذلك ضياع واستنزاف لطاقاتها وتدمير لاقتصاد المسلمين ، فما كل الزمان حرب ، فاحتاجت التخوم المترامية الأطراف الى جيش يزود نفسه بنفسه لا يرد ميرة ولا يهدر من الاقتصاد شيء ، يعف عن الشهوات والحياة الناعمة ويرابط عند التخوم ويعمد الى الاكتفاء الذاتي من الزراعة وتربية الدواجن ورعي الاغنام ، وتساعد الزوجات المؤمنات في الغزل والنسج وتنشئة الطفل وإدامة البيت(٥٦) .

وغالب المرابطين وجلّهم من مشايخ الصوفية الأماجد الذي ملأوا الدنيا علماً وصلاحاً وتربية وخلقاً ، من ذلك في عبادان بشر الحافي ، ورباط الفتح عاصمة المغرب ، ورباط العباد في تلمسان الجزائر ، ورباط حلب وغير ذلك(٥٧) .

وقد استشهد ابراهيم بن أدهم ، وهو مرابط في جزيرة من جزائر بحر الروم ، وكان به ليلتها ألم في بطنه جعله يذهب الى الخلاء ليلة مات نحواً من عشرين مرة في كل مرة يجدد الوضوء ، فلما كانت غشية الموت ، قال : أوتروا لي قوسي ، فأوتروه ، فقبض عليه فمات وهو قابض عليه يريد الرمي الى العدو به ، رحمه الله وأكرم مثواه(٥٨) .

ولقد كان لمدرسة الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله فضل كبير في نشر الدين الإسلامي في الأمصار البعيدة التي لم تصل اليها جيوش المسلمين فدعوهم الى الإسلام ، ومن بين هذه الأمصار الهند وأندونيسيا والصين وأفريقيا وجزر المحيط الهندي ، كما أسلم بدعوتهم قبائل التتر والمغول(٥٩) .

ولم يكن ذلك غريباً على هذه المدرسة ، إذ كان سيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني يوثق الصلة بينه وبين نورالدين زنكي رحمهما الله تعالى ، فكان نورالدين

---

(٥٥) أنظر : المغني ١٦٧/٩ - ١٦٩ .

(٥٦) أنظر : معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي ١٨٩ - ١٩٠ .

(٥٧) أنظر : المصدر نفسه .

(٥٨) أنظر : البداية والنهاية لابن كثير ١٤٤/١٠ - ١٤٥ .
وتهذيب ابن عساكر ١٩٩/٢ .

(٥٩) أنظر : الدعوة الى الإسلام : توماس أرنولد ، ص ٩٥ ، ط لندن .

يرسل أبناء القدس الى بغداد ليدرسوا في مدرسة الشيخ عبدالقادر ، ثم يعودون الى مناطق الثغور قادة ودعاة ومرشدين ، وكل مَنْ تخرج من هذه المدرسةقد شارك في معركة حطين ، بضمنهم صلاح الدين الأيوبي ، ففتح الله تعالى على أيديهم بيت المقدس وطهّرها من براثن الصيلبية(٦٠) .

ومن سلفنا الصالح مَنْ اشتهر بالجهاد وغلب عليه ، فضلًا عن الرباط ، أمثال عبدالله بن المبارك ، حيث كتب من طرطوس ، وهو يجاهد العدو الى الفضيل بن عياض ، حيث كان يعبد الله في الحرم لعلمه بفضيلة ذلك :

يـــا عـابـد الحــرمين لــو أبصــرتنـا
لعلمت أنَّـــك بـــالعبـــادة تلعب
مَنْ كـــان يخضب جيـــده بـــدمـوعـه
فنحـــورنـــا بـــدمـــائنـــا تتخضب
أو كـــان يتعب خيلـــه في بـــاطـــلٍ
فخيـــولنـــا يـــوم الصبيحـــة تتعب
ريـــح العبيـــرِ لكم ونحن عبيـــرنـــا
وهـــج السنـــابـــكِ والغبـــارِ الاطيب
ولقـــد أتـــانـــا من مقـــال نبينـــا
قـــول صحيـــح صـــادق لا يكـــذب
لا يستـــوي غبـــار خيـــل اللّـــهِ في
أنفِ امـــرىءٍ ودخـــانِ نـــارٍ تلهب
هـــذا كتـــاب اللّـــهِ ينطق بيننـــا
ليس الشهيـــد بميتٍ لا يكـــذب(٦١)

---

(٦٠) أنظر : رجال الفكر والدعوة في الإسلام : أبو الحسن الندوي ، ص ٢٨٧ ، ط حيدر آباد .

(٦١) الاعلام : خير الدين الزركلي ٤/١١٥ .

وكان أتباع مدرسة سيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني في طليعة المدافعين عن مدينة بغداد ، عندما حاصرتها غارات الأتراك الذين استولوا على ولاية نيسابور مع الجيش وأهالي بغداد ، وكان الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمهما الله تعالى قائداً لأتباع المدرسة ، وبعد قتال عنيف استمر قرابة شهرين عجزت القبائل التركية عن اقتحام أسوار بغداد وعادت من حيث أتت[٦٢] .

---

(٦٢) من تحقيق :الغنية : فرج توفيق الوليد ١/ ١٠ .

المبحث الرابع

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهما فرض كفاية ثبت وجودهما بالكتاب والسُنَّة وإجماع الامة إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، لقوله تعالى : ﴿ ولتكُن منكم أمةٌ يدعونَ الى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ وينهون عن المنكرِ وأولئك هم المفلحون ﴾[٦٣][٦٤] .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم ﷺ ، بقوله : ﴿ خُـذِ العفوَ وأمر بالعرفِ وأعرض عن الجاهلين ﴾[٦٥] .

ووصف المؤمنين بقوله تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضُهم أولياء بعضٍ يأمرون بالمعروفِ وينهونَ عن المُنكرِ ويقيمونَ الصلاة ﴾[٦٦] .

وذمَّ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم عليهما السلام ، بقوله تعالى : ﴿ لُعِنَ الذينَ كفروا من بني إسرائيلَ على لسانِ داود وعيسى بن مريمَ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لَبِئْسَ ما كانوا يفعلون ﴾[٦٧] .

وفي السُنَّة المباركة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (مَنْ رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[٦٨] .

---

(٦٣) سورة آل عمران : من الاية (١٠٤) .

(٦٤) أنظر : إحياء علوم الدين ٢/٣٣٤ .

(٦٥) سورة الاعراف : الاية (١٩٩) .

(٦٦) سورة التوبة : من الاية (٧١) .

(٦٧) سورة المائدة : الايتان (٧٨ ، ٧٩) .

(٦٨) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ١/٦٩ ، رقم الحديث ٧٨ (٤٩)] .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، ان رسول الله ﷺ ، قال : (ما مِنْ نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمَنْ جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومَنْ جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومَنْ جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)[٦٩] .

وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش أم الحكم رضي الله عنها :(ان النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها ، قلت : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا كثر الخبث)[٧٠] .

وعن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خطبة خطبها : أيها الناس إنكم تقولون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها : ﴿ يا أيها الذينَ آمنوا عليكم بأنفسكم لا يضركم مَنْ ضلَّ إذا اهتديتم ﴾[٧١] ، واني سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)[٧٢] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : (لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم)[٧٣] .

وأما شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيمكن أن نوجزها فيما يأتي :

١ ـــ أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مكلفاً مسلماً قادراً ، وهذا شرط لوجوب الإنكار ، وقد اعتبر قوم العدالة واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ أتأمرونَ

---

(٦٩) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ـ باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ١/٦٩ ـ ٧٠ ، رقم الحديث [٨٠ (٥٠)] .

(٧٠) صحيح مسلم : كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب اقتراب الفتن ٤/٢٢٠٨ ، رقم الحديث [٢ (٢٨٨٠)] .

(٧١) سورة المائدة : من الآية (١٠٥) .

(٧٢) سنن الترمذي : كتاب الفتن ـ باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغيروا المنكر ٤/١٤٠٦ ، رقم الحديث (٢١٦٨) . حديث حسن صحيح .

(٧٣) سنن الترمذي : كتاب الفتن ـ باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤/١٤٠٦ ، رقم الحديث (٢١٦٩) . حديث حسن .

النَّاسَ بالبِرِ وتَنْسَونَ أنفسَكُم ﴾[٧٤] .

وليس في نلك حجة ، إذ ليس لإنسان أن يكون معصوماً من الذنوب ولو اشترط هذا لما وُجد شخص ليس له ذنب ، ولو قلنا بذلك كان خرقاً لإجماع الأمة ، وحسماً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٧٥] .

٢ ــ أن يكون المنكر معلوماً كونه منكراً بغير اجتهاد وهو موجود في الحال ظاهر .

٢ ــ يكفي في المنكر عليه كونه إنساناً ، ولا يشترط كونه مكلفاً فيصح نهي عن زنى صبي أو مجنون[٧٦] .

وتندرج أحوال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يأتي :

١ ــ أن يعلم ان المنكر يزول بقوله أو فعله من غير مكروه يلحقه ، فيجب عليه الإنكار .

٢ ــ أن يعلم ان إنكاره لا يفيد ، لكنه لا يخاف مكروهاً ، فلا يجب عليه لانتفاء الفائدة ، لكن يستحب لإظهار شعائر الدين .

٣ ــ أن يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله ، مثل كسر آلات اللهو أو إراقة الخمر ، مع علمه انه يضرب عقب نلك ، فيرتفع الوجوب عنه ويبقى مستحباً لحديث : (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)[٧٧] .

٤ ــ أن يعلم ان كلامه لا ينفع وانه إن تكلم ضرب فيرتفع الوجوب عنه[٧٨] .

---

(٧٤) سورة البقرة : من الآية (٤٤) .

(٧٥) أنظر : إحياء علوم الدين ٢/٣٤٠ .

(٧٦) أنظر : مختصر منهاج القاصدين ١١٧ ـ ١٢٠ .

(٧٧) سنن الترمذي : كتاب الفتن ـ باب ما جاء في فضل الجهاد ٤/٤٠٩ ، رقم الحديث (٢١٧٤) ، حديث حسن غريب .

(٧٨) أنظر : المصدر نفسه ١١٨ ـ ١١٩ .

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي المنّة والإنعام المتفضل بالابتداء والاختتام أسبغ نعمه ظاهرة وباطنة تتوالى على الدوام خلقاً وخُلقاً وتبارك الله ذو الجلال والإكرام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المخلوقات الذي كان خلقه القرآن فما من خلق رفيع ولا فضيلة نشرت إلا وله نسبتها وأصلها ومادتها وعلى آله وإصحابه ومَنْ تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد ، فقد تلخص لي من هذا الجهد المبارك قواعد هي إجمال ما فصل في ثنايا البحث أذكرها فيما يلي :

القاعدة الأولى : الخلق الحسن مَـلَـكَة الفضائل بتطبع النفس عليها .

القاعدة الثانية : وهو نوعان ، مكتسب من الخلة وضروري في الجبلة ينميه صفوة أهل الملة .

القاعدة الثالثة : أصول الأخلاق في الجماعة الحكمة والعفة والعدل والشجاعة .

القاعدة الرابعة : إماطة الحجب عن الطريق بالتوبة والورع على التحقيق .

القاعدة الخامسة : بالاستقامة والتبري من الحول والقوة حقيقة عبوديتك لذي القوة .

القاعدة السادسة : حسن حضور القلب مع مولاه والفكر في إسباغ ما آتاه يعجزه عن إيفاء ما أولاه .

القاعدة السابعة : معرفة العبد للآلاء تكسبه من الله الحياء .

الثامنة الثامنة : صدق وجهة العبد الى ربه تلزمه دوام محاسبة نفسه ، ومراقبةً بقلبه .

القاعدة التاسعة : التخلية قبل التحلية واجتناب الرذيلة مقدم على اكتساب الفضيلة .

القاعدة العاشرة : تجتمع في اللسان آفات ، إن باشرها العبد صار قلبه مرتعاً للظلمة والكثافات وساءت الصلة في الجماعات .

القاعدة الحادية عشرة : مهما كان في الذنوب الظاهرة من خطر فأمراض القلب أدهى وأمرّ منها الحقد والحسد والرياء والعجب والغضب والكبر ، وعلاجها بالصوم واللطافة وكثرة الذكر مع المخافة فضدها البر وحسن الصلة وذاك دأب العبد فيما أمله .

القاعدة الثانية عشرة : : إن أقبل العبد بالحب على دنياه ، فالحرص والطمع والبخل قد أظناه ثم خيانة وغدر في سجاياه فذاك عين البُعد عن مولاه .

القاعدة الثالثة عشرة : ومَنْ أراد النجاة من الدنيا بما فيها يلازم الزهد عما فيها ، فذاك علّة القرب من باريها .

القاعدة الرابعة عشرة : أول الرجوع حسن الندم وترك الذنوب كلًا للعدم .

القاعدة الخامسة عشرة : بمرارة الصبر يحلو عسل الرضا ويربط الجأش للتوكل فيما قضى .

القاعدة السادسة عشرة : إفراد القلب بالاخلاص للمتعالي في صدق نيات وأقوال وأفعال وأحوال .

القاعدة السابعة عشرة : صفاء الود في محبة المصطفى تكسوك حلة أهل الصفا ، فيذعن القلب لمولاه بالمحبة ، ويبغض ما أبغض فيه أو أحبه .

القاعدة الثامنة عشرة : شيمة المحب بذل روحه لمَنْ أراده وغاية المنى في سبيله شهادة بها الفوز بالحسنى لمَنْ أراد وزيادة .

تراجم الاعلام

● **ابراهيم النخعي (٤٦هـ ٩٦ = ٦٦٦م - ٧١٥م) :**

هو ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعي ، من مذحج ، من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث ، من أهل الكوفة ، فقيه العراق ، كان إماماً مجتهداً له مذهب ، قال فيه الشعبي :(والله ما ترك بعده مثله) ، مات مختفياً من الحجاج .

م / حلية الأولياء ٢١٩/٤ ؛ الأعلام ٨٠/١ .

● **ابن الاثير (٥٥٥هـ - ٦٣٠هـ) :**

عزالدين أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بآبن الأثير الجزري ، الشيخ الإمام العالم الحافظ البارع الأوحد من بقية السلف ، ولد في جزيرة ابن عمر واليها نسبته ، وكان له باع في التاريخ وله فيه كتاب الكامل ، توفي في الموصل .

م / أسد الغابة ٩/١ ؛ سير أعلام النبلاء ٣٥٢/٢٢ ؛ الأعلام ٣٣١/٤ - ٣٣٢ .

● **ابن أدهم (ت ١٦١هـ = ٧٧٨م) :**

ابراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي أبو أسحق ، زاهد مشهور ، متفقه ، وذكروا انه توفي في جزيرة من جزائر بحر الروم وهو مرابط .

م / البداية والنهاية ١٣٨/١٠ ؛ حلية الأولياء ٣٦٧/٧ ؛ الأعلام ٣١/١ ؛ طبقات الصوفية ٢٧ - ٣٨ .

● **ابن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ = ٩٩٤ ـ ١٠٦٤م) :**

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، أبو محمد ، عالم الأندلس في عصره ، وأحد أئمة الإسلام ، زاهد ، مؤلف ، باحث ، فقيه ، حافظ ، يستنبط الأحكام من الكتاب والسُّـنَّة ، بعيد عن المصانعة ، أصله من الفرس ، له مؤلفات كثيرة منها : الملل والأهواء والنحل ، والمحلى ، وجمهرة الأنساب ، والناسخ والمنسوخ ، وحجة الوداع ، وديوان شعر غير كامل ؛ وفضائل الأندلس ، وأمهات الخلفاء ، ورسائل ابن حزم .

م / سير أعلام النبلاء ١٨/١٨٤ ـ ٢١٢ ؛ الأعلام ٤/٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

● **ابن سيرين (٣٣هـ ـ ١١٠هـ = ٦٥٣م ـ ٧٢٩م) :**

محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء أبو بكر ، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة ، تابعي من أشراف الكتّاب ، مولده ووفاته في البصرة ، نشأ بزازاً ، في أذنه صمم ، تفقه وروى الحديث واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا ، استكتبه أنس بن مالك بفارس ، وكان أبوه مولى لأنس ، ينسب له كتاب « تعبير الرؤيا » .

م / وفيات الأعيان ، ص ٤٥٣ ، حلية الأولياء ٢/٢٦٣ ؛ الأعلام ٦/١٥٤ .

● **ابن عطاء الله السكندري (ت ٧٠٩هـ = ١٣٠٩م) :**

هو أحمد بن محمد بن عبدالكريم ، أبو الفضل تاج الدين ابن عطاء الله السكندري ، متصوف شاذلي ، له تصانيف كثيرة ، منها الحكم العطائية وتاج العروس ، توفي بالقاهرة .

م / كشف الظنون ٦٧٥ ؛ الأعلام ١/٢١١ .

● **ابن فورك (٤٠٦هـ = ١٠١٥م) :**

محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني ، أبو بكر ، واعظ عالم بالأصول والكلام ، من فقهاء الشافعية ، سمع بالبصرة وبغداد وحدث بنيسابور ، وتوفي على مقربة منها ، قتله محمود بن سيلتكين لقوله : كان رسول الله ﷺ رسولًا في حياته فقط .

م / وفيات الأعيان ١/٤٨٢ ؛ الأعلام ٦/٨٣ .

● ابن قيم الجوزية (٦٩١هـ ٧٥١هـ = ١٢٩٢م - ١٣٥٠م) :

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، أبو عبدالله ، شمس الدين ، أحد كبار العلماء ، مولده ووفاته في دمشق ، تتلمذ على ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ، له تصانيف كثيرة منها مدارج السالكين ، أعلام الموقعين .

م / البداية والنهاية ٢٤٦/١٤ - ٢٤٩ ؛ الأعلام ٥٦/٦ .

● ابن المبارك (١١٨هـ ١٨١هـ = ٧٣٦م - ٧٩٧م) :

هو عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء ، التميمي ، الحافظ شيخ الإسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات ، جمع الحديث والفقه والعربية ، شجاع ، سخاء ، مات بهيت منصرفاً من غزو الروم .

م / حلية الأولياء ١٦٢/٨ ؛ الأعلام ١١٥/٤ .

● أبو بكرة الثقفي :

أبو بكرة واسمه نفيع بن الحارث بن كلوة بن عمرو بن علاج بن أبي مسلمة بن عبدالعزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي ، كان من فضلاء أصحاب رسول الله ﷺ وصالحهم ، كثير العبادة ، وكان أولاده أشرافاً في البصرة .

م / أسد الغابة ٢٨/٦ برقم (٥٧٣١) ؛ الإصابة بة ١٨٣/١٠ .

● أبو بكر الشبلي (٢٤٧هـ - ٣٣٤هـ) :

هو دلف بن جحدر ، ويقال ابن جعفر ، ويقال جعفر بن يونس ، وهو خراساني الأصل ، ولد في سر مَنْ رأى ، ونشأ في بغداد ، أصله من أسروسنه ، محب للجنيد ، صار أوحد وقته حالًا وعلماً وفقهاً ، كان عالماً وفقيهاً على مذهب الإمام مالك ، عاش ٨٧ عاماً ، توفي في ذي الحجة ٣٣٤هـ ، دفن في مقبرة الخيزران ، كتب الحديث ورواه .

م / طبقات الصوفية ، ص ٣٣٧ ؛ الأعلام ٢٤١/٢ ؛ صفة الصفوة ٢٥٨/٢ .

● أبو بكر الكتاني (ت ٣٢٢هـ) :

هو محمد بن علي بن جعفر الكتاني ، وكنيته : أبو بكر ، أصله من بغداد ، كان أحد الأئمة ، صحب الجنيد وأبا سعيد الخراز ، سراج الحرم ، أقام بمكة ومات بها .

م / حلية الأولياء ٣٥٧/١٠ ؛ صفة الصفوة ٢٥٧/٢ ؛ الرسالة القشيرية ، ص ٣٥ ؛ نتائج الأفكار القدسية ، ط ١ ، ص ١٩٤ ، طبقات الشعراني ٩١٩/١ ؛ سير أعلام النبلاء ٥٣٣/١٤ ـ ٥٣٥ ؛ طبقات الصوفية ، ص ٣٧٣ .

● ابو تراب النخشبي (٢٤٥هـ) :

هو عسكر بن حصين ، ويقال : عسكر بن محمد بن حصين ، هو من جلة مشايخ خراسان والمذكورين بالعلم والفتوة والتوكل والزهد والورع ، قيل نهشته السباع ٢٤٥هـ ، أسند الحديث .

م / طبقات الصوفية ، ص ١٤٦ ؛ حلية الأولياء ٢١٩/١٠ ـ ٢٢٢ ؛ سير أعلام النبلاء ٥٤٥/١١ .

● أبو ثعلبة الخشني (ت ٧٥هـ) :

اسمه وائل بن النمر بن وبرة بن ثعلب ، غلبت عليه كنيته ، وهو من عبّاد الصحابة ، له في جملة أهل الصفة ذكر ومدخل ، مات في صلاة جوف الليل وهو ساجد .

م / حلية الأولياء ٢٨/٢ ؛ أسد الغابة ٤٤/٦ ؛ الإصابة ٥٤/١١ ؛ الاستيعاب ١٦٦/١١ .

● أبو الحسين النوري (٢٩٥هـ) :

أحمد بن محمد ابن البغوي ، كان أجلّ مشايخ القوم بوقته ، صحب السري السقطي ، ولد ببغداد ، خراساني الأصل ، كان عابداً .

م / حلية الأولياء ٢٤٩/١٠ ـ ٢٥٥ ؛ صفة الصفوة ٢٤٧/٢ ؛ طبقات الشعراني ٢٦/١ ؛ البداية والنهاية ١١٣/١١ ؛ سير أعلام النبلاء ٧٠/١٤ ؛ طبقات الصوفية ، ص ١٦٤ .

● أبو حميد الساعدي (٦٠هـ) :

اسمه عبدالرحمن ، من فقهاء الصحابة ، وقع له في (مسند) ستة وعشرون حديثاً ، وله حديث في صفة هيئة صلاة رسول الله ﷺ أخرجه البخاري ٢٥٢/٢ ، ٢٥٥ في صفة الصلاة .

م / الاستيعاب ١١٩/١١ ؛ الإصابة ٨٩/١١ ؛ سير أعلام النبلاء ٤٨١/٢ برقم (٩٧) ؛ أسد الغابة ٧٨/٦ .

● **أبو الدرداء (ت ٣٢هـ) :**

هو عويمور بن عامر بن مالك بن زيد بن قيس أمية بن عامر بك كعب الخزرجي ، صحابي مشهور بكنيته ، حكيم هذه الأمة

كان فقيهاً ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي ، استقضاه عمر على دمشق .

م / الإصابة ١١٦/١١ ؛ أسد الغابة ٩٧/٦ ؛ الإستيعاب ٢٦٦/١١ ؛ سير أعلام النبلاء ٣٣٥/٢ .

● **أبو داود :**

هو كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الأيادي ، كريم يُضرب المثل به بحسن الجوار ، جاهلي ، من أجود العرب .

الأعلام ٢٢٩/٥ .

● **أبو ذر الغفاري (٣٢هـ = ٦٥٢م) :**

جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار من كنانة بني خزيمة ، صحابي من كبارهم ، قديم الإسلام ، خامس مَنْ أسلم ، يُضرب به المثل في الصدق ، كان كريماً لا يخزن قليلًا ولا كثيراً ، مات في الريذة ، ولما مات لم يكن في داره ما يُكفن به

م / الإصابة ١١٨/١١ ؛ صفة الصفوة ٢٣٨/١ ؛ حلية الأولياء ١٥٦/١ ؛ أسد الغابة ٣٥٧/١ ؛ الأستيعاب ٢٤١/١١ ؛ سير أعلام النبلاء ٤٦/٢ ؛ الأعلام ١٤٠/٢ .

● **أبو ذر الهروي (٣٥٥- ٤٣٥هـ = ٩٦٦ - ١٠٤٤م) :**

عبدالله بن أحمد بن محمد الهروي أبو ذر ، حافظ للحديث ، من علماء المالكية ، أصله من هراة ، توفي في مكة ، له تصانيف منها : مسانيد الموطأ ، وفضائل مالك بن أنس ، وبيعة العقبة .

م / الأعلام ٦٦/٤ .

● **أبو سعيد الخدري (٧٤هـ) :**

صحابي من الحفَّاظ لحديث النبي ﷺ ، مفتي المدينة ، اسمه سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر وهو خدرة بن الحارث بن الخزرج ، قال : عرضت

يوم أُحُد على النبي ﷺ وأنا ابن ثلاث عشرة .
م / الإستيعاب ٢٨٣/١١ ؛ أسد الغابة ١٤٢/٦ ؛ صفة الصفوة ٢٩٩/١ .

● **ابو سعيد الخراز (٢٧٧هـ وقيل : ٢٨٦هـ) :**

اسمه أحمد بن عيسى ، وهو من أهل بغداد ، صحب ذوالنون المصري ، وسري السقطي ، أول مَنْ تكلم بعلم الفناء والبقاء ، أسند الحديث ، صوفي .
م / حلية الأولياء ٢٤٦/١ ـ ٢٤٩ ؛ صفة الصفوة ٢٤٥/٢ ـ ٢٤٧ ؛ طبقات الشعراني ١١٧/١ ؛ الرسالة القشيرية ، ص ٢٩ ؛ البداية والنهاية ٥٨/١١ ؛ طبقات الصوفية ، ص ٢٢٨ .

● **أبو سليمان الداراني (٢١٥هـ) :**

إمام كبير زاهد عصره اسمه عبدالرحمن بن عطية ، ويقال : عبدالرحمن بن أحمد بن عطية ، من أهل (داريا) قرية من قرى دمشق ، وهو عنس ، مات أبو سليمان سنة ٢١٥هـ ، أسند الحديث .
م / طبقات الصوفية ، ص ٧٥ ؛ حلية الأولياء ٢٥٤/٩ ؛ صفة الصفوة ١٩٧/٤ ؛ سير أعلام النبلاء ، ١٨١/١٠ .

● **أبو علي الروزباري (ت ٣٢٢هـ) :**

اسمه أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور [ابن شهريار بن مهرذازاز بن فرغدد بن كسرى] ، هو من أهل بغداد ، سكن مصر ، صار شيخها ومات بها ، كان عالماً فقيهاً ، [عارفاً بعلم الطريقة] ، حافظاً ومسنداً للحديث .
م / طبقات الصوفية ، ص ٣٥٤ ؛ حلية الأولياء ٣٥٦/١٠ ؛ صفة الصفوة ١٥٦/٢ .

● **أبو الفتح البستي (٤٠٠هـ = ١٠١٠م) :**

علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبدالعزيز البستي ، أبو الفتح ، شاعر عصره وكاتبه ، ولد في بست (قرية سجستان) واليها نسبته .
م / الأعلام ٣٢٦/٤ ؛ وفيات الأعيان ٣٥٦/١ .

● **أبو القاسم القشيري (٣٧٦هـ ـ ٤٦٥هـ = ٩٨٦م ـ ١٠٧٢م) :**

عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة القشيري الصوفي ، كان من صفوة

هذه الطائفة ومن صفوة أوليائها وأفضلهم ، ورعاً شيخ خراسان في عصره ، زهداً وعلماً ، أقام بنيسابور وتوفي فيها .

م / الاعلام ٤/مَنْ٥ ؛ وفيات الاعيان ١/٢٩٩ ؛ الرسالة القشيرية في علم التصوف ، ص ٣ .

● ابو القاسم الجنيد البغدادي (٢٩٧هـ) :

الجنيد بن محمد أبو القاسم الزجاج ، كان أبوه يبيع الزجاج ، أصله من نهاوند ، ومولده ومنشؤه بالعراق ، كان فقيهاً تفقه على أبي ثور ، وكان يفتي بحلقته ، صحب السري السقطي ، والحارث المحاسبي ، وهو من أئمة القوم وسادتهم ، مقبول على جميع الالسنة ، توفي سنة (٢٩٧هـ) آخر ساعة من يوم الجمعة .

م / حلية الأولياء ١٠/٢٥٥ ؛ طبقات الصوفية ١٥٥ ـ ١٦٣ ؛ صفوة الصفوة ٢/٢٣٥ ؛ وفيات الاعيان ١/١٤٦ .

● ابو محمد الجريري :

يقال : ان اسمه أحمد بن محمد بن الحسين ، كنية والده : أبو الحسن ، ويقال : ان اسم الجريري الحسن بن محمد ، من كبار أصحاب الجنيد ، من علماء مشايخ القوم ، مات سنة ٣١١هـ ، أسند الحديث .

م / طبقات الصوفية ، ص ٢٥٩ ؛ حلية الأولياء ١٠/٢٤٧ ؛ صفة الصفوة ٢/٢٥٢ .

● ابو موسى الاشعري (٢١ق. هـ ـ ٤٤هـ = ٦٠٢ ـ ٦٦٥م) :

عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن أبي موسى ، من بني الأشعر من قحطان ، صحابي ، من الشجعان الولاة الفاتحين ، قدم مكة عند ظهور الإسلام فأسلم ، استعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعدن ، وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه البصرة سنة ١٧هـ ، توفي في الكوفة ، كان أحسن الصحابة صوتاً في التلاوة ، خفيف الجسم وقصير ، له في الحديث ٣٥٥ حديثاً .

م / الإستيعاب ١١/١٥٦ ؛ الإصابة ٦/١٩٤ ؛ صفة الصفوة ١/٢٢٥ ؛ حلية الأولياء ١/٢٥٦ ؛ الاعلام ٤/١١٤ .

● ابو واقد الليثي (ت ٦٨هـ) :

صحابي ، اختلف في اسمه ، قيل : الحارث بن مالك ، وقيل : ابن عوف ، وقيل :

عوف بن الحارث بن أسيد ، أسلم قديماً ، وكان يحمل لواء بني ليث وضمرة وسعد بن بكر يوم الفتح وحنين ، قيل : مات ابن خمس وسبعين في مكة ودُفن في مقبرة المهاجرين .

م / الإصابة في تمييز الصحابة ٨٨/١٢ ؛ الإستيعاب ١٨٠/١٢ ؛ أسد الغاية ٤١٣/١ .

● ابو يعلي (٢١٠هـ - ٣٠٧هـ) :

أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي ، أبو يعلي ، حافظ من علماء الحديث ، ثقة مشهور ، نعته الذهبي بمحدث الموصل ناهز المائة ، توفي بالموصل ، له تصانيف كثيرة في الحديث ، منها المسند والمعجم .

م / سير أعلام النبلاء ١٧٤/١٤ ؛ الأعلام ١٧١/١ .

● أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي القاسمي أبو العباس زروق (٨٤٦هـ - ٨٩٩هـ = ١٤٤٢م - ١٩٤٣م) :

فقيه محدث صوفي ، من أهل فاس (بالمغرب) ، تفقه في بلده ، وقرأ بمصر والمدينة ، وغلب عليه التصوف فتجرد وساح ، وتوفي في تكرين (من قرى سراته) من أعمال طرابلس الغرب ، له تصانيف كثيرة يميل الى الاختصار مع التحرير ، وانفرد بجود التصنيف في التصوف من كتبه .

م / الأعلام ٩١/١ .

● الاذرعي (٦٥٧هـ - ٧٣١هـ = ١٢٥٩م - ١٣٣٠م) :

علي بن سليم بن ربيعة سليمان الأذرعي أبو الحسن ضياء الدين ، قاض من فضلاء الشافعية ، ولد بنابلس ، وتوفي بالرملة بفلسطين .

م / الأعلام ٢٩١/٤ .

● ارسطو (٣٨٤ق. م - ٣٢٢ق م) :

فيلسوف يوناني ، تتلمذ على افلاطون وعلم الاسكندر الاكبر وأسس اللوقيون ، حيث كان يحضر ماشياً فسميَ هو وأتباعه بالمشائين ، ألف الاورغالون في المنطق ، كتب العلم الطبيعي وما بعد الطبيعة .

م / الموسوعة الثقافية ، ص ٦٣ .

● **الاشعث بن قيس (٤٢هـ) :**

هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن الحارث بن معاوية بن ثور الكندي ، وكان من ملوك كندة ، وكان قد إرتد وأُستُتِرَ وأُحضر الى أبي بكر فأسلم فاطلقه ، مات سنة ٤٢هـ ، وصلى عليه الحسن بن علي « رضي الله عنه » .

م / أسد الغابة ١/١١٨ ؛ الإصابة ١/٨٠ .

● **الاشعري (٢٦٠ ـ ٣٢٤هـ = ٨٧٤ ـ ٩٣٦م) :**

علي بن اسماعيل بن اسحق أبو الحسن ، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري ، مؤسس مذهب الأشاعرة ، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين ، ولد في البصرة ، وتوفي ببغداد .

م / وفيات الأعيان ١/٣٢٦ ؛ الاعلام ٤/٢٦٣ .

● **الاغر بن بشار المزني :**

من المهاجرين ، صحابي ، متواضع ، ذكر الحديث في السلم وقد أخرجه البغوي في ترجمة الاغر المزني ، وسمعناه في الأدب المفرد للبخاري ، روى عنه أهل البصرة .

م / حلية الأولياء ١/٣٤٩ ؛ الإستيعاب ١/١٩١ ؛ أسد الغابة ١/١٢٥ .

● **افلاطون (٤٢٧ق.م ـ ٣٤٧ق.م) :**

فيلسوف يوناني ، تتلمذ على سقراط ، ودوّن أفكاره على شكل محاورات ، أسس الاكاديمية في أثينا ، ووضع نظرية المثل ، وهي أقوى تاكيد لاستقلال المعقولات عن المحسوسات ولموضوعية القيم في الفكر الغربي ، كانت فلسفته السياسية تميل الى النزعة الارستقراطية ، أشهر محاوراته (الجمهورية) التي رسم فيها أول صورة للمدينة الفاضلة .

م / الموسوعة الثقافية ـ مصر ـ مؤسسة فرانكلين ، ص ١٠١ .

● **انس بن مالك (١٠ق.هـ ـ ٩٣هـ = ٦١٢م ـ ٧١٢) :**

هو أنس بن مالك بن النضر بن خضم النجادي الخزرجي الانصاري أبو ثمامة أو أبو حمزة ، صاحب وخادم رسول الله ﷺ ، آخر مَنْ مات من الصحابة بالبصرة .

م / صفوة الصفوة ٢٩٨/١ ؛ الإصابة ١١٤/١ ؛ الإستيعاب ٢٠٩/١ ؛ أسد الغابة ١٥٠/١ ؛ الأعلام ٢٥/٢ .

● **أيوب السختياني (٦٦هـ - ١٣١هـ = ٦٨٥م - ٧٤٨م) :**

أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري ، أبو بكر ، سيد فقهاء عصره ، تابعي من النساك الزهاد ، ومن حفاظ الحديث ، روي عنه نحو ٨٠٠ حديثاً .
م / حلية الأولياء ٣/٣ ؛ سير أعلام النبلاء ١٥/٦ ؛ صفة الصفوة ٢١٢/٣ ؛ الإعلام ٣٨/٢ .

● **الباقلاني (٣٣٨ - ٤٠٣هـ ٩٥٠ - ١٠١٣م) :**

محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، أبو بكر ، قاض من كبار علماء الكلام ، انتهت اليه الرياسة في مذهب الأشاعرة ، ولد في البصرة ، وسكن بغداد ، وتوفي فيها .
م / وفيات الأعيان ٤٨١/١ ؛ الاعلام ١٧٦/٦ .

● **البراء بن عازب (٧١هـ = ٦٩٠م) :**

البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي ، أبو عمارة ، قائد صحابي من أصحاب الفتوح ، أسلم صغيراً وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة ، عاش الى أيام مصعب بن الزبير ، وتوفي في زمنه .
م / أسد الغابة ٢٠٥/١ ؛ الإستيعاب ٢٨٨/١ ؛ الاعلام ٤٦/٢ .

● **بشر الحافي (٢٢٧هـ) :**

بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبدالله الحافي ، كان عالماً ورعاً صوفياً .
م / حلية الأولياء ٣٣٦/٨ - ٣٦٠ ؛ الطبقات الكبرى للشعراني ٨٤/١ - ٨٦ ؛ الرسالة القشيرية ، ص ١٤ ؛ وفيات الاعيان ١١٢/١ ؛ صفة الصفوة ١٨٣/٢ - ١٩٠ ؛ طبقات الصوفية ، ص ٣٩ .

● **البلخي :**

هو شقيق بن ابراهيم أبو علي البلخي من مشايخ خراسان ، وهو أول مَنْ تكلم بالاحوال ، بكورة خراسان ، زاهد ، صحب ابراهيم بن أدهم ، وهو أستاذ حاتم الأصم .

م / الطبقات الكبرى للشعراني ٧٦/١ ؛ طبقات الصوفية ٦١ ؛ حلية الأولياء ٥٨/٨ ؛ صفة الصفوة ١٣٣/٤ .

● **البوصيري (٦٠٨ - ٦٩٦هـ ١٢١٢ = ١٢٩٦م) :**

محمد بن سعيد بن حماد بن عبدالله الصنهاجي البوصيري المصري ، شرف الدين أبو عبدالله ، شاعر ، حسن الديباجة ، مليح المعاني ، من أشهر شعره البردة ، والهمزية ، توفي بالاسكندرية .

م / الاعلام ١٣٩/٦ .

● **ثابت بن أسلم البناني (ت ١٢٧هـ) :**

يكنى بأبي محمد ، أعبد رجل في زمانه ، إمام قدوة شيخ الإسلام ، ولد في خلافة معاوية ، كان من أئمة العلم والعمل ، أسند الحديث ، توفي في ولاية خالد بن عبدالله على العراق ، مات وهو ابن ست وثمانين سنة .

م / سير أعلام النبلاء ٢٢٠/٥ ؛ صفة الصفوة ١٨٤/٣ .

● **ثابت الضحاك (٤٥هـ = ٦٦٥م) :**

ثابت الضحاك بن خليفة الأشهلي الأوسي المدني ، أبو زيد ، صحابي ممن بايع تحت الشجرة ، له ١٤ حديثاً ، ولد سنة ثلاث من البعثة ، ومات في أيام الزبير ، شهد بدراً وكان رديف رسول الله ﷺ يوم الخندق .

م / أسد الغابة ٢٧١/١ ؛ الإستيعاب ٨١/٢ ؛ الإصابة ١١/٢ ؛ الأعلام ٩٨/٢ .

● **جابر بن عبدالله (١٦ق. هـ = ٦٠٧ - ٦٩٧م) :**

جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الخزرجي الانصاري السلمي ، صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ ، روى له البخاري ومسلم وغيرهما ١٥٤٠ حديثاً .

شهد بدراً ، توفي سنة ٧٤هـ ، وصلى عليه أبان بن عثمان وكان عمره ٩٤ سنة .

م / أسد الغابة ٢٠٧/١ ؛ الإصابة ٤٥/٢ ؛ الإستيعاب ١٩/٢ ؛ الأعلام ١٠٤/٢ .

● الجبائي (٢٣٥ ـ ٣٠٣هـ = ٨٤٩ ٩١٦م) :

هو محمد بن عبدالوهاب بن سلام الجبائي ، أبو علي ، من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره واليه نسبة الطائفة الجبائية ، نسبته الى حي (من قرى البصرة) . اشتهر بالبصرة ودُفن بحي ، له (تفسير) حافل مطول رد عليه الاشعري .

م / وفيات الأعيان ٤٨٠/١ ؛ الأعلام ٢٥٦/٦ .

● جويرية بنت الحارث (٥٦هـ = ٦٧٦م) :

هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار من خزاعة زوجة الرسول ﷺ ، من فضليات النساء أدباً وفصاحة ، روى لها سبعة أحاديث ، توفيت وهي بنت خمس وستين سنة .

م / صفة الصفوة ٢٦/٢ ؛ الإستيعاب ٢٢٤/٢ ؛ الأعلام ١٤٨/٢ .

● جويرية المعصريّ :

قال النبي ﷺ : (فيك خصلتان يحبهما الله ، الحلم ، والاناة) أخرجه ابن منده ، وأبو نعيم .

م / أسد الغابة ٨٣٢/١ برقم ٨٣٢ ؛ الإصابة ١١٨/٢ ؛ برقم(١٢٥٩) ؛ الإستيعاب ٢١٧/٢ .

● الجويني ـ إمام الحرمين (٤١٩هـ ٤٧٨هـ = ١٠٢٨ ـ ١٠٨٥م) :

هو عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني ، أبو المعالي ، ركن الدين الملقب بإمام الحرمين ، من أصحاب الشافعي ، ولد في جوين (من نواحي نيسابور) ، رحل الى بغداد ثم مكة حيث جاور أربع سنين ، وذهب الى المدينة ، فأفتى ودرّس ، جامعاً طرق المذاهب ، ثم عاد الى نيسابور ، بنى له الوزير نظام الملك (المدرسة النظامية) ، توفي بنيسابور ، الفقه فقه الشافعي والادب أدب الاصمعي ، وفي الوعظ الحسن البصري .

م / وفيات الاعيان ٢٨٧/١ ؛ سير أعلام النبلاء ٤٦٨؛ الأعلام ١٦٠/٤ .

● حاتم الطائي (٤٦ق. هـ = ٥٧٨م) :

هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني ، أبو عدي ،

فارس ، شاعر ، جواد . جاهلي ، يُضرب المثل بجوده ، وأرّخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبي ﷺ .

م /الأعلام ٢/١٥١ .

● **الحارث المحاسبي (٢٤٣هـ) :**

هو الحارث بن أسد المحاسبي ، كنيته أبو عبدالله ، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر والمعاملات والإشارات ، له التصانيف المشهورة ، منها : كتاب الرعاية لحقوق الله ، وهو أستاذ أكثر البغداديين ، من أهل البصرة ، مات ببغداد سنة ٢٤٣هـ .

م / طبقات الصوفية ، ص ٥٦ ؛ حلية الأولياء ١٠/٧٣ ؛ وفيات الأعيان ١/١٥٧ ؛ صفة الصفوة ٢/٢٠٧ .

● **الحسن بن أبي الحسن أبو سعيد البصري (٢١هـ ـ ١١٠هـ = ٦٤٢ ـ ٧٢٨م) :**

مولى زيد بن ثابت ،وكانت أمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين ، كان إمام أهل البصرة ، ولد في المدينة وكان غاية في الفصاحة ، تتصبب الحكمة من فيه ، توفي بالبصرة ودُفن فيها .

م / سير أعلام النبلاء ٢/٥٦٢؛ حلية الأولياء ٢/١٣١ ؛ رقم ترجمته (١٦٩) ؛ الأعلام ٢/٢٢٦ .

● **الحسن بن علي (٣ ـ ٥٠هـ = ٦٢٤ ـ ٦٧٠م) :**

هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أبو محمد ، خامس الخلفاء الراشدين ، أمه فاطمة الزهراء ، عاقلًا ، حليماً ، محباً للخير ، فصيحاً ، حج عشرين مرة ماشياً .

م /الإصابة ٢/٢٤٢ ؛ صفة الصفوة ؛ الإستيعاب ٣/٩٩ ؛ أسد الغابة ٢/١٠ ؛ الأعلام ٢/٢٠٠ .

● **خالد بن معدان (١٢٤هـ = ٧٢٢م) :**

خالد بن معدان بن أبي كرب الطلاعي ، أبو عبدالله ، تابعي ، ثقة ، ممن اشتهروا بالعبادة ، أصله من اليمن ، وإقامته في حمص ، كان كثير التسبيح ، فلما مات بقيت إصبعه تتحرك كأنه يسبح .

م / سير أعلام النبلاء ٤/٥٣٦ ؛ الأعلام ٢/٢٩٩ .

● **خولة بنت قيس :**

خولة بنت قيس بن قهد ـ بالقاف ـ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارية الخزرجية ثم النجارية ، أم محمد ، يقال : هي زوج حمزة بن عبدالمطلب .

م /الإصابة ٢٣٧/١٢ ؛ الإستيعاب ٣٠٥/١٢ ؛ أسد الغابة ٩٦/٧ .

● **داود الطائي (ت ١٦٥هـ = ٧٨١م) :**

يكنى بأبي سفيان ، سمع الحديث ، وتفقه ، من أئمة الصوفية ، أصله من خراسان ، مولده بالكوفة ، رحل الى بغداد فاخذ عن أبي حنيفة وغيره وعاد الى الكوفة فاعتزل الناس ولزم العبادة الى ان مات فيها .

م / وفيات الأعيان ١٧٧/١ ؛ حلية الأولياء ٣٣٥/٧ ؛ الأعلام ٣٣٥/٢ .

● **الدارقطني (٣٠٦ ـ ٣٥٨هـ = ١٩١٩ ـ ٩٩٥م) :**

علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ، أبو الحسن الدارقطني الشافعي ، إمام عصره في الحديث ، ولد بدارقطن من أحياء بغداد ، ورحل الى مصر ثم عاد الى بغداد وتوفي بها ، له تصانيف كثيرة ، منها السنن والعلل .

م / وفيات الأعيان ٣٣١/١ ؛ سير أعلام النبلاء ٤٤٩/١٦ ؛ الأعلام ٣١٤/٤ .

● **ذو النون المصري (ت ٢٤٦هـ) :**

ذو النون بن ابراهيم المصري ، أبو الفيض ، ويقال : ثوبان بن ابراهيم ، وذو النون لقب ، ويقال : الفيض بن ابراهيم ، أسند الحديث ، أصله من النوبة قرية في صعيد مصر ، توفي بالحيرة ودُفن فيها .

م / طبقات الصوفية ، ص ١٥ ؛ حلية الأولياء ٣٣١/٩ ؛ وفيات الأعيان ١٢٦/١ ؛ صفة الصفوة ٢٨٧/٤ .

● **الربيع بن خيثم الثوري (أبو زيد) :**

تابعي ، صحب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، كان زاهداً ، مخبتاً ، خشوعاً ، وكان لسانه يقطر حكماً ، أدرك زمان النبي ﷺ وأرسل عنه ، مات سنة ٦٧هـ أيام معاوية رضي الله عنه .

م / حلية الأولياء ١٠٥/٢ ـ ١١٨ ؛ سير أعلام النبلاء ٢٥٨/٤ .

● **الرقي (٣٧ـ ١١٧هـ = ٦٥٧ ـ ٧٣٥م) :**

ميمون بن مهران الرقي ، أبو أيوب ، فقيه من القضاة ، كان مولى لامرأة بالكوفة وأعتقته ، نشأ فيها ثم استوطن الرقة (من بلاد الجزيرة الفراتية) ، كان عالم الجزيرة وسيدها ، استعمله عمر بن عبدالعزيز على خراجها وقضائها ، وكان على مقدمة الجند الشامي لما عبر البحر غازياً الى قبرص سنة ١٠٨هـ ، وكان ثقة في الحديث ، كثير العبادة .

م / حلية الاولياء ٨٢/٤ ؛ سير أعلاء النبلاء ٧١/٥ ؛ الأعلام ٣٤٢/٧ .

● **الرملي (٧٧٣ ـ ٨٤٤هـ = ١٣٧١ ـ ١٤٤٠م) :**

أحمد بن حسين بن علي بن ارسلان ، أبو العباس ، شهاب الدين الرملي ، فقيه شافعي ، ولد بالرملة بفلسطين ، وانتقل في كبره الى القدس ، وتوفي فيها ، كان زاهداً ، مجتهداً .

م /الأعلام ١١٧/١ .

● **الرملي (٩٥٧هـ = ١٥٥٠م) :**

أحمد بن حمزة الرملي شهاب الدين ، فقيه شافعي من رملة المنوفية ، توفي بالقاهرة .

م / الأعلام ١٢٠/١ .

● **رويم بن احمد البغدادي (ت ٣٣٠هـ = ٩٤١م) :**

رويم بن أحمد بن يزيد ، كنيته : أبو محمد ، وهو من أهل بغداد ، ومن جلّة مشايخهم ، وجده روين بن يزيد ، وقيل : كنيته : أبو بكر ، كان فقيهاً على مذهب داود الاصبهاني .

م / طبقات الصوفية ١٨٠ ؛ حلية الأولياء ٢٩٦/١٠ ؛ صفة الصفوة ٢٤٩/٢ ؛ الأعلام ٣٧/٣ .

● **الزركشي (٧٤٥ ـ ٧٩٤هـ = ١٣٤٤ ـ ١٣٩٢م) :**

محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي ، أبو عبدالله بدرالدين ، عالم بفقه الشافعية والاصول ، تركي الاصل ، مصري المولد والوفاة ، له مصنفات كثيرة ، منها البحر المحيط في علم الاصول .

م / كشف الظنون ١٢٥ ؛ الأعلام ٦/ ٦٠ .

● **زكريا الانصاري (٨٢٣ - ٩٢٦هـ = ١٤٢٠ - ١٥٢٠م) :**

زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي ، أبو يحيى ، شيخ الإسلام ، قاض ، مفسر ، من حفّاظ الحديث ، له تصانيف كثيرة ، منها : فتح الرحمن في التفسير وتحفة الباري على صحيح البخاري وشرح الرسالة القشيرية .

م / الأعلام ٣/ ٤٦ .

● **الزهري (٥٨ - ١٢٤هـ = ٦٧٨ - ٧٤٢م) :**

محمد بن مسلم بن عبدالله بن عبدالله بن شهاب الزهري ، من بني زهرة بن كلاب من قريش ، أبو بكر ، أول مَنْ دوَن الحديث ، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء ، تابعي من أهل المدينة ، مات بشعب آخر حد الحجاز وأول حد فلسطين .

م / سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦ ؛ الأعلام ٧/ ٩٧ .

● **زيد بن ارقم (٦٦هـ) :**

زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، أول مشاهد للخندق ، غزا سبعة عشر غزوة مع النبي ﷺ ، ثبت ذلك بالصحيح ، له حديث كثير ، له قصة في نزول سورة المنافقين في الصحيح ، شهد صفين .

م / أسد الغابة ٢/ ٢٧٦ ؛ الإصابة ٤/ ٣٨ .

● **زينب بنت جحش الاسدية :**

أم المؤمنين ، الخاشعة الراضية ، الأواهة الداعية ، أمها أميمة عمة النبي ﷺ ، عصمها الله تعالى بالورع ، كثيرة الخير ، واصلة الرحم ، أول نساء النبي لحوقاً به ، كانت قصيرة القامة ، وهي أول امرأة صنع لها النعش ودُفنت بالبقيع .

م / حلية الأولياء ٢/ ٥١ ؛ الإصابة ١٢/ ٢٧٥ ؛ الإستيعاب ١٣/ ١٥ ؛ أسد الغابة ٧/ ١٢٥ .

● **سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى (٩٧ - ١٦٤هـ = ٧٤٣ - ٧٧٨م) :**

يلقب بأمير المؤمنين في الحديث ، عالم ، محدث ، عابد ، زاهد ، نشأ بالكوفة ،

سيد أهل زمانه ، راوده المنصور على أن يلي الحكم فأبى فخرج من الكوفة فسكن مكة والمدينة ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل الى البصرة فمات فيها مستخفياً .
م / سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧ ؛ حلية الأولياء ٣٥٦ ؛ الطبقات الكبرى ٤٧/١ ؛ الأعلام ١٠٤/٣ .

● السرخسي (٣٦٠ - ٤٤٠هـ = ٩٧١ - ١٠٤٩م) :

عبدالرحمن بن محمد السرخسي ، أبو بكر ، فقيه حنفي ، ولي قضاء البصرة مرتين ، من كتبه تكملة التجريد للكرماني في الفقه والمبسوط .
م / الجواهر المضيئة ٣٠٨/١ الأعلام ٣٢٧/٣ .

●سلمة بن الاكوع (٧٤هـ = ٦٩٣م) :

هو سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع الأسلمي ، صحابي من الذين بايعوا تحت الشجرة ، بطلًا ، عدّاء ، وهو الذي غزا أفريقيا ، له ٧٧ حديثاً .
م / الإصابة ٢٣٣/٤ ؛ أسد الغابة ٤٢/٢ ؛ الإستعاب ٢٢٧/٤ ؛ الاعلام ١١٣/٣ .

● سلمة بن يزيد بن مشجعة :

سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع بن مالك بن كعب بن سعد بن عوف بن قريم بن جعفي الجعفي ، وفد الى النبي ﷺ ، كان يصل الرحم ، يقري الضيف .
م / الإصابة ٢٣٧/٤ برقم (٣٣٩٨) ؛ أسد الغابة ٤٣٦/٢ برقم (٢١٩٠) ؛ الإستيعاب ٢٣٧/٤ .

● سليمان بن صرد (٢٨ق.هـ - ٦٥هـ = ٥٩٥ - ٦٨٤م) :

هو سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون عبدالعزى السلولي الخزاعي ، أبو مطرف ، صحابي ، من الزعماء القادة ، له ١٥ حديثاً .
م / الإصابة ٢٥٠/٤ ؛ أسد الغابة ٤٤٩/٢ ؛ الإستيعاب ٢٥٠/٤ ؛ الأعلام ١٧٣/٣ .

● سمرة بن جندب (٦٠هـ = ٦٧٩م) :

هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري ، صحابي ، من الشجعان القادة ، سكن

البصرة ، قدمت أمه الى المدينة بعد وفاة أبيه فتزوجها رجل من الأنصار ، شهد أُحداً .

م / أسد الغابة ٢/ ٤٥٤ ؛ الإصابة ٤/ ٢٨٧ ؛ الإستيعاب ٤/ ٢٥٦ ؛ الاعلام ١٣٩/٣ .

● سمنون بن عمر المحب :

سمنون بن حمزة ، ويقال : سمنون بن عبدالله ، أبو الحسن الخواص ، ويقال : كنيته : أبو القاسم ، سمى نفسه سمنون الكذاب لكتمه عسر البول بلا تضرر ، صحب السري السقطي ، يتكلم بالمحبة بأحسن الكلام ، وهو من كبار مشايخ العراق ، مات بعد الجنيد .

م / طبقات الصوفية ، ص ١٩٥ ؛ حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٩ ؛ صفة الصفوة ٢/ ٢٤٠ .

● سهل بن سعد (٩١هـ - ٧١٠م) : الوفاة .

سهيل بن سعد الخزرجي الأنصاري من بني ساعدة ، صحابي ومن مشاهيرهم ، من أهل المدينة ، له في كتب الحديث ١٨٨ حديثاً .

م / الإصابة ٤/ ٢٧٥ برقم (٣٥٢٦) ؛ أسد الغابة ٢/ ٤٧٢ ؛ الإستيعاب ٤/ ٢٧٧ .

● سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى (٢٩٣هـ) :

هو سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبدالله بن رفيع ، كنيته : أبو محمد ، أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضيات والاخلاص وعيوب الأفعال ، توفي سنة ٢٩٣هـ .

م / حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩ ؛طبقات الصوفية ٢٠٦ ؛صفة الصفوة ٤/ ٤٦ .

● صهيب الرومي (٣٨هـ) :

صهيب بن سنان بن مالك بن عبد الرومي ، صحابي ، كنيته : أبو يحيى ، كنّاه بها رسول الله ﷺ ، الرومي لأن الروم سبوه صغيراً فنشأ بالروم ، هاجر الى المدينة مع سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، عمره سبعون سنة .

م / الإصابة ٥/ ١٦٥ برقم (٤٠٩٩) ؛ أسد الغابة ٣/ ٣٦ برقم (٢٥٣٦) ؛ الإستيعاب ٥/ ١٤٧ .

● **طاووس بن كيسان (٣٣ ـ ١٠٦هـ = ٦٥٣ ـ ٧٢٤م) :**

طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني بالولاء ، أبو عبدالرحمن ، من أكابر التابعين تفقهاً في الدين ورواية الحديث وتقشفاً في العيش وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك ، أصله من الفرس ، مولده ومنشاه في اليمن ، توفي حاجاً بالمزدلفة أو بمنى ، وكان هشام بن عبدالملك حاجاً تلك السنة ، فصلى عليه ، وكان يأبى القرب من الملوك والأمراء ، قال أبو عيينة : تجنب السلطان ثلاثة : أبو ذر ، وطاووس ، والثوري .

م / صفة الصفوة ٢/ ١٦٠ ؛ حلية الأولياء ٤/ ٣ ؛ وفيات الأعيان ١/ ٢٣٣ ، الأعلام ٣/ ٢٢٤ .

● **طعمة بن ابيرق :**

طعمة بن أبيرق بن عمرو بن حارثة بن ظفير بنْ الخزرج بن عمرو ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدراً .

م / أسد الغابة ٣/ ٧٥ برقم (٢٦٠٤) ؛ الإصابة ٥/ ٢٢١ .

● **عبدالقادر الجزائري (١٢٢٢ ـ ١٣٠٠هـ = ١٨٠٧ ـ ١٨٨٣م) :**

عبدالقادر بن محيي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري ، أمير ، مجاهد ، من العلماء الشعراء البسلاء ، ولد في القيطنة بالجزائر ، قاتل الفرنسيين خمسة عشر عاماً ، وتوفي في دمشق .

م / الأعلام ٤/ ٤٥ .

● **عبدالقاهر السهروردي (٤٩٠ ـ ٥٦٣هـ = ١٠٩٧ ـ ١١٦٨م) :**

عبدالقاهر بن عبدالله بن محمد البكري الصديقي ، أبو النجيب السهروردي ، فقيه شافعي ، واعظ من أئمة المتصوفين ، ولد بسهرورد وسكن بغداد ، ولى المدرسة النظامية ، توفي ببغداد .

م / سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٧٥ ؛ الأعلام ٤/ ٤٩ .

● **زروق (٨٤٦ ـ ٨٩٩هـ = ١٤٤٢ ـ ١٤٩٣م) :**

هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي ، أبو العباس زروق ، فقيه محدث صوفي من أهل فاس (المغرب) ، تفقه في بلاده وقرأ بمصر والمدينة ،

غلب عليه التصوف فتجرد وساح ، وتوفي في تكرين من قرى سراته من أعمال طرابلس الغرب ، له تصانيف كثيرة ، امتاز بجودة التصنيف .

م / الضوء اللامع ١/٢٢٢؛ الاعلام ١/٩١ .

● **عبدالله بن ابي احمد بن جحشي :**

أتى به النبي ﷺ لما ولد فسماه عبدالله ، له ولابيه صحبة .

م / الإصابة ٧/٢٠٠ برقم (٦١٥٧) ؛ أسد الغابة ٣/١٧١ برقم (٢٨٠٦) .

● **عبدالله بن ابي امامة بن ثعلبة الانصاري الحارثي :**

مات أبوه في عهد النبي ﷺ ، قد روي عن أبيه ، أرسل عن النبي ﷺ ، روى عنه ابن المنيب ، كنيته أبو رملة .

م / الإصابة ٧/٢٠٠ برقم (٦١٥٨) ؛ الإستيعاب ٦/١٠٤ .

● **عبدالله بن الشخير :**

عبدالله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش ، واسمه معاوية بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري ثم الكعبي ثم من بني الحريش ، له صحبة ، سكن البصرة .

م / أسد الغابة ٣/٢٧٤ برقم (٣٠٠٣) ؛ الإصابة ٦/١١٩ .

● **عبدالوهاب بن احمد بن على الشعراني الشافعي (٨٩٨ ـ ٩٧٣هـ = ١٤٩٣ـ ١٥٦٥م) :**

نسبته الى محمد بن الحنفية ، ولد بمصر وتوفي بالقاهرة ، كان تقياً ، باراً بوالديه ، ولم يكن جباراً ، علامة على الطريق ، هداية للمهتدين ، القدوة الصالحة ، الطريقة المثلى للصلاح .

م / الأعلام ٤/١٨٠ .

● **عبيد بن عمير :**

هو عبيد بن عمير بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد ، من كبار التابعين ، ويروى عنه انه من الصحابة .

م / أسد الغابة ٣/٥٤٥ برقم (٣٥٠٦) .

● عبيدالله بن العباس :

عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، هو ابن عم رسول الله ﷺ ، أمه لبابة الكبرى أم الفضل بنت الحارث ، كنيته : أو محمد ، رأى النبي ﷺ وحفظ عنه ، كان أصغر سناً من أخيه عبدالله ، وقيل : بينهما سنة واحدة ، استعمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه على اليمن ، حج بالناس سنة ستة وثلاثين وسنة سبع وثلاثين .

م / أسد الغابة ٥٢٤/٣ برقم (٣٤٦٤) ؛ الإصابة ٣٤٩/٦ برقم (٥٢٩٥) .

● عدي بن عميرة (٤٠هـ = ٦٦٠م) :

عدي بن عميرة بن فروة الكندي ، أبو زرارة ، صحابي ، سكن الكوفة وانتقل الى حران ، ثم توفي في الكوفة ، روى عن النبي ﷺ عشرة أحاديث .

م / أسد الغابة ١٤/٤ ؛ الإصابة ٤٠٥/٦ ؛ الأعلام ٢٢١/٤ .

● عطاء بن أبي رباح (٢٧ - ١١٤هـ = ٦٤٧ - ٧٣٢م) :

عطاء بن أسلم بن صفوان ، تابعي من أجلّاء الفقهاء ، كان عبداً أسوداً ، ولد في جند باليمن ، ونشأ بمكة ، وكان مفتي أهلها ومحدثهم ، وتوفي فيها .

م / صفة الصفوة ١١٩/٢ ؛ وفيات الأعيان ٣١٨/١ ؛ حلية الأولياء ٣١٠/٣ ؛ الأعلام ٢٢٥/٤ .

● عطية السعدي :

عطية بن عروة السعدي بن سعد بن بكر ، صحابي معروف ، كان أميراً لمروان بن محمد على الخيل وهو الذي قتل أبا حمزة الخارجي ، وقتل الاعور القائم باليمن .

م / أسد الغابة ٤٤/٤ برقم (٣٦٨٥) ؛ الإصابة ١٨/٨ .

● عكاشة بن محصن الاسدي :

وذكر عكاشة بن محصن السدي في أهل الصفة من قبل أبي عبدالله الحافظ ، وعكاشة قتل يوم بزاحة ، قتله طليحة في أيام الردة ، هاجر الى المدينة ، وشهد بدراً ، كان يوم توفي النبي ﷺ ابن أربعة وأربعين سنة .

م / حلية الأولياء ١٢/٢ ؛ أسد الغابة ٦٧/٤ برقم (٣٧٣٢) ؛ الإستيعاب ١١٣/٨ .

● **عمران بن الحصين (٥٢هـ = ٦٧٢م) :**

هو عمران بن حصين بن عبيد ، أبو نجيد الخزاعي ، من علماء الصحابة ، أسلم عام خيبر (سنة ٧هـ) ، كانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة ، بعثه عمر الى أهل البصرة ليفقههم ، وولّاه زياد قضاءها ، توفي بها وهو ممن اعتزل حرب صفين ، له في كتب الحديث ١٣٠ حديثاً .

م / أسد الغابة ٢٨١/٤ ؛ الإستيعاب ١٩/٩ ؛ الأعلام ٧٠/٥ .

● **عمرو بن الحارث (٩٠ ـ ١٤٧هـ = ٧٠٨ ـ ٧٦٤م) :**

هو عمرو بن الحارث بن يعقوب الانصاري ، أبو أمية ، أخطب أهل عصره ، ومن أرواهم للشعر وأحفظهم للحديث ، أصله من المدينة ، اشتهر وتوفي بمصر ، وقال ابن حجر : كان عالم الديار المصرية ومحدثها ، وفقيهاً مع الليث .

م / سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٦ ؛ الاعلام ٧٦/٥ .

● **عمرو بن عثمان المكي :**

عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص المكي ، كنيته : أبو عبدالله ، كان ينتسب الى الجنيد في الصحبة ، صحب أبا سعيد الخراز وغيره من المشايخ القدماء ، وهو عالم بعلوم الأصول ، وله كلام حسن ، مات ببغداد سنة ٢٩١هـ ، ويقال : سبع وتسعين ، والأول أصح ، وروى الحديث .

م / طبقات الصوفية ، ص ٢٠٠ ؛ حلية الأولياء ٢٩١/١٠ ؛ صفة الصفوة ٢٤٨/٢ .

● **عياض بن حمار :**

عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي المجاشعي ، سكن البصرة ، كان صديقاً قديماً لرسول الله ﷺ ، وكان إذا قدم مكة لا يطوف إلا في ثياب رسول الله ﷺ .

م / أسد الغابة ٣٢٢/٤ برقم (٤١٤٤) ؛ الإستيعاب ٦٦/٩ .

● **الفخر الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ = ١١٥٠ ـ ١٢١٠م) :**

محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، أبو عبدالله فخرالدين الرازي ، الإمام المفسِّر ، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل ، وهو قرشي النسب ، أصله من طبرستان ، ومولده في الري واليها نسبته ، ويقال له : خطيب

الري ، رحل الى خوارزم وما وراء النهر وخراسان ، وتوفي في هراة .
م / وفيات الأعيان ٤٧٤/١ ؛ البداية والنهاية ٥٥/١٣ ؛ الأعلام ٣١٣/٦ .

● **فرقد السبخي (ت ١٣١هـ) :**

فرقد بن يعقوب السبخي يكنى أبا يعقوب ، كوفي تولى البصرة ، له أقوال مأثورة في التصوف ، توفي بالبصرة أيام الطاعون .
م / حلية الأولياء ٤٤/٣ ؛ الطبقات الكبرى ٣٢/١ ؛ صفة الصفوة ١٩٧/٣ .

● **فضالة بن عبيد (ت ٥٣هـ) :**

هو فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن صهيب بن الأصرم بن جحبجي بن كلفة بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ، أسلم قديماً ولم يشهد بدراً ، شهد أُحُداً ، وشهد فتح مصر والشام ، سكن دمشق ، وكان فيها قاضياً لمعاوية ومات بها .
م / الإصابة ٩٧/٨ رقم (٦٩٨٦) ؛ الإستيعاب ١١٩/٩ .

● **الفضيل بن عياض (ت ١٨٧هـ) :**

الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ثم اليربوعي خراساني ، ولد بسمرقند ، أسند الحديث ، من مشايخ الصوفية الكبار .
م / حلية الأولياء ٨٤/٨ ـ ١٤٠ ؛ طبقات الشعراني ٧٩/١٠-٨٠ ؛ وفيات الأعيان ٥٢٥/١ ؛ صفة الصفوة ١٣٤/٢ ـ ١٣٩ ، البداية والنهاية ١٩٨/١ ؛ طبقات الصوفية ، ص ٦ .

● **قتادة بن النعمان (٢٣هـ = ٦٤٤م) :**

قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري الأوسي ، صحابي بدري ، شهد المشاهد كلها ، وأصيب يوم بدر بعينه فسالت حدقته فأتى النبي ﷺ فدفع حدقته بيده حتى وضعها موضعها ثم غمزها براحته ﷺ ، وقال : (اللهم اكسها جمالًا) ، فكانت أحسن عينيه وما مرضت بعدها .
م / الإستيعاب ١٤٦/٩ ؛ صفة الصفوة ١٨٣/١ ؛ الأعلام ١٨٩/٥ .

● **القرطبي (ت ٦٧١هـ = ١٢٧٣م) :**

محمد بن أحمد بن أبي بكر فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ، أبو عبدالله

القرطبي ، من كبار المفسرين ، صالح متعبد من أهل قرطبة ، رحل الى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمال أسبوط ـ مصر) ، وتوفي فيها .

م / الاعلام ٣٢٢/٥ .

● **قيس بن عاصم :**

هو المنقري بن سنان بن خالد بن مبقر بن عبيد بن مقاعيس ، يكنى أبو علي ، وفد على النبي ﷺ وقال عنه : (هذا سيد أهل الوبر) ، كان عاقلًا حليماً مشهوراً بالحلم ، يحدث قومه .

م / أسد الغابة ٤٣٢/٤ برقم (٤٣٦٤) ؛ الإستيعاب ١٨٠/٩ .

● **كعب بن زهير (٢٦هـ = ٦٤٥م) :**

كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني ، أبو المغرب ، شاعر عالي الطبقة ، من الطلقاء ، صاحب البردة ، أهداها له رسول الله ﷺ عن قصيدة بانت سعاد .

م / الإستيعاب ٢٢٧/٩ ؛ الإصابة ٢٨٩/٨ ؛ الأعلام ٢٢٦/٥ .

● **مالك بن دينار (١٣١هـ = ٧٤٨م) :**

مالك بن دينار البصري ، أبو يحيى ، من رواة الحديث ، كان ورعاً ، يأكل من كسبه ويكتب المصاحف بالأجرة ، توفي في البصرة .

م / وفيات الأعيان ٤٤٠/١ ؛ حلية الأعيان ٣٥٧/٢ ؛ صفة الصفوة ١٧٩/٣ ؛ الأعلام ٢٦٠/٥ .

● **محمد بن علي الشريف الجرجاني (٨٣٨هـ = ١٤٣٤م) :**

محمد بن علي بن محمد بن علي نورالدين بن الشريف الجرجاني ، فاضل من أهل شبراز ، له تصانيف كثيرة .

م / الضوء اللامع ٢٢/٩ ؛ كشف الظنون ٦٨ ؛ الأعلام ٢٨٨/٦ .

● **محمد بن واسع (١٢٣هـ = ٧٤١م) :**

محمد بن واسع بن جابر الأزدي ، أبو بكر ، فقيه ، ورع ، من الزهاد ، من أهل البصرة ، عرض عليه قضاؤها فأبى وهو من ثقات أهل الحديث .

م / صفوة الصفوة ١٩٠/٣ ؛ الأعلام ١٣٣/٧ .

● محيي الدين (ابن عربي) محمد بن علي (٦٣٨هـ) :

أبو عبدالله يحيى بن حافظ بن عبدالرحمن الحاتمي الطائي الاندلسي المعروف بأبن العربي المتوفى سنة (٦٣٨هـ) ، أحد مشايخ الصوفية وأئمتها ، بلغت مؤلفاته أكثر من مائتي كتاب وأشهرها كتاب (الفتوحات المكية) ، توفي وكان عمره ٧٦ سنة بالشام .

م / الأعلام ١٨٩/٧ .

● المرسي (٦٨٦هـ = ١٢٨٧م) :

أحمد بن عمر المرسي ، أبو العباس شهاب الدين ، فقيه متصوف من أهل الاسكندرية ، لأهلها فيه اعتقاد كبير الى اليوم ، أصله من مرسية في الأندلس .

م / الأعلام ١٨٦/١ .

● المستورد بن شداد :

المستورد بن شداد بن عمرو بن حل بن الأحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان ، سمع النبي ﷺ سماعاً وأتقنه .

م / أسد الغابة ١٥٤/٥ برقم (٤٨٥٩) .

● معاذ بن أنس :

معاذ بن أنس الجهني والد سهل ، سكن مصر ، روي عنه ، وله نسخة عن أبيه سهل ، أوردها أحمد بن حنبل في مسنده وأبو داود والنسائي وأبو عيسى وابن ماجة والأئمة بعدهم في كتبهم .

م / أسد الغابة ١٩٣/٥ برقم (٤٩٥٠) ؛ الإستيعاب ١٠٤/١٠ .

● معاذ بن جبل (٢٠ق. هـ ١٨هـ = ٦٠٣ ـ ٦٣٩م) :

معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي ، أبو عبدالرحمن ، صحابي جليل ، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام ، أسلم وهو فتى ، وآخى النبي ﷺ ، وبينه وبين جعفر بن أبي طالب ، وشهد العقبة مع الأنصار السبعين ، شهد بدراً وأُحُداً والخندق والمشاهد كلها ، بعثه رسول الله ﷺ بعد غزوة تبوك قاضياً ومرشداً لأهل اليمن ، وأرسل معه كتاباً اليهم يقول فيه : (اني بعثت لكم خير أهلي) ، فبقي في اليمن الى ان توفي النبي ﷺ وولي أبو بكر فعاد الى المدينة ، له ١٥٧ حديثاً ، توفي

عقيماً بناحية الردن ودُفن بالقصر المعيني (بالغور) ، ومن كلام عمر فيه : (لولا معاذ لهلك عمر) .

م / الإستيعاب ١٠٤/١٠ ؛ أسد الغابة ١٩٤/٥ ؛ الاعلام ٢٥٨/٧ .

● معروف الكرخي (ت ٢٠٠هـ) :

معروف بن فيروز ، هو أبو محفوظ ، ويقال : معروف بن الفيرزان ، كان زاهداً ، وهو من جلّة المشايخ وقدمائهم المذكورين بالورع والفتوة ، كان أستاذ سري السقطي ، أسلم على يد علي بن موسى الرضا ، توفي ببغداد .

م / حلية الأولياء ٣٦٠/٨ ؛ حلية الأولياء ٣٦٠/٨ ؛ طبقات الصوفية ، ص ٨٣ ؛ وفيات الأعيان ١٣٦/٢ ؛ صفة الصفوة ١٧٩/٢ .

● معقل بن يسار (نحو ٦٥هـ = ٦٨٥م) :

معقل بن يسار بن عبدالله المزني ، صحابي أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان ، سكن البصرة وتوفي بها (ونهر المعقل) منسوب اليه ، حفره بأمر عمر .

م / الإصابة ٢٥٩/٩ ؛ الإستيعاب ١٧٢/١٠ ؛ أسد الغابة ٢٣٢/٥ ؛ الاعلام ٢٧١/٧ .

● النعمان بن بشير (٢ - ٦٥هـ = ٦٢٣ - ٦٨٤م) :

النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الانصاري ، أبو عبدالله ، أمير ، خطيب ، شاعر ، من أجلاء الصحابة من أهل المدينة ، له ١٢٤ حديثاً ، وجهته نائلة (زوجة عثمان) بقميص عثمان الى معاوية فنزل الشام وشهد (صفين) مع معاوية ، وولي القضاء بدمشق بعد فضالة بن عبيد (سنة ٥٣هـ) ، وولي اليمن لمعاوية ثم استعمله على الكوفة ٩ أشهر ، وهو الذي تُنسب اليه (معرة النعمان) .

م / الإصابة ١٥٨/١٠ ؛ أسد الغابة ٣٢٦/٥ ؛ الإستيعاب ٢٩٩/١٠ ؛ جمهرة الانساب ، ص ٣٤٥ ؛ الاعلام ٣٦/٨ .

● النواس بن سمعان :

النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط بن عبدالله بن أبي بكر بن مسلم العامري الكلابي ، له ولابيه صحبة ، وحديثه عند مسلم في صحيحه .

م / الإصابة ١٩٢/١٠ رقم (٨٨٢٣) ؛ أسد الغابة ٣٦٧/٥ .

● **يحيى البرمكي (١٢٠ ـ ١٩٠هـ = ٧٣٨ ـ ٨٠٥م) :**

يحيى بن خالد بن برمك ، أبو الفضل الوزير السري الجواد ، وهو مؤدب الرشيد ومعلّمه ومربيه .

م / البداية والنهاية ١٠/٢٠٤ ؛ وفيات الأعيان ٢/٢٤٣ .

● **يحيى بن معاذ (٢٥٨هـ = ٨٧٢م) :**

يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي ، أبو زكريا ، واعظ زاهد ، لم يكن له نظير في وقته ، تكلم في الرجاء وأحسن الكلام فيه ، واليه ينسب الملامتية .

م / حلية الأولياء ١/٥١ ؛ صفة الصفوة ٤/٧١ ؛ طبقات الصوفية ١٠٧ ؛ الأعلام ٨/١٧٢ .



المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

حرف (أ)

١ ـ الإبريز / ما نقله الحافظ أحمد بن المبارك عن نجم العرفان سيدي عبدالعزيز الدباغ ، ط عبدالحميد حنفي ، مصر .

٢ ـ ابن الفارض والحب الإلهي / محمد مصطفى حلمي ، ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م ، ط مطبعة دار الحكمة ، مصر ، ١٩٧١م .

٣ ـ أبهى القلائد في تلخيص أنفس الفوائد / أحمد فائز محمود البرزنچي ، مطبعة ولاية الموصل ، ١٣١٤هـ .

٤ ـ أبو البركات سيدي أحمد الدردير / د. عبدالحليم محمود ، مطبعة حسان ، القاهرة . .

٥ ـ الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما / ضياء الدين المقدسي ، دراسة وتحقيق : د. عبدالملك عبدالله دهيش ، ط مكتبة النهضة .

٦ ـ أحوال النفس / ابن سينا ، تحقيق : أحمد فؤاد عبد الأهواني ، ط دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م .

٧ ـ إحياء علوم الدين / أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، الدار المصرية اللبنانية ، بيروت ، لبنان .

٨ ـ الأخلاق / أحمد أمين ، لجنة التأليف ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، الطبعة السابعة .

٩ ـ الأخلاق أولًا / رشيد عبدالرحمن العبيدي ، مخطوط باليد ، ١٩٩٦م ، بحث مقدم الى جامعة صدام للعلوم الإسلامية .

١٠ ـ الاخلاق والسيرة / علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) ، ط الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦١م .

١١ ـ الآداب الشرعية والمنح المرعية / شمس الدين أبو عبدالله محمد بن بن مفلح المقدسي الحنبلي ، تصحيح : محمد رشيد رضا ، ط مطبعة المنار ، مصر .

١٢ ـ آداب الصحبة والمعاشرة / أبو حامد الغزالي ، تحقيق : محمد سعود المعيني ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٤م .

١٣ ـ آداب المريدين / أبو النجيب عبدالقاهر السهروري ، المطبعة التجارية ، القدس ، ١٩٧٧ ، تحقيق : مناحم ميسلون .

١٤ ـ أدب الإسلام / صالح حمدي حماد ، مدرسة والدة عباس الأول ، ١٣٢٥هـ ـ ١٩٠٧م .

١٥ ـ أدب الدنيا والدين / أبو الحسن علي بن حمد بن حبيب الماوردي ، تحقيق : مصطفى السقا ، ط المكتبة الثقافية ، بيروت .

١٦ ـ الأدب المفرد / أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري ، طشقند ، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م .

١٧ ـ الأدب النبوي / محمد عبدالعزيز المولى ، دارالقلم ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

١٨ ـ الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد / إمام الحرمين الجويني ، تحقيق : محمد يوسف موسى ، وعلي عبدالمنعم عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م .

١٩ ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري / الإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني ، ط ٦ الكبرى الاميرية ، مصر ، ١٣٠٤هـ .

٢٠ ـ إرشاد العباد الى سبيل الرشاد / زين الدين عبدالعزيز بن زيدالدين المليباري ، ط الميمنية ، مصر ١٣٢٧هـ .

٢١ ـ إرشاد العباد الى الغزو والجهاد / أبو البركات أحمد فخرالدين القادري النقشبندي الموصلي ، ط العامرة ، مصر ١٣٢٦هـ .

٢٢ ـ أركان الاخلاق في الإسلام / نجم الدين محيي الدين عبدالفتاح المدرس ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٨٨م .

٢٣ ـ أساس البلاغة / جارالله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ط دار

الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م .

٢٤ - أستاذ السائرين / د. عبدالحليم محمود ، كتاب الشعب .

٢٥ - الإستيعاب في معرفة الأصحاب / أبو عمرو يوسف بن عبدالله محمد بن عبدالبر ، مطبوع بهامش الإصابة ، تحقيق : طه محمد الزيني ، ط شركة الطباعة الفنية ، ١٣٧٩هـ - ١٩٧٧م .

٢٦ - أسد الغابة في معرفة الصحابة / أبو الحسن علي بن محمد عزالدين بن الاثير الجزري ، ط الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٢٧ - الإصابة في تمييز الصحابة / شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ١٣٨٨هـ .

٢٨ - اصطلاحات الصوفية / عبدالرزاق الكاشاني ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، تحقيق : عبداللطيف محمد العبد .

٢٩ - الأعلام / خير الدين الزركلي ، ط دار العلم للملايين ،بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٩م .

٣٠ - إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان / شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، ط الميمنية ، مصر ١٣٢٠هـ .

٣١ - الإنسان الكامل في الإسلام / عبدالرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت .

٣٢ - الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به / أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، مطبعة مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، تحقيق : محمد زاهد الكوثري .

٣٣ - الانوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية / عبدالوهاب الشعراني ، تحقيق : طه عبدالباقي سرور ، مطبعة منير ، بغداد .

٣٤ - إيقاظ الهمم في شرح الحكم / أحمد بن محمد بن عجيبة ، ط دار الفكر .

حرف (ب)

٣٥ - بداية الهداية وتهذيب النفوس بالآداب الشرعية / الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، تحقيق : د. محمد سعود المعيني ، ط مطبعة العاني ، بغداد .

٣٦ - البداية والنهاية / أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق : د. أحمد أبو ملجم ود. أبو نجيب عطوي والأستاذ فؤاد السيد والأستاذ مهدي ناصرالدين علي عبدالساير ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٣٧ - البرهان / اسماعيل كلنبوي ، ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٤٧هـ .

٣٨ - البريقة المحمودية في شرح الطريقة المحمدية / أبو سعيد الخادمي ، الشركة الصحفية ، اسطنبول ، ١٣١٨هـ .

٣٩ - بستان العارفين / أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، (ت ٦٧٨هـ) ، المطبعة المنيرية ، ١٣٤٨هـ .

٤٠ - بصائر ذو التمييز في لطائف الكتاب العزيز / مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، مطابع شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ .

٤١ - البناء القرآني للأخلاق / شاكر عبدالجبار ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٩٨٦م .

٤٢ - بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، أبو عمر بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق : محمد مرسي الخولي .

٤٣ - البيان في تصحيح الإيمان / ابراهيم محمد عبدالباقي ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٦١م ، ط ٢ ، مصر .

٤٤ - بين الشريعة والحقيقة أو حل رموز ومفاتيح الكنوز / العز بن عبدالسلام ، مطبعة نور الأمل .

حرف (ت)

٤٥ - تاج اللغة وصحاح العربية / أبو النصر اسماعيل بن حماد الجوهري رواية الشيخ : أبي محمد اسماعيل بن عبدوس النيسابوري ، ط ٢ ، المطبعة الكبرى العامرة ، مصر ، ١٢٩٢هـ .

٤٦ - تاريخ التصوف في الإسلام / قاسم غني ، ترجمة : صادق نشأت ، ود. أحمد ناجي القيسي ومحمد مصطفى حلمي ، ط دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧٠م .

٤٧ - تاريخ الخلفاء / الإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، مطبعة منير ،

بغداد ، ١٩٨٧م ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد .

٤٨ ـ التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح / الإمام الحافظ أبو العباس زين الدين أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي الزبيدي الشهير بالحسين بن المبارك ، ط محمد علي صبيح ، مصر ، ١٣٥٠هـ .

٤٩ ـ تحرير القواعد المنطقية بشرح الرسالة الشمسية / قطب الدين الرازي ، ط ١ الاميرية ، ١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٥م .

٥٠ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي / لأبي يعلي محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ .

٥١ ـ تحفة المحتاج لشرح المنهاج / شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ، دار الطباعة ، مصر ، ١٢٩٠هـ .

٥٢ ـ التربية والأخلاق / نظرة خاصة الى التربية الخلقية في الإسلام وأساليبها ، بحث مقدم الى جامعة صدام للعلوم الإسلامية في ندوة الأخلاق ، بخط اليد ، ١٩٦٦ .

٥٣ ـ الترغيب والترهيب / الإمام الحافظ زين الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

٥٤ ـ التصوف الإسلامي ـ تاريخه ومدارسه وطبيعته / أحمد توفيق عياد ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٥٥ ـ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق / د. زكي مبارك ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٣٧م .

٥٦ ـ التصوف في المنظور الإسلامي / عبدالخالق خوشي محمد ، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد ، كلية العلوم الإسلامية ، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م .

٥٧ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف / أبو بكر الكلاباذي ، دار الاتحاد العربي ، مصر ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م ، تحقيق : محمود أمين النواوي .

٥٨ ـ التعريفات / السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ، مطبعة محمد أسعد ، ١٣٠٠هـ ـ استانبول .

٥٩ ـ تفسير القرآن العظيم / أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ،

ط دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
٦٠ - التفسير الكبير / فخرالدين الرازي ، ط دار الكتب العلمية ، طهران .
٦١ - تلبيس إبليس / جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، مطبعة النهضة ، مصر ، ١٩٢٧م .
٦٢ - تقريب المرام شرح تهذيب الكلام / عبدالقادر الستندجي الكردستناني ، ط المطبعة الأميرية ، بولاق ، مصر ، ١٣١٨هـ .
٦٣ - التمكين في شرح منازل السائرين / محمد أبو الفيض المنوفي ، دار النهضة ، القاهرة ، ١٣٣٢هـ .
٦٤ - التمهيد / أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، ١٩٥٧م ، نشر يوسف مكارثي اليسوعي .
٦٥ - تنبيه الغافلين / أبو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٣٣٩م .
٦٦ - تنبيه المغترين / عبدالوهاب الشعراني ط المطبعة المحمودية ، مصر ، ١٣١٥هـ .
٦٧ - تنوير القلوب في معاملة علّام الغيوب / محمد أمين الكردي ، ط ٩ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٢هـ .
٦٨ - التنوير في إسقاط التدبير / ابن عطاء الله الكسندري ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .
٦٩ - تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق / أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي / (مسكويه) ، ط مكتبة الحياة ، بيروت .
٧٠ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال / جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي ، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

حرف (ج)

٧١ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم / زين الدين عبدالرحمن بن رجب الحنبلي ، ط مطبعة دار المعرفة ، بيروت .
٧٢ - الجامع لاحكام القرآن / أبو عبدالله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي ، ط دار الكتب المصرية ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

٧٣ ـ جمهورية افلاطون / نقلها الى العربية : حنا خباز ، ط المقتطف والمقطم ، ١٩٢٩م ، مصر
٧٤ ـ جواهر الأدب في أبيات وإنشاد لغة العرب / أحمد الهاشمي ، ط مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٣١٥هـ .
٧٥ ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية / عبدالقادر محمد بن محمد القشي ، ط حيدرآباد ، ١٣٣٢هـ .

حرف (ح)

٧٦ ـ حاشية العلامة الصاوي على الجلالين / أحمد الصاوي المكي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٧٧ ـ حاشية المحاكمات على تقريب المرام / محمد وسيم الكردستاني ، مطبوع بهامش تقريب المرام ، المطبعة الأميرية الكبرى ، بولاق ، ١٣١٨هـ .
٧٨ ـ حاشية رد المحتار على الدر المختار / محمد أمين الشهير بآبن عابدين ، ط دار الكتب العربية الكبرى ، مصر .
٧٩ ـ حاشية عبدالحكيم السيالكوتي على شرح المواقف ، المطبعة العامرة ، مصر .
٨٠ ـ حالة أهل الحقيقة مع الله / السيد أحمد الرفاعي ، جمعه : أبو شجاع الشافعي ، مطبعة بسام ، الموصل .
٨١ ـ الحاوي للفتوي / جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، ط ٣ مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م .
٨٢ ـ الحب الإلهي في التصوف الإسلامي / محمد مصطفى حلمي ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦١م .
٨٣ ـ حقائق التصوف / عبدالقادر عيسى ، ط ٥ ، النواعير ، الرمادي ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .
٨٤ ـ حكم ابن عطاء الله شرح الشيخ زروق / تحقيق : د. عبدالحليم محمود ود. محمود بن الشريف ، ط الشعب ، مصر .
٨٥ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله

الاصفهاني ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م .
٨٦ - حي على الفلاح / نزار عبدالغفار عبدالمجيد ، مطبعة : إعدادية صناعة واحد حزيران ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
٨٧ - الحياة الروحية في الإسلام / محمد مصطفى حلمي ، مطابع الهيأة المصرية ، ١٩٨٤م .
٨٨ - حياة القلوب في كيفية الوصول الى المحبوب / عمادالدين الاموي ، مطبوع بهامش قوت القلوب ، دار صادر .

حرف (خ)

٨٩ - خصائص الحياة الروحية في مدرسة بغداد / مجمد جلال شرف ، طبع مطبعة رويال ، الاسكندرية ، ١٩٧٦م .
٩٠ - الخلق الحميد في القرآن المجيد / محمد عبدالرحيم عدس ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٩١ - خلق المؤمن / عبدالأمير قبلان ، الدار العلمية ، بيروت .

حرف (د)

٩٢ - الداء والدواء أو الجواب الكافي لمَنْ سال عن الدواء الشافي / أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بأبن قيم الجوزية (٦٩١هـ ٧٥٣هـ) ، تحقيق : محمد جميل غازي ، مطبعة العاني ، القاهرة ، ١٩٧٨م .
٩٣ - الدر المنثور في التفسير بالماثور / الإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، ط دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
٩٤ - دروس أخلاقية ومعلومات مدنية / عبدالفتاح محسن ، ط ٣ مطبعة الزقي ، القاهرة ، ١٣١٣هـ .
٩٥ - دستور الولاية ومراقي العناية أو (مطلب السالك ونجاة الهالك) / محمد هاشم البغدادي ، مطبعة القدس الشريف ، ١٤٠٥هـ .
٩٦ - الدعوة الى الإسلام / توماس ارنولد ، ط لندن .
٩٧ - دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين / محمد بن علان الصديقي ، ط مطبعة حجازي ، القاهرة .

٩٨ ـ دليل القارىء الى مواضع الحديث في صحيح البخاري / عبدالله بن محمد العتيمان ، دار الاصفهاني ، جدة ، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٩٧م ، توزيع : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، السعودية .

حرف (ذ)

٩٩ ـ الذريعة الى مكارم الشريعة / أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ، مطبعة الوطن ، مصر ، ١٣٠٨هـ .

حرف (ر)

١٠٠ ـ ربيع الابرار ونصوص الاخبار / محمود بن عمر الزمخشري ، مطبعة العاني ، ١٩٧٦م ، تحقيق : سليم النعيمي ، ط ١ ، بغداد .
١٠١ ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام / أبو الحسن الندوي ، ط حيدر آباد .
١٠٢ ـ رسائل الجند / حررها حسن عبدالقادر ، مخطوط من المكتبة القادرية .
١٠٣ ـ رسائل الرحمة في المنطقة والحكمة / الشيخ عبدالكريم المدرس ، ط الدار العربية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨م .
١٠٤ ـ الرسالة القشيرية في علم التصوف / أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري ، ط مطبعة منير ، بغداد .
١٠٥ ـ رسالة المسترشدين / الحارث بن أسد المحاسبي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، ط ٢ ، دار السلام .
١٠٦ ـ الرعاية لحقوق الله / أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي ، تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٦٥م .
١٠٧ ـ رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم / عمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مطبوع بهامش جواهر المعاني ، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م .
١٠٨ ـ روح البيان / اسماعيل حقي البروسوي ، ط المطبعة الخيرية ، القاهرة .
١٠٩ ـ روح الدين الإسلامي / عفيف عبدالفتاح طبارة ، ط ٦ ، دار الكتب ، بيروت ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .

١١٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / أبو الثناء الآلوسي ، المطبعة المنيرية ، بيروت ، ١٢٦٧هـ .

١١١ - روضة التعريف بالحب الشريف / لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ، ط دار الفكر العربي ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .

١١٢ - روضة الطالبين وعمدة السالكين / أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م .

١١٣ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين / شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١٤ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين / محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، تحقيق : عبدالله أحمد أبو زينة ، الناشر : دار القلم ، بيروت .

حرف (زف)

١١٥ - الزهد / الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١١٦ - الزواجر عن اقتراف الكبائر / للإمام ابن حجر المكي الهيتمي ، المطبعة الوهبية ، مصر ، ١٢٩٢هـ .

حرف (س)

١١٧ - سراج الطالبين شرح منهاج العابدين / احسان محمد دحلان ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

١١٨ - سراج القلوب في علاج الذنوب / أبو علي زين الدين المعبري ، مطبوع بهامش قوت القلوب ، المطبعة الميمنية ، مصر ١٣٠٦هـ .

١١٩ - سنن أبي داود / أبو داود سليمان بن الأشعث ، ٢٠٢ - ٢٧٥هـ ، مطبعة السعادة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، ط ٢ ، مصر .

١٢٠ - سنن الترمذي / أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩هـ - ٢٩٧هـ) ، دار الكتب العلمية .

١٢١ - سنن الدارقطني / الإمام الكبير علي بن عمر الداقطني ، شركة الطباعة الفنية الموحدة ، الحجاز ، ١٣٨٦هـ .

١٢٢ - السنن الكبرى للبيهقي / للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي

البيهقي ، (ت ٤٥٨هـ) ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٥٥هـ .
١٢٣ ـ سنن النسائي / بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ، دار الكتب العلمية .
١٢٤ ـ سوء الخلق ، مظاهره ـ أسبابه ـ علاجه / محمد بن ابراهيم الحمد ، ط ٢ ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .
١٢٥ ـ سير أعلام النبلاء / الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
١٢٦ ـ سيرةابن هشام / أبو محمد عبدالملك بن هشام ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، المكتبة التجارية ، مطبعة حجازي ، مصر ، القاهرة ، ١٩٣٧م .
١٢٧ ـ السيرة الحلبية / برهان الدين الحلبي ، المطبعة الأزهرية ، مصر ، ١٣٢٩هـ .
١٢٨ ـ السيرة النبوية / الإمام أبو الفداء اسماعيل بن كثير (٧٠١هـ ـ ٧٧٤هـ) ، تحقيق : مصطفى عبدالواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .

حرف (ش)

١٢٩ ـ شرح الإمام النووي لصحيح مسلم / المطبعة الكستلية .
١٣٠ ـ شرح الرسالة القشيرية / القاضي زكريا الأنصاري ، الناشر : عبدالوكيل الدروبي وياسين عرفة ، جامع الدرويشة ، دمشق .
١٣١ ـ شرح السيد الشريف للمواقف ، المطبعة العامرة ، مصر .
١٣٢ ـ شرح جلال الدين المحلي على المنهاج ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، مطبوع بهامش حاشية قليوبي وعميرة .
١٣٣ ـ شرح جمع الجوامع / جلال الدين المحلي ، ط ٢ ، بولاق ، مصر .
١٣٤ ـ شرح محمد بن عبدالباقي الزرقاني على المواهب اللدنية ، ط بولاق ، مصر .
١٣٥ ـ شرح مختصر المنتهى / عضد الملة والدين ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، مصر ، ١٣١٦هـ .

١٣٦ ـ شرح مطالع الانوار / قطب الدين محمد بن محمد الرازي ، دار الطباعة العامرة ، مصر .
١٣٧ ـ شرح منازل السائرين / عبدالمعطي اللخمي الاسكندري ، المعهد العلمي الفرنسي ، ١٩٥٤م .
١٣٨ ـ شرح المواقف / عبدالرحمن بن أحمد الايجي القاضي السيالكوتي ، ط مطبعة دار الطباعة العامرة ، اسطنبول .
١٣٩ ـ الشريعة الإسلامية والفنون / أحمد مصطفى علي القاضي ، مطبعة دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
١٤٠ ـ الشريعة والحقيقة / حسن الشرقاوي ، مطبعة : الوادي ، الاسكندرية ، ١٩٧٦م .
١٤١ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى / القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، ط مطبعة خليل أفندي ، ١٢٩٠هـ .
١٤٢ ـ شفاء السائل لتهذيب المسائل / / أبو زيد عبدالرحمن بن أبي بكر محمد بن خلدون ، تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي ، ط ١ ، اسطنبول ، ١٩٥٧م .

حرف (ص)

١٤٣ ـ صحيح البخاري / ط محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، ١٣١١هـ .
١٤٤ ـ صحيح مسلم / الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار الحديث ، القاهرة .
١٤٥ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
١٤٦ ـ صفة الصفوة / جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، ط دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد ، الدكن ، ١٣٥٥هـ .
١٤٧ ـ الصوفية والفقراء / تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية ، تحقيق : محمد عبدالله السمان ، مؤسسة الشرق ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م .

حرف (ض)

١٤٨ ـ الضوء اللامع لأعلام القرن التاسع / السخاوي ، ط مصر ، ١٣٥٣هـ .

حرف (ط)

١٤٩ ـ طبقات الصوفية / أبو عبدالرحمن السلمي ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، تحقيق : نورالدين شريدة ، ط ٣ .

١٥٠ ـ الطبقات الكبرى لواقح الانوار في طبقات الاخيار / أبو المواهب عبدالوهاب بن أحمد بن علي الانصاري المعروف بالشعراني ، ط دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

١٥١ ـ طريق الهجرتين / ابن قيم الجوزية ، المطبعة الميمنية ، ١٣٢٠هـ بهامش إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان .

١٥٢ ـ الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية / زين الدين محمد بن بير علي البركوي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .

١٥٣ ـ طهارة القلوب والخضوع لعلّام الغيوب / عبدالعزيز الدريني ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر .

حرف (ع)

١٥٤ ـ العبادة أحكام وأسرار / عبدالحليم محمود ، دار النصر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .

١٥٥ ـ العقد النضيد في آداب الشيخ والمريد / أبو الهدى الصيادي ، تحقيق : عبدالحكيم سليم عبدالباسط ، ط دمشق ، ١٣٨٩هـ .

١٥٦ ـ علم الأخلاق الى نيقوماخوس / أرسطوطاليس ، ترجمه من اليونانية الى الفرنسية باتلي ساتهلير ، نقله الى العربية : أحمد لطفي السيد ، دار الكتب المصرية ، ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م ، القاهرة .

١٥٧ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري / بدرالدين أبو محمد محمود أحمد العيني ، المطبعة المنيرية ، مصر ، ١٣٤٨هـ .

١٥٨ ـ العناية على الهداية / أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي ، مطبوع بهامش فتح القدير ، مطبعة المثنى ، بغداد .

١٥٩ ـ عوارف المعارف / عبدالقاهر السهروري ، المطبعة التجارية ، بيروت ، ١٩٦٦م .

١٦٠ ـ عيون الاخبار / ابن قتيبة ، ط دار الفكر ، بيروت ، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م .

حرف (غ)

١٦١ ـ غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائض الفاضحة / الشيخ أبو اسحق برهان الدين ابراهيم بن يحيى بن علي بن علي الكتبي المعروف بالوطواط ، المطبعة الأدبية المصرية ، ١٣١٨هـ .

١٦٢ ـ الغنية لطالبي طريق الحق / سيدنا عبدالقادر الكيلاني ، تحقيق : فرج توفيق الوليد ، ط منير ، بغداد ، ١٩٨٨م .

١٦٣ ـ غيث المواهب العلية شرح الحكم العطائية / أبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن عباد النفري الرندي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٧٠م ،تحقيق : د. عبدالحليم محمود ود. محمد بن الشريف .

حرف (ف)

١٦٤ ـ فاتحة العلوم / الإمام أبو حامد الغزالي ، المطبعة الحسينية ، مصر ، ١٣٢٢هـ .

١٦٥ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري / للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، (٧٧٣هـ ـ ٨٥٢هـ) ، دار المعرفة ـ بيروت ، لبنان ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي .

١٦٦ ـ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني / أحمد عبدالرحمن البنا الساعاتي ، ط دار الحديث ، القاهرة .

١٦٧ ـ فتح القدير / كمال الدين محمد بن عبدالواحد المعروف بأبن الهمام ، مكتبة المثنى ، بغداد .

١٦٨ ـ فتوح الغيب / سيدي الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣م ، ط ٢ ، مصر .

١٦٩ ـ الفتوحات الربانية بالخطب والمواعظ القرآنية / محمد بن سالم التيجاني ، ط دار الندوة ، بيروت .

١٧٠ ـ فلسفة الأخلاق / محيي الدين بن عربي ، ط دار البصري ، بغداد ، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .

١٧١ ـ الفلسفة العربية والأخلاق / سلطان بك محمد ، مطبعة المعارف ، مصر ، ١٩١١م .

١٧٢ - فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت / محب الله بن عبدالشكور ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، مصر ، ١٣٢٢هـ ، مطبوع مع المستصفى .

حرف (ق)

١٧٣ - القاموس المحيط / مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، ط المؤسسة العربية ، بيروت .

١٧٤ - قواعد التصوف / أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد الشهير بزروق ، المطبعة العلمية ، مصر ، ١٣١٨هـ .

١٧٥ - القواعد الفقهية ودورها في إثراء التشريعات الحديثة / محيي هلال السرحان ، مطبعة أركان ، بغداد ، ١٩٨٧م .

١٧٦ - قوت القلوب في معاملة المحبوب أو وصف طريق المريد الى مقام التوحيد / أبو طالب محمد بن أبي الحسن علي بن عباس المكي ، ط دار صادر ، بيروت .

حرف (ك)

١٧٧ - الكبائر / شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، أوفسيت الوسام ، بغداد ، ١٣٨٤هـ .

١٧٨ - كشف الأسرار / مصطفى محيي الدين نجا ، المطابع العلمية ، بيروت ، ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م .

١٧٩ - كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان / عبدالوهاب الشعراني ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٣٤٧هـ .

١٨٠ - كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس / اسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ) ، ط دار إحياء التراث العربي ، ١٣٥٥هـ .

١٨١ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة جلبي ، ط اسطنبول ، ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م .

١٨٢ - كشف المحجوب للهجويري / ترجمة : إسعاد عبدالهادي ، مراجعة : أمين عبدالمجيد ، مطبعة الأهرام ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

١٨٣ - الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين / الإمام أبو حامد الغزالي ، تحقيق : عبداللطيف عاشور ، ط مكتبة القرآن ، القاهرة .

١٨٤ ـ كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع / أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي ، مطبوع مع آخر كتاب الزواجر ، ط دار المعرفة ، بيروت .

١٨٥ ـ الكلام الطيب / للإمام ابن قيم الجوزية ، ط محمد علي صبيح ، مصر .

١٨٦ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال / علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، ضبطه وفسر غريبه : الشيخ بكر حياني ، صححه ووضع فهارسه ومفتاحه : صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

١٨٧ ـ الكنه فيما لا بد للمريد منه / محيي الدين بن عربي ، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م .

حرف (ل)

١٨٨ ـ لباب الإشارات / فخرالدين محمد بن محمد الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٥٥هـ .

١٨٩ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل / علي محمد ابراهيم الخازن ، ط دار المعرفة ، بيروت .

١٩٠ ـ لباب النقول في أسباب النزول / بهامش تفسير الجلالين ، قدم له : عبدالقادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

١٩١ ـ لسان العرب ، المحيط / ابن منظور ، قدم له : عبدالله العلايلي ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ونديم مرعشلي ، ط تكنوبرس ، بيروت ، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م .

١٩٢ ـ لطائف المنن / ابن عطاء الله السكندري ، تحقيق : عبدالحليم محمود ، ط مطبعة الاحسان ، مصر ، ١٩٧٤م .

١٩٣ ـ لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحديث بالنعمة على الاطلاق / عبدالوهاب الشعراني ، تحقيق : د. عبدالحليم محمود وطه عبدالباقي سرور ، ط ٢ ، مكتبة عالم الفكر ، القاهرة .

١٩٤ ـ اللمع / أبو النصر السراج الطوسي ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م .

١٩٥ ـ لوامع البينات شرح أسماء الله الحسنى والصفات / فخرالدين محمد الرازي ، المطبعة الشرقية ، مصر ، ١٣٢٣هـ .

حرف (م)

١٩٦ ـ المبسوط / شمس الدين السرخسي ، ط دار المعرفة ، لبنان ، ١٩٧٨م .

١٩٧ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / الحافظ نورالدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ .

١٩٨ ـ المجموع شرح المهذب / أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، مطبعة الإمام ، مصر .

١٩٩ ـ المحلّى / أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، مطبعة النهضة ، مصر ، ١٣٤٧هـ .

٢٠٠ ـ مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٠١ ـ المختار من الأنوار في صحبة الأخيار / الإمام عبدالوهاب الشعراني ، تحقيق : عبدالرحمن عميرة والأستاذ طلعت غنام ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

٢٠٢ ـ المختصر شرح التلخيص / سعدالدين التفتازاني ، بولاق ، مصر ١٣١٧هـ .

٢٠٣ ـ مختصر شعب الإيمان / أبو جعفر عمر القزويني (ت ٦٩٩) ، تحقيق : محمد منير الدمشقي ، ط المطبعة المنيرية ، ١٣٥٥هـ .

٢٠٤ ـ مختصر في التوبة / أبو القاسم القشيري ، تحقيق : د. قاسم السامرائي ، المجمع العلمي العراقي ، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .

٢٠٥ ـ مختصر منهاج القاصدين / نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن الشيخ أبي عمر بن قدامة المقدسي ، مطبعة ابن زيدون ، دمشق ، ١٣٤٧هـ .

٢٠٦ ـ مدارج السالكين / ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار ، مصر ، ١٣٣٢هـ .

٢٠٧ ـ المدخل لدراسة القانون / عبدالباقي البكري ومحمد علي بدير وزهير البشير ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، ١٩٨٧م .

٢٠٨ ـ المدونة الكبرى / الإمام مالك بن أنس الأصبحي ، رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن عبدالرحمن بن القاسم ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٤هـ .

٢٠٩ ـ المسائل في إعمال القلوب والجوارح / الحارث بن أسد المحاسبي ، تحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ، ط عالم الكتب ، ١٩٦٩م .
٢١٠ ـ المستدرك على الصحيحين / الحاكم أبو عبدالله محمد النيسابوري ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، ١٣٣٥هـ .
٢١١ ـ المستصفى من علم الأصول / حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ، المطبعة الأميرية ، ١٣٢٢هـ .
٢١٢ ـ مسند الامام أحمد ، تحقيق : أحمد شاكر ، دار المعارف ـ مصر ، ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م .
٢١٣ ـ المسند الجامع / د. بشار عواد معروف ، مطبعة الأوقاف ، بغداد ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
٢١٤ ـ مشارق أنوار القلوب / عبدالرحمن بن محمد المعروف بأبن الدباغ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م .
٢١٥ ـ مشكاة المصابيح / الشيخ ولي الدين بن عبدالله الخطيب العربي التبريزي ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م .
٢١٦ ـ المطول شرح التلخيص / سعدالدين التفتازاني ، ط دار الطباعة العامرة ، مصر ، ١٣٠٩هـ .
٢١٧ ـ معارج القدس في مدارس معرفة النفس / أبو حامد الغزالي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
٢١٨ ـ معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي / عبدالله مصطفى النقشبندي ، المكتبة الوطنية ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣ .
٢١٩ ـ المعجم الصوفي في الحكمة في حدود الكلمة / د. سعاد الحكيم ، دندرة ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
٢٢٠ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف / ونسنك A-Y ليدن ١٩٤٣م ، مكتبة بريل .
٢٢١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / وضعه : محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار الجيل ، بيروت .
٢٢٢ ـ معراج السالكين / حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م .
٢٢٣ ـ المعرفة عند مفكري المسلمين / محمد غلاب ، مطبعة دار الجيل ،

الفجالة ، ١٩٦٦م .
٢٢٤ ـ المغني / أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، ط دار الفكر ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م .
٢٢٥ ـ مغني المحتاج الى معرفة معاني ألفاظ المنهاج / الشيخ محمد الشربيني خطيب ، ط الميمنية ، مصر ، ١٣٠٨هـ .
٢٢٦ ـ مفتاح السعادة ومصباح الزيادة في موضوعات العلوم / أحمد مصطفى طاش كبرى زادة ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، القاهرة .
٢٢٧ ـ مفردات في غريب القرآن / الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني ، المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٧٠م .
٢٢٨ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين / أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ، ٣٢٩هـ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة النهضة ، مصر ، ط ٢ ، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .
٢٢٩ ـ مقاييس اللغة / أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، مطبعة البابي الحلبي وشركاه ، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م .
٢٣٠ ـ المقدمة في التصوف وحقيقته / أبو عبدالرحمن السلمي (ت ١٢هـ) ، دار القادسية ، تحقيق : حسن أمين ، بغداد ، ١٩٨٤م .
٢٣١ ـ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى / أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٤هـ .
٢٣٢ ـ منازل السائرين الى رب العالمين / عبدالله الهروي ، مطبوع بعد شرح مدارج السالكين ، ط مطبعة المنار ، مصر ، ١٣٣٢هـ .
٢٣٣ ـ المناظر الإلهية / عبدالكريم الدجيلي ، الطباعة الفنية المتحدة ، مصر ، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م .
٢٣٤ ـ المنقذ من الضلال / الغزالي ، تحقيق : عبدالحليم محمود ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١م .
٢٣٥ ـ منهاج المسلم / أبو بكر الجزائري ، دار القادسية ، الاسكندرية .
٢٣٦ـ منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين / أورس وفا الارزنجاني ، مطبعة محمود بك ، ١٣٢٨هـ .

٢٣٧ ـ من هدي النبي والعترة / أحمد كاظم البهادلي ، ط شركة آب ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .
٢٣٨ ـ المهرجان / أحمد بن علوان ، تحقيق : عبدالعزيز سلطان طاهر منصوب ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .
٢٣٩ ـ الموسوعة الفقهية ، ط ذات السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
٢٤٠ ـ موارد الظمآن الى زوائد ابن حيان / نورالدين علي بن أبي بكر الهيتمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥١هـ ، تحقيق : محمد عبدالرزاق عزة .
٢٤١ ـ المواقف / محمد عبدالجبار النفري ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤م .
٢٤٢ ـ مواهب الرحمن في تفسير القرآن / الشيخ عبدالكريم المدرس ، دار الحرية ، بغداد ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
٢٤٣ ـ موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية / د. سعدون محمود الساموك ، جامعة بغداد .
٢٤٤ ـ موسوعة أخلاق القرآن / أحمد الشرباصي ، مطبعة الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧١م .
٢٤٥ ـ موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، عالم التراث ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .
٢٤٦ ـ الموطأ / الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م .

حرف (ن)

٢٤٧ ـ نتائج الافكار القدسية في بيان شرح الرسالة القشيرية / مصطفى العروسي ، الناشر : عبدالوكيل الدروبي وياسين عرفة ، جامع الدرويشية ، دمشق ، مطبوع مع شرح الرسالة القشيرية .
٢٤٨ ـ نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية / أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي ، تحقيق : ابراهيم عطوة عوض ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م .
٢٤٩ ـ نهاية المحتاج الى شرح المنهاج / شمس الدين محمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

حرف (هـ)

٢٥٠ ـ هداية المرشدين / علي محفوظ ، مطبعة السعادة ، ط ٣ ، مصر .

٢٥١ ـ الهداية شرح بداية المبتدىء / أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبدالجليل الرشداني المرغيناني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م .

٢٥٢ ـ هذا حلال وهذا حرام / عبدالقادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٢٥٣ ـ هكذا علمتني الحياة / مصطفى السباعي ، دمشق ، ١٣٨٢هـ .

حرف (و)

٢٥٤ ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب / شمس الدين أبو عبدالله محمد بن قيم الجوزية ، تحقيق : عبدالعزيز عزالدين السيروان ، دار الرائد العربي ، بيروت .

٢٥٥ ـ وحي القلم / مصطفى صادق الرافعي ، ضبطه : محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م .

٢٥٦ ـ الوصايا / محيي الدين بن العربي ، مطبعة كرم ، دمشق ، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م .

٢٥٧ ـ وفيات الأعيان / بن خلكان ، ط مصر ، ١٣١٠هـ .

حرف (ي)

٢٥٨ ـ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر / عبدالوهاب الشعراني ، المطبعة الميمنية ، مصر ، ١٣١٧هـ .



المحتويات

مقدمة في نشأة علم الأخلاق وتطوره ٧

الباب الأول : قواعد الأخلاق ومناهج التربية

الفصل الأول : قواعد الأخلاق وعلم التصوف ١١

المبحث الأول : قواعد الأخلاق وفضيلتها وأصولها ١٢

المطلب الأول : تعريف قواعد الأخلاق ١٢

المطلب الثاني : فضيلة الأخلاق ١٧

المطلب الثالث أصول الأخلاق ٢٠

الفرع الأول : الحكمة ٢٠

درجات الحكمة ٢٣

الفرع الثاني : العفة ٢٤

الفرع الثالث : الشجاعة ٢٥

الفرع الرابع : العدل ٢٧

المبحث الثاني : علم التصوف ٢٩

المطلب الأول : تعريف التصوف ٢٩

المطلب الثاني : اشتقاق التصوف ٣٥

المطلب الثالث : نشأة التصوف ٣٨

المطلب الرابع : أهمية التصوف ٤١

الفصل الثاني : منهج تهذيب النفس ٤٤
تمهيد ٤٥
المبحث الأول : الورع ٥٠
مراتب الورع ٥٢
المبحث الثاني : الاستقامة ٥٥
المبحث الثالث : التبري ٥٩
المطلب الأول : التسليم الأمري ٥٩
المطلب الثاني : تسليم قضائي (قدري) ٦١

الفصل الثالث : منهج الذكر الموصل الى الاحسان ٦٦
المبحث الأول : الذكر ٦٧
المطلب الأول : فضل الذكر ٦٧
الفرع الأول : فضل الذكر في القرآن الكريم ٦٧
الفرع الثاني : فضل الذكر في السُنَّة المطهرة ٧١
المطلب الثاني : مراتب الذكر ٧٣
المبحث الثاني : الشكر ٧٥
المطلب الأول : تعريف الشكر ٧٥
المطلب الثاني : فضيلة الشكر ٧٨
المطلب الثالث : شروط الشكر وأركانه ٨١
المبحث الثالث : الحياء ٨٤
المطلب الأول : الحياء من الحق ٨٧
الفرع الأول : المحاسبة ٨٨
الفرع الثاني : المراقبة ٩٠
المطلب الثاني : الحياء من الخلق ٩٥

الباب الثاني : في الرذائل

الفصل الأول : آفات اللسان ١٠١
تمهيد ١٠٢
المبحث الأول : الكلام بلفظ الكفر ١٠٦

المبحث الثاني : الغيبة والنميمة ١١٠
المطلب الأول : الغيبة ١١٠
الفرع الأول : أنواع الغيبة وخطرها وعلاجها ١١١
الفرع الثاني : مواضع إباحة الغيبة ١١٤
المطلب الثاني : النميمة ١١٧
المبحث الثالث : الكذب ١٢٠
المطلب الأول : الكذب في اليمين ١٢٠
المطلب الثاني : الكذب في القول ١٢٣
المطلب الثالث : مواضع إباحة الكذب ١٢٦
المبحث الرابع : المراء والجدال ١٢٧
المبحث الخامس : السب واللعن وفضول الكلام ١٢٩
المطلب الأول : السب والفحش ١٢٩
المطلب الثاني : اللعن ١٣١
المطلب الثالث : فضول الكلام ١٣٣
المبحث السادس : الشعر والغناء ١٣٥
المطلب الأول : الشعر ١٣٥
المطلب الثاني : الغناء ١٣٨

الفصل الثاني : أمراض القلب وعلاجها ١٤٢
المبحث الأول : الكبر والعجب ١٤٥
المطلب الأول : الكبر ١٤٥
الفرع الأول : أقسام الكبر ودركاته ١٤٨
الفرع الثاني : معالجة الكبر ١٥٠
المطلب الثاني : العجب ١٥٢
الفرع الأول : أقسام العجب ١٥٣
الفرع الثاني : علاج العجب ١٥٥
المطلب الثالث : فضيلة التواضع ١٥٧
المبحث الثاني : الغضب ١٥٩

المطلب الأول : الأسباب المهيجة للغضب وعلاجه ١٦٢
المطلب الثاني : فضيلة كظم الغيظ ١٦٤
المطلب الثالث : الحلم ١٦٦
المطلب الرابع : العفو ١٦٨
المبحث الثالث : الحقد ١٧٠
المبحث الرابع : الحسد ١٧٣
المطلب الأول : أسباب الحسد ١٧٨
المطلب الثاني : علاج الحسد ١٨١
المبحث الخامس : الرياء ١٨٤
لمطلب الأول : أسباب الرياء ١٨٧
المطلب الثاني : مظاهر الرياء ١٨٨
المطلب الثالث : مقاصد الرياء وأغراضه ١٩٠
المطلب الرابع : درجات الرياء ١٩١
المطلب الخامس : علاج الرياء ١٩٤
الفصل الثالث : حب الدنيا ١٩٧
تمهيد ١٩٩
المبحث الأول : حب المال ٢٠٤
المطلب الأول : الحرص ٢٠٤
المطلب الثاني : الطمع ٢٠٦
المطلب الثالث : علاج الحرص والطمع ٢٠٩
المطلب الرابع : فضيلة القناعة ٢١١
المطلب الخامس : البخل ٢١٣
المطلب السادس : علاج البخل ٢١٦
المطلب السابع : السخاء ٢١٨
المطلب الثامن : الإيثار ٢٢٢
المبحث الثاني : حب الجاه والشهرة ٢٢٦
المطلب الأول : حب الجاه ٢٢٦
الفرع الأول : علاج حب الجاه ٢٢٨

الفرع الثاني : الظلم ٢٣١
المطلب الثاني : الشهرة ٢٣٥
المبحث الثالث : الهوى والشهوة ٢٣٨
المبحث الرابع : الخيانة والغدر ٢٤٣
المطلب الأول : الخيانة ٢٤٣
المطلب الثاني : فضيلة الأمانة ٢٤٧
المطلب الثالث : الغدر ٢٥١
المطلب الرابع : فضيلة الوفاء ٢٥٤
المبحث الخامس : فضيلة الزهد ٢٥٧

الباب الثالث : الفضائل

الفصل الأول : التوبة ٢٦٥
المبحث الأول : تعريف التوبة ٢٦٦
المبحث الثاني : وجوب التوبة ٢٦٩
المطلب الأول : أقسام التوبة ٢٧١
المطلب الثاني : صحة التوبة ٢٧٣
المبحث الثالث : أركان التوبة وشروطها ٢٧٥
المبحث الرابع : الكبيرة والصغيرة ٢٧٩
المبحث الخامس : التوبة بين المقامات والأحوال ٢٨٤
المبحث السادس : مكفرات الذنوب ٢٨٧

الفصل الثاني : الصبر والرضا والتوكل ٢٩٠
المبحث الأول : الصبر ٢٩١
المطلب الأول : فضيلة الصبر ٢٩١
المطلب الثاني : أقسام الصبر ٢٩٧
المطلب الثالث : مراتب الصبر ٢٩٩
المبحث الثاني : الرضا ٣٠١
المبحث الثالث : التوكل ٣٠٤

الفصل الثالث : الاخلاص ٣٠٨
المبحث الأول : اخلاص الحال ٣٠٨
المبحث الثاني : النية ٣١٢
المبحث الثالث : الصدق ٣١٥

الفصل الرابع : المحبة ٣١٨
المبحث الأول : تعريف المحبة ودواعيها ٣١٩
المطلب الأول : تعريف المحبة ٣١٩
المطلب الثاني : دواعي المحبة ٣٢٣
المبحث الثاني : محبة الله ورسوله ٣٢٥
المطلب الأول : محبة الله تعالى ٣٢٥
المطلب الثاني : محبة رسول الله ﷺ ٣٣٠
المبحث الثالث : المحبة في الله سبحانه وتعالى ٣٣٣
المطلب الأول : الأخوة ٣٣٦
الفرع الأول : شروط الاخوة ٣٣٧
الفرع الثاني : حقوق الأخوة ٣٣٨
المطلب الثاني : صحبة الشيوخ ٣٤٠
الفرع الأول : الشيخ وما يشترط فيه ٣٤١
الفرع الثاني : المريد ٣٤٢

الفصل الخامس : الجهاد في سبيل الله تعالى ٣٤٣
تمهيد في تعريف الجهاد ٣٤٣
المبحث الأول : حكم الجهاد في سبيل الله تعالى ٣٤٦
المبحث الثاني : شروط وجوب الجهاد ٣٤٩
المبحث الثالث : الرباط ٣٥٢
المبحث الرابع : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٥٦
الخاتمة ٣٥٩
الأعلام ٣٦١
المصادر والمراجع ٣٨٩

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ـ شركة عامة

